الأدب العربي الحديث

الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الكليات الأزهرية
حسين محمد إمبابي وأخوه محمد
٩ ش الصنادقية - الأزهر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ — مدرسة شعراء أبوللو

متى نشأت هذه المدرسة الشعرية :

حدث فى سبتمبر عام ١٩٣٢ أن أعلن الشاعر المصرى الدكتور أحمد زكى أبو شادى (١٨٩٢ — ١٩٥٥) فى القاهرة ميلاد هيئة أدبية جديدة ، سماها « جماعة أبولو » وجعل مركزها القاهرة ، وتجمع طائفة من أعلام الأدباء والشعراء والنقاد ومعهم جماعات « من أدباء الشباب » ومن بين هؤلاء وهؤلاء : أحمد محرم (١٨٧٧—١٩٤٥) ، وإبراهيم ناجى (١٨٩٨—١٩٥٣) وعلى محمود طه (١٩٤٩) وكامل كيلانى (١٩٥٩) ، وأحمد ضيف ، وعلى العنانى ، وأحمد الشايب ، ومحمود أبو الوفا ، وحسن كامل الصيرفى ، وغيرهم . وتولى أبو شادى أمانة سر هذه الهيئة الأدبية بصفة دائمة واختير أمير الشعراء أحمد شوقى (١٨٦٨ — ١٩٣٢) رئيسا لها .

وفى يوم الاثنين العاشر من أكتوبر عام ١٩٣٢ عقدت الجلسة الأولى لها برياسة شوقى فى داره ، دار كرمة ابن هانىء بالجيزة ، لوضع الأسس العامة لنظامها الإدارى ، والأدبى ، ولم يعش شوقى بعد ذلك إلا أياما معدودات ، ففى فجر يوم الجمعة الرابع عشر من أكتوبر ١٩٣٢ استأثرت به رحمة الله ، وضج الشرق العربى لمنعاه . وبعد أسبوع كامل من الحداد والحزن اجتمع الأعضاء فى يوم السبت الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٣٢ فى مقر رابطة الأدب الجديد بالقاهرة واختاروا الشاعر خليل مطران (١٨٧٢ — ٣٠ يونيو ١٩٤٩) رئيسا للهيئة .

وأغراض الجماعة كما أعلنت منذ ميلادها هى ما يلى :

(أ) السمو بالشعر العربى ، وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا .

(ب) مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر .

(ج) ترقية مستوى الشعراء ماديا وأدبيا واجتماعيا ، والدفاع عن كرامتهم .

وكانت عضوية الجماعة مفتوحة فى مصر وجميع الأقطار العربية للشعراء خاصة والأدباء ومحبى الأدب عامة ، ممن يهمهم تقدم أغراض الجمعية .

ومنذ ميلاد هذه الهيئة الأدبية صدرت مجلة تحمل اسمها ، وتنشر أدبها ، وتذيع أفكارها ، وهى مجلة « أبولو » وهى أول مجلة خصصت للشعر ونقده فى العالم العربى . . وفى افتتاحية العدد الأول من أعدادها كتب أبو شادى يقول : « نظرا للمنزلة الخاصة التى يحتلها الشعر بين فنون أدب ، ولما أصابه وأصاب رجاله من سوء الحال ، بينما الشعر من أجل مظاهر الفن ، وفى تدهوره إساءة للروح القومية ، لم نتردد فى أن نخصه بهذه المجلة ، التى هى الأولى من نوعها فى العالم العربى ، كما لم نتوان فى تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هى جمعية أبولو ، حبا فى إحلاله مكانته السابقة الرفيعة ، وتحقيقا للتآخى والتعاون بين الشعراء » ، ثم يقول فى ختام كلمته : « وكما كانت الميثولوجيا الإغريقية تتغنى بأبولو للشمس والشعر والموسيقى ، فنحن نتغنى فى حمى هذه الذكريات ، التى أصبحت عالمية ، بكل ما يسمو بجمال الشعر العربى ، وبنفوس شعرائه » .

وفى صدر العدد الأول نفسه قصيدة « لشوقى » حيا بها ميلاد هذه الجماعة ومجلتها وجاء فيها :

أبولو ! ! مرحبا بك يا أبولو — فإنك من عــكاظ الشعر ظل
عكاظ ، وأنت للبلغاء سوق — على جنباتها رحــلوا وحلوا
عسى تأتيننـــا بمعلقات — تروح على القديم بها تدل
لعل مواهبا خفيت وضاعت — تذاع على يديك وتستغل

ولم تلبث هـــذه الجماعة ومجلتها أن أحدثت دويا فى الأدب والنقـــد والشعر مصر وسائر أنحاء العالم العربى ، وانضم إليها — ما بين عضو ومؤازر — الكثير من الأدباء والشعراء والنقاد ، من مثل : مصطفى عبداللطيف السحرتى ، وصالح جودت وعبد العزيز عتيق ، ومختار الوكيل ، وسواهم وأفسحت المجلة صدرها للأدب والنقد والشعر ، فكانت تنشر لشوقى ومطران ومحرم والعقاد والرافعى (١٩٣٧) ، ولابراهيم ناجى (١٩٥٣) وزكى مبارك (١٩٥٢) ، وعلى محمود طه (١٩٤٩) والسيد حسن القاياتى ، محمد الأسمر (١٩٠٠—١٩٥٦) ومحمود عماد ومحمد مصطفى الماحى ، وعثمان حلمى ، ومحمد الهمياوى وفخرى أبو السعود ، وخليل شيبوب ، وسيد قطب ، والعوض الوكيل وعامر بحيرى ، وبشر فارس ، وطاهر الطناحى ، ومحمد صادق عنبر ، ومحمد فريد عين شوكة ، ومحمد عبدالمعطى الهمشرى (١٤ ديسمبر ١٩٢٨) ، وعامر بحيرى ، وسواهم ، كما كانت تنشر لشعراء البلاد العربية والمهجر ، ومن بينهم : أبو القاسم الشابى (١٩٠٩— ١٩٣٤) ، وإيليا أبو ماضى ، والياس أبو شبكة ، وشفيق المعلوف ، ورياض المعلوف ، والجواهرى ، والتيجانى بشير (١٩١٢—١٩٣٧) وسواهم .

ومن ثم صار شعراء أبولو « ممن كانوا أعضاء فى جمعيتها » يكونون مع رائدهم أبى شادى مدرسة متميزة فى الشعر المعاصر ، لها خصائصها وآراؤها ، وقد أطلق أبو شادى عليها هذا الاسم « مدرسة أبولو » ، ففى صدر عـدد إبريل ١٩٣٣ يقول : « أن مدرسة أبولو مدرسة تعـاون وإنصاف وإصلاح وتجديد » .

ولما كتب بعض الأدباء يتساءلون عن السر فى اختيار اسم إغريقى لهذه الجماعة ولمجلتها ، رد عليهم أبو شادى فى عدد فبراير ١٩٣٣ يعلل سر اختيار هذا الاسم بأنه الرغبة فى أن تحمل اسما فنيا عالميا يلائم صبغتها .

أصدرت الجماعة — فضلا عن المجـلة — الكثير من كتب ودواوين أعضائها ، من مثل : ديوان الينبوع ، وأطياف الربيع ، والشعلة ، وفوق العباب ، وأشعة وظلال ، وكلها لأبى شادى ، ومثل ديوان وراء الغمام لناجى ، والألحان الضائعة للصيرفى ، وديوان عتيق ، وديوان مختار الوكيل ، وأصدرت كذلك كتيبا له عنوانه « رواد الشعر فى مصر » ونشرت دراسات أدبية أصيلة من مثـل « أدب الطبيعة » للسحرتى . وأعلن أبو شادى فى عـدد يناير عام ١٩٣٤ من أعداد مجلته « أبولو » قرب ظهور ديوان الشابى « أغانى الحيـاة » إلا أن مرض الشـابى ووفاته بعـد ذلك فى التـاسع من أكتوبر عام ١٩٣٤ حالا دون ظهوره آنذاك .

وأصدرت المجلة بعض الأعداد الخاصة القيمة فى ذكرى شوقى وحافظ ، كما صدر من مجلة الإمام التى أخرجها أبو شادى بعد ذلك عدد خاص عن

الشابي وذلك عام ١٩٣٦ . . واستمر صدور مجلة « أبولو » حتى عام ١٩٣٥ ، حيث نقل أبو شادى من القاهرة إلى الإسكندرية ، وطلب إليه أن يقلل من نشاطه الأدبى ، فتوقفت المجلة عن الظهور ، وأن كان قد أصدر عوضا عنها مجلتي : « أدبى ، والإمام » وظلت جماعة أبولو باقية ، وأن كان نشاطها الأدبى قد فتر ، إلا أن الامتدادات الفكرية والأدبية للجماعة بقيت مستمرة حتى اليوم ، وأحدثت آراؤها دويا فى الأدب والشعر والنقد .

أبو شادى والحركة الشعرية المعاصرة :

١ — ولكن نتعرف إلى هذه المدرسة وآرائها وأثرها فى الشعر المعاصر ، لابد من أن نتعرف إلى رائدها الدكتور « أبو شادى » لنتبين اتجاهاته الفكرية الأدبية التي كان يعمل لها .

وكان أبو شادى (١٨٩٢ — ١٩٥٥) من الشعراء المصريين القلائل الذين تميزوا بجدة الانتاج وغزارته وتنوعه ، وقد خلف ثلاثة وعشرين ديوانا وعشر قصص ومسرحيات شعرية ، فضلا عن كتب كثيرة فى الأدب والنقد . . . وقد أثرت فى شعره وشاعريته عوامل كثيرة .

العامل الأول : تلمذته على مدرسة شوقى وحافظ الشعرية ، فقد أخذ عنها بعض مفاهيم القصيدة العربية وأصولها الفنية ، وكان حافظ وشوقى من أصدقاء والده « محمد بك أبو شادى » المحامى والمجاهد وزميل سعد زغلول فى الكفاح الوطنى ، ومن ثم كانا يظهران نحو ابنه « أحمد زكى » الكثير

من العطف والرعاية ، وقد أشفق حافظ على هذا الشباب الصغير من الاجهاد الفكرى فى نظم الشعر مع اعتلال صحته[1] .

وكان الشاب الصغير يعجب بوطنيات حافظ (١٨٧٢ — ١٩٣٢ م) الفياضة بأصدق الشعور ، وكذلك كان يعجب بشعر مصطفى صادق الرافعى وأحمد محرم ، ويعد محرما فى شعره الوطنى والاجتماعى أسمى منزلة من حافظ ، وقد حيا حافظ أول ديوان ظهر لأبى شادى عام ١٩١٠ ، وهو ديوان « أنداء الفجر » بأبيات بليغة ، وقد ظل أبو شادى طول حياته يقدر هذه المدرسة الشعرية ولا يغمطها فضلها .

العامل الثانى : تأثره بمطران فى دعوة التجديد فى الأدب والشعر ، وكان بدء صلته بمطران فى ندوة والده الأدبية الأسبوعية ، وكان يلتئم شملها مساء كل خميس بداره فى حى القبة ، وكان مطران واسطة عقد شعراء الندوة فسمع الشاب الصغير الكثير من شعره ، وأنصت لآرائه فى التجديد ، وأقبل على الاطلاع والقراءة بنفس متوثبة ، وأخذ عنه ميله إلى الشعر المرسل والحر ، وللحركة الرومانسية فى الشعر ، التى يسميها أبو شادى الحركة التحريرية للنظم ، وكان مطران من أوائل الرواد للحركة الرومانسية فى الشعر الحديث ويقول[2] :

« إن أثر مطران فى شعرى هو أثر عميق لأنه يرجع إلى طفولتى الأدبية ويصاحبنى فى جميع أدوار حياتى ، وإذا كان استقلالى الأدبى

---

(١) شعر الوجدان .

(٢) راجع أنداء الفجر لأبى شادى .

متجليا فى أعمالى فهو فى الوقت ذاته يمثل الاطراد الطبيعى للتعاليم الفنية التى تشربتها نفسى الفتية من ذلك الأستاذ ، فما نشوة الشعر المرسل ولا الشعر الحر ، ولا ما بلغناه من الحركة التحريرية للنظم ، ولا ما نتناوله من الموضوعات إلا الرق الطبيعى لدعوة مطران . والشخصية الفنية الحرة هى أهم ما يحترمه مطران وهى روح شعرى[1] » . وكتب المازنى[2] فى مجلة الهلال يقول : أن أحمد شوقى مدين لمطران بأكثر مما يعرفه الناس ، وكان طه حسين يفضله على شوقى وحافظ[3] .

والعامل الثالث : هو اطلاعه على الأدب الانجليزى وما ترجم إليه من آداب ، وقرءاته الواسعة فى الشعر الإنجليزى فى مختلف مدارسه ، طول حياته ، ولا سيما فى الفترة التى قضاها فى انجلترا يدرس الطب فى جامعاتها ، وامتدت عشرة أعوام (١٩١٢ — ١٩٢٢) مما أمده بروح التجديد وبالفهم العميق لجميع عناصر القصيدة وأصول الأدب ، وقد أخذ من « جون كيتس » الكثير من أهداف الفن ومنازعه ، وشابهه فى الحب الصوفى[4] الرومانسى .

---

(١) ظهر عن مطران كتاب جديد للأديب اللبنانى فوزى عطوى بعنوان خليل مطران شاعر الأقطار العربية ، — كتاب الهلال — القاهرة .

(٢) ١٧٧ : ٣ قصة الأدب للخفاجى .

(٣) ٩٢ مذاهب الأدب للخفاجى .

(٤) ٥ — ديوان الينبوع لأبى شادى ، ١٤ : ٣ قصة الأدب المعاصر .

والعامل الرابع :اطلاعه على الآداب العربية القديمة والحديثة ، ووقوفه على شتى التيارات والحركات الفكرية فيها .

والعامل الخامس : اتصاله بالأدب الأمريكى اتصالا مباشرا منذ هاجر إلى أمريكا فى الرابع عشر من أبريل عام ١٩٤٦ حتى وفاته فيها فى الثانى عشر من أبريل عام ١٩٥٥ م .

٢ — وقد نوه بشعر أبى شادى أعلام الأدباء والنقاد فى مصر والعالمين العربى والغربى ، كما نوه به أدباء المهجر ، وألف عنه أكثر من عشرة كتب . فضلا عن الفصول والدراسات والمقالات التى تحدثت عن شعره وشاعريته ، وكان مطران يقول فيه : أحدث أبو شادى فى العربية شعراً سلسا بألفاظه ، قريب المأخذ بسهولته ، سليما جهد ماتسع المعانى الشعرية ، وقال عنه المستشرق اليونانى سقراط اسبيرو : أنه أعظم شخصية شاعرة عرفتها اللغة العربية ، وأكبر شاعر رومانتيكى فى العالم العربى ، وألف عنه الأديب الأردنى روكس العزيزى كتابا بعنوان « شاعر الإنسانية » ، ونوه مصطفى السحرتى بأستاذية أبى شادى وانتفاع شعراء الجيل الجديد بأدبه . وبأخليته المجنحة وأفكاره الأصلية . وقال فيه الرافعى (١٨٨٠ — ١٩٣٧) : أن لأبى شادى شعرا من أرق الشعر العربى اطلاقا [١] وقال عنه محرم : نسير فى جوانب شعر أبى شادى فلا تمل مافيه من حسنه الجدد ولاتبرح تستزيده رونقا وبهجة [٢] . ويأخذ عليه بعض النقاد ما فى أسلوبه

(١) ٥٥ ديوان الشعلة لأبى شادى .
(٢) ٨٨ المرجع نفسه :

الشعرى من نثرية ومن طغيان الطابع العلمى عليه (١) ، وقد أظهر أبو شادى نحوا من مائة شاعر ، هم الذين تزدان بهم نهضتنا الأدبية المعاصرة .

ونظم أبو شادى لأول مرة فى اللغة العربية الأوبرات التمثيلية كما نظم بعض القصص والمسرحيات الشعرية ولقح شعره بأخيلة ومعانى الغربيين وجدد فى أوصاف الطبيعة وفى مختلف جوانب شعره القومى والوطنى والوجدانى والإنسانى .

التيارات الأدبية فى الشعر عند ظهور ابولو :

١ — ومن العجب أن تظهر مدرسة أبولو الشعرية فى جو كان يسوده الظلام والحزن ، وفى فترة ليس لهـا مثيل فى تاريخنا القومى ، وفى خلال أزمة عالمية عالية ، وكان أكثر شعراء هذه الجماعة من صميم الشعب وأبناء الفلاحين والفقراء ، وفى العام الذى ظهرت فيه كان حافظ وشوقى قد لقيا ربهما ، وقام المجمع اللغوى ، وكلية اللغة العربية فى القاهرة ، وبعد قليل ظهرت مجلة الرسالة المصرية التى أصدرها أحمد حسن الزيات فى الخامس عشر من يناير ١٩٣٣ . وقامت دعوات عربية آنذاك : فهيكل كان يدعو إلى الفرعونية ، وطه حسين كان يدعو إلى ثقافة دول البحر الأبيض المتوسط ، وأحمد أمين كان يدعو إلى التيار الغربى فى الأدب والنقد (٢) .

٢ — وفى الأدب والشعر كان هناك تيار محافظ يمثله عبد المطلب (١٩٣١) والرافعى والقاياتى والجارم (١٩٤٩) والكاظمى (١٩٣٥) ومحمد فريد وجدى (١٨٧٨ — ٥ فبراير سنة ١٩٥٤) والبشرى (١٩٤٣) ، وتيار جديد عصرى

---

(١) ص ٦٤ الشعر وقضيته للعريض .

(٢) ٥٦ ع النقد الأدبى لأحمد أمين (١٨٨١ — ١٩٥٤) .

يمثله مطران (١٩٤٩) وشكرى والعقاد والمازنى (١٨٩٠ — ١٩٤٩) ، وإسماعيل أدهم (٢٣ يوليو سنة ١٩٤٠) ، وإسماعيل مظهر وسى (١٨٩٥ — ١٩٤١) وانطون الجميل وولى الدين يكن وطه حسين وهيكل ، وتيار ثالث معتدل مثله شوقى وَحافظ ومحرم وإسماعيل صبرى (١٨٥٤—١٩٢٣) وعزيز أباظة وسواهم ، ويقول المازنى عن شوقى إنه مدين لمطران بأكثر مما يعرفه الناس وانه تبع مطران فى حركة التجديد فى الشعر [١] .

ولقد كان المحافظون وبعض المعتدلين ومن تأثر بهم يلتزمون عمود الشعر العربى [٢] ، ويحافظون على نظام القصيدة وبنائها الفنى ويتأثرون بالشعراء القدماء تأثراً شديداً فى الألفاظ والأساليب والمعانى والأخيلة ، وفى المحافظة على الوزن الواحد والقافية الواحدة للقصيدة ، وكثرت المعارضات الشعرية ، فشوقى يعارض الحصرى والبحترى وابن زيدون وغيرهم ، وحافظ يعارض البحترى وأبا نواس وغيرهما من الشعراء بل أخذ ينهج نهج ابن ابى ربيعة فى شعره القصصى فهو يذهب مثله إلى صاحبته متقلدا سيفه ليرهب الرقباء [٣] ،

---

(١) ١٧٧ . ٣ قصة الأدب فى مصر .

(٢) يقول المرزوقى (١ : ٩ شرح ديوان الحماسة) : إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة فى الوصف ، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات والمقاربة فى التشبيه والتحام أجزاء النظم والتئامها ، على تخير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ بالمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية .. فهذه سبعة أبواب هى عمود الشعر .

(٣) ١ : ٨ ديوان حافظ .

وكذلك صنع أحمد نسيم [١] ، والكاشف [٢] ، واستمروا ينظمون الشعر فى نفس الأغراض القديمة من مدح وفخر ورثا وهجاء ووصف وغيرها بل كان شوقى [٣] ، وأحمد محرم [٤] وإسماعيل صبرى [٥] وولى الدين يكن [٦] والكاشف وغيرهم يبكون الاطلال ويقفون بها ، كما كان يفعل القدماء . . ولم يترك لفيف من الشعراء افتتاح بعض قصائدهم بالغزل كما فعل شوقى فى قصيدته السياسية فى مشروع ملنر (٧) ، وكما فعل ولى الدين يكن فى قصيدته فى افتتاح البرلمان العثمانى [٨]

وقد توسط شوقى بين أنصار القديم والجديد ، فلقح قصيدته بمعانى الغربيين واخيلتهم ، واستخدم مجزوء البحور وقصارها ، بل جدد فى الوزن أحيانا ، ونوع القافية ، ونظم من الموشحات والاراجيز ، وكتب الأغنية الشعرية ، والشعر التاريخى والاقصوصة والمسرحية الشعرية ، التى كان الشاعر محمد عبد المطلب أول من نظم منها بمسرحيته « ليلى العفيفة » التى بدأ فى

---

(١) ١ : ٢١ ديوان نسيم .
(٢) ١ : ١٢٢ ديوان الكاشف .
(٣) ١ : ٦٦ الشوقيات .
(٤) ١ : ٧٢ ديوان محرم .
(٥) ٢٩ ديوان صبرى .
(٦) ١٠١ ديوان يكن .
(٧) ١ : ٧٤ الشوقيات .
(٨) ٥٣ ديوان يكن .

نظمها عام ١٩٠٩ ولم يتمها (١) ، وكذلك نظم شوقي هو وحافظ الشعر السياسي والقومي ، وتبغ محرم وحافظ في الشعر الوطني والاجتماعي ، ونظم شوقي الملحمة التاريخية ، كما فعل وهو منفي في الأندلس إذ نظم في التاريخ الإسلامي ملحمته « دول العرب وعظماء الإسلام » ، وكذلك فعل محرم في « الالياذة الاسلامية » ومسرحيات : كليوباترا ، ومجنون ليلى ، وقمبيز ، وعلي بك الكبير ، وعنترة ، مشهورة ، وكذلك تبعه عزيز أباظة في مسرحياته الشعرية : قيس ولبنى ، والعباسة ، وشجرة الدر ، والناصر ، وغروب الأندلس .

وظهرت الكلاسيكية الجديدة على يديه ، وأكبر شعراء الكلاسيكية الجديدة في انجلترا كولي (١٦١٨ — ١٦٦٧) ويعده البعض أبا الشعر الانجليزي الجديد : وقد تعهد الأنواع الكلاسيكية كالرثاء والقصيدة البندارية (٢) بل والملحمة (٣) ، ورائد الكلاسيكية الجديدة هو الشاعر الفرنسي « اندريه شينيه » الذي مات مقتولا وشابا في الثورة الفرنسية .

٣ — وظهرت مدرسة جديدة في الشعر ، عاصرت مدرسة شوقي وحافظ ، ونادت بأصول لم يكن للشعراء ألف بها من قبل ، ومنهم شعراء تأثروا بالمدرسة الفرنسية وآرائها في الشعر من مثل خليل مطران وعلي محمود طه

---

(١) ٢٥٣ : ٣ قصة الأدب في مصر للمؤلف .

(٢) نسبة إلى بندار (٥٢١ — ٤٤١ ق م) أمير شعراء اليونان الغنائيين .

(٣) ص ١٠٠ الأدب الانجليزي .

وخليل شيبوب ، وشعراء آخرون تأثروا بالمدرسة الانجليزية ومنهم شكري والمازني والعقاد ، ثم أبو شادي وناجي .

وكان مطران وشكري والمازني والعقاد طليعة الحركة الرومانسية في الشعر المصري الحديث ففي شعر مطران محاولات « تجديدية في نظام القصيدة . ومطران — كما يقول أبو شادي — قد ولدت الرومانسية بل والرمزية الجديدة على يديه ، وقد دعم وحدة القصيدة وشخصية الشاعر ، واتخذ من كل شيء في الوجود[1] صغيراً أو كبيراً موضوعاً شعرياً خليقا بعناية الشاعر[2] ، ودعا إلى الحرية الفنية[3] ونظم من الشعر المرسل ، وكان طه حسين يفضله على شوقي وحافظ[4] ، ويطلق على العقاد والمازني وشكري شعراء مدرسة الديوان نسبة إلى الكتاب النقدي المسمى بالديوان الذي أخرجه المازني والعقاد في جزئين ، ونقدا فيه المنفلوطي وشوقيا وحافظا ، ولم يسلم شكري كذلك من هذا النقد ، والشعر عندهم تغلب عليه النزعة الوجدانية ، بينما تغلب عليه عند مطران النزعة الموضوعية ،وقد لقح شكري

---

(١) ٣٥ فن الشعر لمندور

(٢) ٣٠ : ٤ قصة الأدب المعاصر للمؤلف .

(٣) وقصيدة مطران (المساء) مشهورة ولعله تأثر فيها بقصيدة (المساء) للشاعر الانكليزي وليم كونز (١٢٧٠ — ١٧٥٩) إلى صور فيها جمال الشفق والشعور الغامض الذي يداخل النفس إذا اقترب الليل (راجعها في ١٤٨ الأدب الانجليزي — يول دوران) .

(٤) ٩٢ مذاهب الأدب للخفاجي .

والمازنى والعقاد الشعر العربى بألوان الخيال الغربى وجددوا فى صوره وموضوعاته وأفكاره .

وقد عنى شكرى بالجانب الفكرى التأملى، وزواج بينه وبين التأثرات الوجدانية العاطفية ، ونظم من الشعر المرسل ، وأكد وحدة القصيدة. وقد أخذ العقاد عن شكرى منهجه الفكرى ، وهذا الجانب هو الذى يمتاز به شعر العقاد ، كما أخذ المازنى عنه منهجه العاطفى المتشائم(١) . وهاجم العقاد شعر المناسبات(٢) ، كما هاجم هو والمازنى نظام القصيدة القديم . ونقدا أحمد شوقى نقدا لاذعا ، ومن قبل تعرض شوقى لهجوم حافظ عليه فى كتابه « ليالى سطيح »، ولنقده له فى معانيه الغربية ، وفى سرقاته الشعرية، وفى غموض معانيه ، وسقم ألفاظه(٣) .

وكما تعرض شكرى لهجوم المازنى عليه فى « الديوان » ، فقد تعرض المازنى لهجوم شكرى عليه ورميه له بسرقة قصائد بأكملها من الشعر الانجليزى(٤) ، وإذا كان مطران لم يتخل عن شعر المدح والمناسبات فإن العقاد والمازنى وشكرى قد أهملوا هذا الجانب إهمالا تاما . وكان هذا مما أخذه العقاد على شوقى ومما أنكر من أجله شاعريته ، وقد جاء ناقد

---

(١) راجع ٦٦ — ٨٨ الشعر المصرى بعد شوقى لمندور .

(٢) ١٢٣ : ١ ساعات بين الكتب .

(٣) ١٧٢ : ٥ قصة الأدب فى مصر .

(٤) راجع مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكرى « الخطرات » والمجلد الخمسين من مجلة المقتطف (١٩١٧) .

آخر ينكر شاعرية العقاد ويقول فيه : أنه لاشأن له بالشعر[١] ، وقد نقد مندور بعض دواوين العقاد نقدا لاذعا[٢] ، ونقد قصيدته « الكون جميل » ونحاها عن الشعر والشاعرية[٣] ، ونادى العقاد منذ سنة ١٩٠٨ بضرورة الوحدة فى القصيدة (ص ٣٨ فصول من النقد عند العقاد) .

وقد وازن بعض الأدباء بين القصيدة عند شوقى والعقاد ، ورأى أن القصيدة عند شوقى تفقد الوحدة الموضوعية والعضوية ، أما القصيدة عند العقاد فلها وحدة موضوعية لاعضوية(٤) . . . وكتب العقاد يقول :

« إن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة : أولها أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية ، فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات ، وثانيها أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه ، فالشاعر الذى لايعبر عن نفسه صانع وليس ذا شخصية أدبية ، وثالثها أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن والقافية . . . وطبق هذه المقاييس الثلاثة ، ووازن بينه وبين حافظ ، فرأى أن حافظا ، فرأى أن حافظا أشعر ، ولكن شوقيا أقدر(٥) .

---

(١) ٨٢ فى الميزان الجديد لمندور .
(٢) ٧٣ المرجع نفسه .
(٣) الرسالة عدد ٥٢٠ — و ٨٢ و ٨٣ فى الميزان .
(٤) ١٢٥ — ١٤٧ الأدب وفنونه لعز الدين إسماعيل .
(٥) ص ٢٩ : ٣ قصة الأدب المعاصر للمؤلف ، وعدد ٧١٩ من الرسالة ١٩٤٧/٤/١ ، ومجلة الكتاب عدد أكتوبر ١٩٤٨ .

وكان طه حسين يقول عن حافظ وشوقى : أنهما لم يبلغا من التفوق ما كنت أحب لها ، وأتمنى للشعر العربى الحديث ، ولكن لاينبغى أن نلومها فى ذلك ، فلم يكونا إلا مرآتين صادقتين للعصر الذى عاشا فيه ، وقد أديا ماألهمهما هذا العصر فأحسنا الأداء(١) .

وكان كذلك طه حسين يفضل مطران عليهما ، ويشبهه فى المحدثين بأبى تمام فى القدماء(٢) ، ويقول : إن حافظا وشوقيا وغيرهما من الشعراء يعيشون حول مطران كما كان شعراء العراق والشـام يعيشون حول أبى تمام(٣) .

وقد أيد الكتاب المثقفون بثقافات غربية دعوة التجديد التى نادى بها شعراء هذه المدرسة ، فكتب هيكل يقول : مضت علينا أجيال ونحن مقيدون بالشعر العربى القديم ، معانى وأوزانا ، أفما آن أن تكون لنـا شخصية مستقلة، وأن يعلن شعراؤنا حرية الشعور والشعر ، وأن يقولوا الشعر بوحى نفوسهم وإلهام حيـاتهم(٤) ، وهاجم أحمد أمين التزام الوزن والقافية(٥) ، كما هاجم الشعر الجاهلى وتقليده(٦) .

---

(١) ٢٨ : ٣ قصة الأدب المعاصر .
(٢) ٩٢ مذاهب الأدب للخفاجى .
(٣) ٩٢ المرجع السابق .
(٤) ٧٢ ثورة الأدب لهيكل .
(٥) ٢ : ٢٤٣ فيض الخاطر .
(٦) مجلة الثقافة عدد ٢١ و ٢٢ و ٢٣ .

وكذلك أيد ميخائيل نعيمة فى كتابه النقدى « الغربال » دعوة التجديد الشعرى التى نادت بها مدرسه شعراء الديوان ، وتلاقى معها فى كثير من أهدافه ، وكتب العقاد مقدمه الغربال .

خصائص المدرسة :

وجاءت مدرسه ابولو الشعريه إثر هذه الطبقات جميعا ، فأكدت دعوة التجديد فى الشعر ، ودعمتها دعما قويا ، ووقفت بخصائصها الفكرية والفنية علما يضىء للشعراء الطريق، ويدلهم على الغاية ، وسوف نتناول كل جوانب هذه المدرسه وآراءها بالدراسه والنقد .

١ — النزعة الرومانسية عند مدرسة أبولو

(أ) فى بدء عصر النهضة فى أوربا جهد الأدباء فى إحياء الأدب الأغريقى واللاتينى القديم وفى تقليده ، وسمى الأدب الذى ابدعوه ، وهو أدب القرن السابع عشر والثامن عشر ، أدبا كلاسيكيا ، وقد حرصت الكلاسيكية على جـودة الصياغة وفصاحة التعبير ، وخضعت للأصول والقواعد المرعية فى اللغة والإدب ، واستوحت الآداب القديمة واتخذتها نماذج تحتذى . أعمل الأديب الكلاسيكى عقله إعمالا شديدا فى انتاج أدبه، ولذا عيب على الشاعر الكلاسيكى أنه يضحى بالعاطفة المشبوبة فى سبيل الدقائق الذهنية والوثبات الفكرية ولم يخلف هـذا الأدب شعرا غنائيا ولا قصصيا ، بل شعرا مسرحيا ، وتمثلت الكلاسيكية فى أدب راسين وكورنى وموليير ، وهم من كتاب المسرح .

(ب) وسئم كثير من الادباء فى أوربا الكلاسيكية، وأخذوا يتخلصون من قيودها وصنعتها عائدين إلى الطبيعة والريف، وحياة البساطة والحرية فظهرت الحركة الرومانسية فى الادب والنقد والشعر، وتتلخص دعـوة الرومانسية فى الأدب فيما يلى :

١ — تحطيم القيود الكلاسيكية والرجوع إلى الذوق والعاطفة والوحى والإلهام ومحاولة التجديد ولو كان فى ذلك خروج على المواضعات اللغوية والقواعد الفنية .

٢ — ترك المدينة إلى الريف وإلى الطبيعة والترنم بجمالها الحر البسيط .

٣ — العناية بالطابع الشخصى وما يتبعه من ألوان العواطف والشعور، ومن ثم اتجهوا إلى الشعر الغنائى العاطفى .

٤ ـ التحرر من العالم المادى إلى العوالم المثالية :

٥ ـ البساطة فى كل شىء : فى التفكير والتعبير والتذوق والشعور، وترك النفس على سجيتها، واتباع الفطرة والطبع الخالص .

ومن ثم صار الأديب والشاعر الرومانسى لا يستوحى إلا نفسه والهام ذوقه وصدى عاطفته، وأصبح يستلهم أدبه من الطبيعة والعواطف الانسانية

وقد قامت الرومانسية فى انجلترا ثم فى ألمانيا وفرنسا ثم فى أسبانيا وإيطاليا، والتيار الفلسفى الذى قامت عليه هو التيار العاطفى، وجمهور الرومانسية هم الطبقة الوسطى، بعد أن كان جمهور أسلافهم هم الطبقة الارستقراطية، ومن ثم فقد نهضت الطبقة الوسطى فى ظل الرومانسية وبدأت تسترد حقوقها ومكانتها .

ونهض الشعر الغنائي فى ظل الرومانسية للاعتداد بالفرد ومشاعره ، فصار تعبيرا عن الانفعال أو عن التصور فى أعلى درجات ايقاعه اللغوى ، ومن ثم ولد الشعر الغنائى فى مفهومه الحديث فى الأدب الأوربى ، وضعف شأن المدح التقليدى ، وهان شأن الشعر الحكمى والتعليمى ، وتكونت الوحدة العضوية للقصيدة ، فأصبحت القصيدة ذات بنية حية تنمو من داخلها فى اتساق تام نحو نهايتها ، على نحو ما ذهب اليه جوته وأوسكار وايلد ولسنج .

وقد خلط الشعراء الرومانسيون مشاعرهم بمناظر الطبيعة ، ودعوا فى شعرهم إلى الأصالة ، وكرهـوا التقليد ؛ حتى كان هوجو وهو من شعراء الرومانسية يقول : يجب أن يحذر الشاعر من النقل عن أى شاعر آخر .

ويلح الشعراء الفرنسيون الرومانسيون فى التعبير عن ذواتهم ، وعن فلسفة الألم التى تنطوى عليهـا جوانحهم ، وازدهرت الرومانسية فى القرن التاسع عشر ، وقد عارضها بعض النقاد فى أوربا ، وأخذوا على أصحابها إسرافهم فى التشاؤم والنحيب والتغنى بالألم والفناء والأطلال والتبرم بالحياة، ألم يقل شاعر رومانسى : انني أحب الألم البشرى؟ وألم يقـل شاعر آخر : المرء طفل معلمه الالم ، ولاشيء يسمو بنا إلى العظمة كما يسمو الالم ؟ .

(ج) ودعوة ابولو لا تبعد عن دعوة الرومانسية هذه .. فقد دعا أدباؤها ونقادها إلى :

١ ـ الثورة على التقليد ، والدعوة إلى الاصالة والفطرة الشعرية والعاطفة الصادقة وإطلاق النفس على سجيتها ، وإلى الطلاقة الفنية ، والبعد عن الافتعال وإلى التناول الفني السليم للفكرة والمعانى والموضوع .

٢ ـ البساطة فى التعبير والتفكير ، وفى اللفظ والمعنى والاخيلة ، ويتبع ذلك التحرر من القوالب والصيغ المحفوظة وأساليب القدماء .

٣ ـ تركيز الاسلوب ، والرجوع إلى النفس والذات وإلى العاطفة الانسانية الصادقة ، والاتجاه إلى الشعر الغنائى العاطفى ، وإلى التأمل الصوفى .

٤ ـ الغناء بالطبيعة الجميلة وبالريف الساحر .

٥ ـ الغناء بالوحدة والالم والسأم والقلق النفسى والعذاب الروحى .

٦ ـ العناية بالوحدة العضوية للقصيدة ، وبالانسجام الموسيقى .

وهذا الاتجاه العام لمدرسة أبولو هو نفس الاتجاه الرومانسى فى الآداب الاوربية .

٢ — خصائص القصيدة عند مدرسة أبولو

١— التجربة الشعرية :

لم تعد القصيدة عند مدرسة أبولو استجابة لمناسبة طارئة ، أو حالة نفسية عارضة ، بل صارت تنبع من أعماق الشاعر ، حين يتأثر بعامل معين أو أكثر ، ويستجيب له أولها استجابة انفعالية قد يكتنفها التفكير وقد لا يكتنفها ، ولكن لا تتخلى العاطفة عنها أبدا ، كما يقول أبوشادى(١) .

(١) « ديوان وحى السماء » .

وهذا اتجاه رومانسى فى القصيدة وفى الانفعال بها ، ويقول صاحب كتاب «قواعد النقد الأدبى»(١) :

إن لفظ التجربة هنـا ليس معناه المحاولة ، بل ما يعرض للإنسان من فـكر أو إحساس أو نحو ذلك » .

ويقول كاتب : العمل الأدبى هو التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية ، فالعمل الأدبى وحدة مؤلفة من الشعور والتعبير ، والانفعال بالتجربة الشعرية يسبق التعبير عنها(٢) .

ويقول ناقد هذه المدرسة وهو مصطفى السحرتى : إن القيمة الفنية للقصيدة هى فى تواؤم تجربتها الشعرية مع صياغة هذه التجربة(٣) .

ويمـكننا التعرف إلى التجربة الشعرية فى قصيدة البحترى فى إيوان كسرى ، أو فى قصيدة العودة لابراهيم ناجى ، أو فى قصيدة المساء لمطران أو فى قصيدة « الشاعر والسلطان الجائر » لايليا أبى ماضى ، أو قصيدة « الأشواق التائهة للشابى » .

ومن أجل ذلك حاربت هذه المدرسة شعر المناسبات ، ودعت إلى تمثيل الشعر لحاجات النفوس ، وتأملات الفكر وهزات العواطف ، كما دعت إلى الطلاقة والحرية الفنية وظهور الشخصية الأدبية ، وإلى الطاقة

---

(١) ص ٢٥ — ط ١٩٣٦ لجنة التأليف .

(٢) ص ٩و٢٢و١٤١و٢٤ النقد الأدبى لسيد قطب .

(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث .

الشعرية الابتداعية وعملت على توكيد الحفاوة بالاصالة ، مع الابتعاد عن التكلف والافتعال والتصنع ، كما عملت على توكيد الدعوة إلى البساطة وصدق التعبير ، وطالما نادوا بأن الشعر إنما هو بأحاسيسه وارتعاشاته وومضاته ، ومن ثم لم يقبلوا على قصائد المدح والتكريم والمناسبات الطارئة .

٢ — الوحدة العضوية للقصيدة : أى أن تكون القصيدة عملا متكاملا ذا بنية عضوية حية ، تتفاعل عناصرها جميعا ، كما تتفاعل الأعضاء المختلفه فى الجسم الحي(١) ، فتصبح القصيدة الغنائية عضوية أى ذات بنيـة حيه تنمو بها من داخلها فى اتساق تام نحو نهايتها(٢) ؛ فليس المقصود بها — أى بالوحدة العضوية — وحدة الموضوع ، كما كان يفهم ذلك ويدعو إليه العقاد فى الديوان حين نقد أحمد شوقى وعاب على قصائده هلهلتها واضطرابها وتفكك أجزائها كما قال ، فالقصيدة عند العقاد مجموعة من المعانى تدور حول موضوع واحد ، ولكنها رغم ارتباطها بالموضوع الواحد لم تكن عنده ترتبط أجزاؤها ارتباطا عضويا ، ومنهج العقاد فى قياس البنية الحية للعمل الفنى هو أن تغير من وضع أبيات القصيدة وترتيبها أو تحذف منها أو تزيد فيها أبياتا على نسقها(٣) .

---

(١) ١٣٦ الأدب وفنونه لعز الدين إسماعيل .

(٢) ٣٨٣ الأدب المقارن لهلال .

(٣) ١٤٣ الأدب وفنونه .

والعقاد فى صياغة قصائده لايخلق منها بنية شكلية مسيوبة ، فضلا عن أنه لم ينظر فى صميم البنية للقصيدة (١) .

أما القصيدة عند مدرسة شوقى فتفقد نسقها الفنى ، فهى جملة انطباعات شتى ، نتيجة لوقوع الشاعر فى حالات نفسية متباعدة ومختلفة ، فليس فيها بنية عضوية ولا ينظر فيها إلى صميم البنية النفسية . وكثيرا مايكرر الشاعر نفسه ، أو يضطرب فى عرض فكرته أو عاطفته اضطرابا شديدا (٢) ، ويشرح أثر التجربة ناقد مدرسة أبولو وهو مصطفى السحرتى فيقول بالوحدة العضوية نرى ذكاء الشاعر وبراعته فى التوفيق بين الصور والأشكال والظلال والألوان ، وحذقة فى ايقاظ الحياة فى ألفاظه وأساليبه وأفكاره واخيلته . وقد شرح كذلك هيكل الوحدة العضوية فى القصيدة فى كتابة « ثورة الأدب »[٣] . ونحن هنا لانستطيع أن ننكر فضل نقادنا القدماء ، فقد عرفوا هذه الوحدة العضوية للقصيدة واحتفوا بها ، يقول الحاتمى الناقد (٣٨٤ هـ) :

« مثل القصيدة مثل الإنسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض » إلى آخر مايقول (٤) والفرق بعيد بين مانادى به الحاتمى من الوحدة العضوية للقصيدة وبين انكار ابن قتيبة للوحدة الموضوعية فضلا عن العضوية ،

---

(١) ١٤٣ الأدب وفنونه .
(٢) جـ ١٢٦ و ١٢٨ المرجع السابق .
(٣) ص ٦٠ ثورة الأدب .
(٤) ص ١٦ جـ ٣ زهر الآداب للحصرى .

مما نتبينه من قراءة مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » (١) .

وهذه الوحدة العضوية أفضل أن أسميها الوحدة الفنية ، وإليها أشرت في مقدمة كتابي « بين الأدب والنقد » (٢) وهي اتجاه رومانسي واضح ، فعند الرومانتيكيين أن القصيدة في داخل التجربة تصبح كل صورة من صورها بمثابة عضو حي في بنيتها الفنية وهذا عندهم هو مايسمى عضوية الصورة الشعرية ، فالقصيدة الغنائية عندهم وحده تشبه وحدة المسرحيات العضوية ، وهذه خاصية للشعر في رأيهم ، وأول من قرر ذلك لسنج الألماني (١٨٢٩ — ١٨٧١) وهو رومانتيكي في فكرته هذه على الرغم من كلاسيكيته في آرائه الأخرى ، وقد أعجب برأيه جوته وهو من أعلام المدرسة الرومانسية في ألمانيا ، ويقرر هذا المبدأ الفني أيضا أوسكار وايلد ، فالقصيدة الغنائية عنده ذات وحدة عضوية حية نامية . . وهذه الوحدة هي ما كان مايعنيه أبو شادي دائما من دعوته إلى الوحدة التعبيرية والوحدة الفنية في القصيدة ، وقد نادى بها من قبله مطران وشكري وتمثلت في كثير من قصائد المعاصرين ، ومن امثلتها قصيدة « ملحمة الاطلال » للشاعر إبراهيم ناجي التي يقول في مطلعها في مناجاة محبوبته :

أعطني حريتي أطلــــق يدى ... إنني اعطيت ما استبقيت شي

آه من قيدك أدمى معصمى ... لم أبقيه ومـــا أبقى على ؟

(١) ص ١٤ و ١٥ طبعة ١٩٢٩ .

(٢) ص ٤٤ بين الأدب والنقد .

مـــا احتفاظى بعهود لم تصنها   وإلام الأمر والدنيا لدى ؟

ومن أمثلتها كذلك قصيدة « الصوفى المعذب » للتيجانى بشير .

٣ — التعبير بالصورة :

وتنتقل القصيدة عند مدرسة أبولو من تعبير بالألفاظ والجمل إلى تعبير بالصور الشعرية ، وهذا أهم ماتطورت إليه القصيدة الجديدة ، ويشير إلى ذلك إبراهيم ناجى فى مقال نشره فى مجلة أبولو عدد ديسمبر سنة ١٩٣٢ (١) فيقول : « الشعر موسيقى وخيال وإقناع وصور ، فموسيقى الشعر عنده تأتى بالبراعة فى اختيار اللفظ وانسجامه ليؤدى المعنى المطلوب ، أما الاقناع ففى حيث يضطرك الشاعر إلى متابعته وإلى السير وراء رأيه والإيمان به ، ويملك عليك مشاعرك ، من غير أن يملك أو يشعرك أنه يقودك وأنت تتبع ساحرا جبارا لاخلاص لك منه ، وأما الخيال فاطلاق النفس للتصورات العالية لا للاستعارات والكنايات اللفظية ، وأما الصور الشعرية فنعنى بذلك أنك حين تقرأ للشاعر قطعة من شعره يكون الشيء كأنه مرسوم أمامك بوضوح شديد ، ومجسم « بارز » تجاه بصرك (٢)

ويشرح ذلك ناجى فى مقام آخر ، فيقول : « الأسلوب التصويرى فى مذهب الصوريين هو من مظاهر التطور فى الأدب الأوربى (٣)

---

(١) ص ٣٥٥

(٢) راجع ١١٩ مذاهب الأدب للخفاجى .

(٣) ٧٠ - ٤٥ : ٤ قصة الأدب المعاصر للخفاجى .

الحديث ، ويبني الصوريون مذهبهم على أن الأدب يجب أن يكون صورا متلاحقة مضغوطة ، وقد بالغوا في ضغط صورهم ، وتفننوا حتى حملوا الكلمة صورا مجتمعة لا صورة واحدة [1] ، وقادهم ذلك إلى الرمزية ، فمذهب الصوريين كان يعتمد على الأسس الآتية :

١ — التصوير الشعري :

٢ — التركيز . ٣ — الضغط .

٤ — استعمال اللفظ الموحى [2] :

وقد كان شكسبير غنيا بالصور حتى إن الصوريين عجزوا عن اللحاق به في هذا المضمار ، ولكن غزارة مادته حالت بينه وبينه التركيز والضغط ، وجاء شعر شيللي على غرار مادعا إليه المذهب الصوري ، وكانت صوره من الكثرة بحيث تبهر البصر ، ولكن المدرسة الشعرية الجديدة في انجلترا وجهته توجيها سيكولوجيا جديدا [3] .

فقد كانت الكلمة عند الصوريين واضحة تؤدي معناها مباشرة ، وتعني ماتقول ، أو بعبارة أخرى كانت تصدر عن العقل الواعي لتخلق

(١) ٧٧ : ٤ المرجع السابق .
(٢) ٧٣ : ٤ المرجع
(٣) ٧٣ : ٤ المرجع
(٤) ٧٤ : ٤ المرجع نفسه

صورة محددة أو عدة صور، ثم اتجهت اتجاهاً رمزياً آخر ، ويشير عرضاً إلى الصورة الشعرية زكي مبارك [١] فيقول : « إن فضل الصورة الشعرية هو تمكين المعنى فى النفس وإن غاية الكلام البليغ من نثر أو شعر إنما هو التأثير ، وهو يريد بالصورة الشعرية هنا معناها الآخر ، الذى هو الصياغة الشعرية ، وهو الذى أراده من قديم أرسطو حيث يقول فى كتابه « فن الشعر » : « علينا أن ننهج نهج المصورين البارعين ، الذى يوضحون الملامح بدقة ، ولا يغفلون الشبه بين الحقيقة والصورة [٢]

ومن مثل استعمال الصور الشعرية قصيدة ناجى ، « رسائل محترقة » أو قصيدة ابى ماضى « الطلاسم » ، أو قصيدة على محمود طه « البحر والقمر » [٣] ، أو قصيدته « القمر العاشق » أو قصيدة « النهر المتجمد » لميخائيل نعيمة [٤] ، أو قصيده « النهر العاشق » لنازك الملائكة ، أو قصيدة «مناجاة» [٥] للشابى التى يقول فيها :

أنت يا شعــر فــلذة من فؤادى

تتغنى ، وقطعة من وجـــودى

---

(١) ٦٠ الموازنة بين الشعراء

(٢) ٦٣ الشعر لأرسطو ترجمة إحسان عباس

(٣) راجعها فى ٢١٤ مذاهب الأدب للخفاجى

(٤) ١١٦ الشعر وقضيته للعريض

(٥) ديوان أغانى الحياة للشابى

فيـك ما فى جوانحى من حنـين
أبدى إلى صميم الوجـود
فيـك ما فى طفولتى من سـلام
وقنـوع وغبطة وسعـود
فيـك ما فى شبيبتى من أمان
باسمات ومن غـرام سعيـد
فيـك ما فى شبيبتى من قنـوط
مدلهم وحـيرة وجـود
أنت يا شعر صفحة من حيـاتى
أنت يا شعر قصة من وجـودى
أنت يا شعر إن فرحت أغاريـ
ـدى وإن رانت الكآبة عودى

ومن ذلك قصيدة « الطير الغريب » للشاعر كيلانى سنـد(١) ، ويقول فيها :

أبى لا يزال ولكن طـوى ظله فاحتوانى الهجير
وأمى ماتت وكنت أنا
أعيش بحـلم كبير كبير

---

(١) ص ١٩ — ٢١ فى العاصفة — ديوان — شعر كيلانى سند .

ففى هذه القصيدة تجد التعبير بالصورة واضحا مجسما ، وتجد كذلك تجربتها الشعرية عميقة ، ووحدتها العضوية ملموسة ، والشاعر فيها يصور موت أمه وهو طفل صغير ، وكيف شعر بمرارة فراقها ، وآلام وحدته بعدها ، وكيف غمره أبوه بحنانه ، ثم تزوج بعد قليل فصرف حبه عنه إلى أشياء أخرى . . إلى آخر ما قال الشاعر فى هذه القصيدة المؤثرة الرائعة ، التى تعد من أحسن قصائد ديوانه « فى العاصفة » وهـذه القصيدة وقصيدة نزار قبانى فى تصوير وفاة أبيه وبكائه عليه ، مختلفتان فى المنزع متباينتان فى الاتجاه ، يقول نزار فى قصيدته :

أمات أبوك
ضلال أنا لا يموت أبى
ففى البيت منه روائح رب وذكرى نبى
هنـا ركنه تلك أشياؤه
تفتق عن ألف غصن صبى
جريدته . تبغـه ، متكاه
كأن أبى بعـد لم يذهب
وصحن الرماد . وفنجانه
على حاله بعـد لم يشرب

إن التعبير بالصورة ولا شك كان من تأثيرات المدرسة الرومانسية الانجليزية فى الشعر المعاصر .

٥ — الطبيعة عند شعراء أبولو :

يغالى شعراء أبولو فى حب الطبيعة حتى لتصبح عندهم الأم الرؤوم ، والملاذ الذى يجدون السكينة فى جواره ، بعيدين عن زيف المدنية وصخب المدنية ، وهم لا يقبلون عليها واصفين ، ولا يصفونها مادحين ، إنما يندمجون فى روحها ويعانقونها عناق الأحباب ، ويصفون إحساسهم ومشاعرهم نحوها أكثر مما يصفون مشاهدها الجميلة ، وهذا اتجاه رومانسى واضح ، فالرومانسية تدعو إلى أن يستلهم الشاعر فنه من الطبيعة والعاطفة الإنسانية(١) والشعراء الرومانسيون يفرون من المدينة إلى الريف ، ويلقون بأنفسهم فى أحضان الطبيعة ، ويترنمون بجمالها الخالص ، لأنهم يعتزون بالحرية ، ومن ثم كرهوا قيود المدينة ولجأوا إلى الريف الحر البسيط يستلهمونه أعذب ما ينظمون من أناشيد وقصائد فى وصف الطبيعة .

وقد أجاد مطران وشكرى، وأبو شادى وناجى والشابى وعلى محمود طه ، وسواهم من شعراء أبولو فى وصف الطبيعة ، وترنموا بجمالها ، وكذلك فعل الشعراء المهجريون لأن النزعة الغالبة عليهم وعلى شعرهم هى النزعة الرومانسية(٢) ، واشتهر محمود حسن إسماعيل بديوانه « أغانى

---

(١) ٣٠٦ النقد الأدبى لاحمد أمين .

(٢) ١٧٣ تطور الشعر العربى الحديث فى مصر لماهر فهمى :

الكوخ » وبشعره فى الريف ، وهذا أبو شادى يفر من عالم الناس إلى محراب الطبيعة فيقول :

وجعت للماء المعربد مستزيدا ما حكاه
ورجعت للزهر المبادل من يضاحكه أساه
وتركت كون الناس فى يأس إلى كون سواه(١)

ويقول محمود غنيم :

نبهونى لدى السحر نبهونى
وضعونى على النهر ودعونى
أنا والماء والشجر فى مكون
أملأ السمع والنظر بالفنون
ثم أفضى إلى القمر بشجونى

٦— صوفية الحب العذرى عند شعراء أبولو :

وهذه الصوفية فى الحب عرفها الشعراء العذريون فى عصر بنى أمية فنــا يختلط بمشاعرهم وقلوبهم وبدموعهم وأحزانهم وتحولت إلى حب صوفى عند الشاعر عبد الرحيم البرعى اليمنى الذى نبغ فى الشعر وطبع ديوانه

(١) ٩٧ عودة الراعى لابى شادى .

فى مصر ويحتوى على أبواب هى : الربانيات ثم النبويات ثم الصوفيات ثم الوعظيات ، وظهر هذا الحب الإلهى عند ابن الفارض (٦٣٢ هـ) ، وانتقلت هذه النزعة إلى الأندلس ، فوجدنا هذا الغزل الصوفى فى شعر الشعراء الأندلسيين وأمامهم فى الغزل الصوفى الشاعر الأندلسى الششترى (٦٨٨ هـ) وتأثر بهم الشاعر الأسبانى « رامون لول » (المتوفى نحو عام ٧١٥هـ) وكان ملما بالثقافة العربية .

ثم شاع هذا الاتجاه الصوفى فى الحب فى الشعر الأسبانى والفرنسى على يد شعراء التروبادور ، كما شاع فى الشعر الفارسى والتركى ، وقد قلد بترارك الشاعر الإيطالى لغة الغزل التروبادورية ، وشاع أسلوبه فى إيطاليا وانجلترا فضلا عن فرنسا وأسبانيا ، وصار الشعر الغزلى الغنائى يحاكى الغزل العذرى بخصائصه المعروفة . ومن ثم أخذ الرومانسيون هذا الأسلوب فى شعرهم الوجدانى العاطفى فكثرت فيه ألفاظ اللهب والشوق والحرمان والعذاب والألم والسقم إلى غير ذلك .

وقد عرف هذه النزعة الصوفية فى الحب شعراء أبولو ، وأخذوها تيارا عاطفيا يتمثل فى فلسفتهم العاطفية المملوءة بالحب والحرمان والألم والعذاب والضنى والأرق ، فالحب عندهم متعة للروح لا للجسد .

وهذه نزعة الرومانتيكين السائدة ، فتن بها شعراؤنا وشعراء المهجر ، وقصيدة الشابى « صلوات فى هيكل الحب » مثل من أمثلة هذه الظاهرة الفنية ، ويقول فى مطلعها :

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام   كاللحن كالصباح الجديد

كالمساء الضحوك كالليلة القمـ ... ـراء كالورد كابتسام الوليد

إلى أن يقول :

أنت تحيين فى فؤادى ما قـد
مات فى أمسى السعيـد الفقيـد
والصبـا الجميـل ينعش بالدفء
حيـاة المحطم المكدود
أنقـذيني فقـد سئمت ظلامى
أنقذيني فقـد سئمت ركودى

وهذا ابراهيم ناجى يقول من قصيدته « رسائل محترقة » :

ذوت الصبابة وانطوت ... وفرغت من آلامها
لكنني ألقى المنـا ... يا من بقايا جامها
عادت إلى الذكريا ... ت بحشدها وزحامها
فى ليـلة ليـلاء ... أرقني عصيب ظلامها
هدأت رسائل حبها ... كالطفل فى أحلامها
أشعلت فيهـا النار تر ... عى فى عزيز حطامها
تغتال قصة حبنـا ... من بدئها لختامها
أحرقتها ورميت قلـ ... ـبى فى صميم ضرامها

٧ — نزعة الحرمان عند شعراء أبولو :

وكذلك سادت فى شعر شعراء أبولو نزعة الحرمان والندم ، والحزن والسقم ، والكآبة والألم ، والحديث عن الموت والفناء والعدم ، إلى غير ذلك من ألوان التشاؤم والقلق الحيرة .

ودواوين الشابى والتيجانى بشير وحسن كامل الصيرفى وغيرهم حافلة بذلك . وكذلك شعر ناجى والهمشرى والشرنوبى ، يقول الشابى :

جف سحر الحياة يا قلبى البا كى فهيا نجرب الموت هيا

وهو أشبه بقول كيتس الشاعر الانجليزى : « الشعر والمجد والجمال أشياء عميقة ، ولكن الموت أعمق ، الموت مكافأة الحياة الكبرى ، والآن يبدو لى أكثر من أى وقت آخر أن من الخصوبة أن أموت » ، وقد مات الشابى وكيتس معا فى سن مبكرة(١) ، وكذلك الهمشرى(٢) والشرنوبى .

والدموع ضرورة للعبقرية كما يقول الأديب الفرنسى اسكندر دياس ، والحزن السامى يجعلنا نقدر لذة الحياة كما يقول الفريد دى موسيه ، وذلك هو ما يقوله حسن كامل الصيرفى صاحب ديوان « الألحان الضائعة » :

---

(١) راجع ٢٧ وما بعدها قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة .
(٢) ظهر ديوانه عام ١٩٧٤ جمع وتحقيق الشاعر الكبير صالح جودت .

دموعى كنت آمالا تمـد القلب بالبشر
وكانت هـذه الآما ل كالأنغام فى النجر

ويقول الشاعر أحمد رفيق المهدوى (١٨٩٨ — ١٩٦١) :

بين دمعى ونحيبى يا شبـابى نتلاشى
كتلاشى الظل فى الشمس يطـير[١]

ويقول أحـد شعراء المدرسة : إن المرء طفل يهذبه الألم ، ويقول آخر: لا شيء يسمو بنا كما يسمو الألم ، ويقول ثالث : أروع الشعر ما كان أنات خالصة .

٣ — ثورة التجديد عند شعراء أبولو

(أ) ولقد قامت مدرسة أبولو بثورة تجديدية كبيرة فى بناء القصيدة الفني ، فأعلنوا الشعر الحر « واحتفوا بالشعر المرسل[٢] . ونوعوا الأوزان وجددوا فيها ، وعددوا القوافى ولونوها بألوان كثيرة ، ونظموا الشعر القصصى والروايات التمثيلية والأقصوصة الشعرية ، وصاغوا الأناشيد فى الهيام بالطبيعة ووصف الجمـال والتحدث عن أعمق خطرات النفس

---

(١) ص ٣٦ ديوان المهدوى .
(٢) يجيز الزيات النظم من الشعر المرسل ، مجلة قافلة الزيت عدد شعبان ١٣٨٣ هـ .

الإنسانية ، غير مبالين بالمناسبات الطارئة والحالات الوقتية الملحة .

ونادوا بتحرر القصيدة فى شكلها ومضمونها وفى فكرتها وصورتها الموسيقية من قيود كثيرة ، ورددوا مذهب الفن للفن ومذهب الفن للحياة ، وأن الشعر عاطفة وخيال وفكرة وموسيقى وصورة شعرية .

ولقد دخلوا فى معارك نقدية كثيرة ، وكما ثارت المعارك النقدية فى فرنسا فى القرن ١٧ و ١٨ بين أنصار الجديد والقديم . وكما قامت هناك فى أوائل القرن التاسع عشر معركة « حول المذهب الرومانسى والموازنة بينه وبين المذهب الكلاسيكى » كذلك قامت معارك نقدية وخصومات أدبية حول دعوة شعراء مدرسة أبولو ، الذين انطلقوا لا يلوون على شيء داعين إلى الحرية الفنية ، واحترام المذاهب الأدبية والنقدية جميعها وتقديرها .

وكانت آراء مدرسة أبولو فى النقد مجاربة لآراء المذهب الرومانسى فيه ، وتتلخص فى النظر إلى العمل الأدبى وحده ، إذ أن النقد يجب أن يتبع الأدب ، لا أن يتبع النقد ، وإلى تحرير النقد من مفاهيم تقليدية كثيرة ، وإلى أن غاية الأدب التى يرمى إليها هى اللذة العاطفية وروحه الخيال وجسمه الأسلوب .

وقد حاربت مدرسة الرومانتيكيين فى فرنسا نظرة الكلاسيكيين إلى النقد كعلم له قواعد مدروسة ، ورجعت إلى الشعور والعاطفة والنفس فى أحكام النقد ، وإلى هذا نادى سانت بيف : « ليس هناك قواعد تخلق الكاتب الكلاسيكى » ، وقوله : النقد لا يمكن أن يصبح علما موضوعيا ، وسيبقى فنا دقيقا فى يد من يحاولون استخدامه ويقول

جول ليمتر » : « إننا نحكم بالجودة على ما نحب أى أننا نرى حسنا ما نحب » . . وكانت هـذه هى نظرة مدرسة أبولو فى النقـد ، ولهذا المذهب أصول فى نقدنا العربى القديم حيث كان الجرجانى يرى أن النقد يجب أن يكون فنا طليقا لا يخضع إلا لحكم الذوق الأدبى السليم والملكات الفنية الخالصة بعكس نظرية قدامة ابن جعفر فى النقد التى كانت تعتبره علما يسير على مناهج مدروسة ، وهذه هى نظرية تين الناقد الفرنسى المشهور ، مما يجعل لتراثنا العربى منزلة كبيرة فى النقد ، إذ سبق نقادنا إلى نظريات نقدية صارت هى اليوم أحدث المذاهب فى فرنسا .

وقد وضعت مدرسة أبولو مفاهيم جديدة للفظة الشعرية والصورة فى الشعر ، ونادوا كما كان ينادى وردزورث بتجنب تلك التشبيهات التى كان يتوارثها الشعراء وطعموا شعرهم بألوان من الرمزية والسريالية والواقعية وغيرها من المذاهب الأدبية .

والحقيقة أن دعوة مدرسة أبولو إلى التجديد فى أوسع نطاق ، وبعدهم كثيرا عن المناهج المألوفة فى النظم ، وتطويعهم اللغة والأسلوب للفكرة والمعنى والخيال ، والقصة الشعرية ، كان ذلك كله مدعاة لزللهم فى بعض الأحيان ، وحجة لخصومهم عليهم .

(ب) وإذا أردنا أن نناقش هذه الأفكار فى إجمالها ، فإننا نقول :

١ — من حيث المذهب الشعرى

عرف العرب مذاهب أدبية كثيرة ، واختصموا حولها وثارت معارك نقدية خصبة فى القديم من أجلها ، ومن بينها : مذهب الغزل العذرى ، ومذهب الغزل القصصى ومذهب الصنعة أو البديع فى الشعر العربى ، والمذهب العقلى عند شعراء القرن الثالث والرابع والخامس ، وغيرها من مذاهب الأدب والشعر[1] . ولا ضير بتأثير العصر وتقارب الأمم واتصالها فكريا وثقافيا وأدبيا بعضها ببعض أن يقف أدباؤنا على المذاهب الأدبية الحديثة يأخذون منها ما يرونه صالحا للتطبيق على أدبنا مما يلائم الذوق العربى وحده ويتركوا ما عداه ، لا أن يأخذوها جملة وتفصيلا ، نظرية وتطبيقا[2] . بل أن نثر المنفلوطى كان بذرة رومانسية فى النثر العربى ، وكذلك كان نثر طه حسين امتدادا لفن المنفلوطى والرومانسيين فى النثر الأدبى .

ولا ننسى تأثيرات ما جدولين والشاعر وهى من روايات المنفلوطى ، وكذلك رواية البؤساء التى ترجمها حافظ إبراهيم وكذلك آلام فرتر التى ترجمها الزيات وكلها من الأدب الرومانسى ، فقد أثرت تأثيرا عميقا فى طبقة كبيرة من الأدباء .

---

(١) راجع ٢٤ — ٢٧ محاضرات فى الأدب لمندور ، وراجع كذلك ص ٢٤ مذاهب الأدب للخفاجى .

(٢) راجع ص ١٠ ثورة الأدب .

والذى نذهب إليه هو ما يقرره لفيف من الأدباء المعتدلين ، ومن بينهم : الدكتور محمد النويهى فى مقاله الذى نشر فى مجلة الثقافة المصرية عدد ٢٤ ديسمبر ١٩٦٣، وقرر فيه فائدة المفاهيم الغربية الحديثة فى الأدب والنقد ، ونادى بالأخذ من هذه المذاهب بقدر ، وبالحذر فى تطبيق مقاييس النقد الغربى ، وعدم الاندفاع إلى إقحامها على تراثنا الأدبى ، فمن الأدب العربى نفسه يجب أن نستنبط المفاهيم والمقاييس التى يحكم بها عليه .

إن هذه المذاهب والنظريات الحديثة فى الأدب والنقد قد كانت أبعد الأشياء عن الخواطر التى كانت تجرى على ألسنة الشعراء ، فتحكيمها فى الأدب العربى جملة وتفصيلا أمر يدعو إلى العجب والدهشة ، ولقد فطن النقاد حتى فى أوربا إلى هذه الحقيقة ، ودعوا إلى الاهتمام بها ، حتى لقد قال أحدهم : ان شيئا لم يؤثر فى الآداب القديمة مثلما أثرت فيها الآداب الحديثة ، مشيرا بذلك إلى المحاولات التى يقوم بها بعض الناس عندما يعيدون دراسة تلك الآداب القديمة ويقحمون عليها النظريات الحديثة التى لم تكن تخطر ببال منشئيها :

فهذه المذاهب الأدبية لا يمكن تطبيقها كمقاييس نقدية على أدبنا العربى من جانب ، وإن كنا لا نعارض تأثر طبقات ومدارس أدبية بها واتخاذهم لها مناهج يحتذونها فى أدبهم الجديد .

٢ — من جانب التأثير الأدبي للغرب في أدبنا

فإننا لانقبله ، وندعو إلى تحرر الأدب الحاضر منه ، مع أن دراسات الأدب المقارن . تعتبر مثل هذه التأثرات والتأثيرات ظاهرة أدبية عامة بين جميع آداب العالم .

وإذا كان هيكل يقول في كتابه « ثورة الأدب » : لابد لثورتنا الأدبية أن تثبت أنها تشارك الغرب اتجاهاته الأدبية[١] ؛ وإذا كان أحمد أمين يقول : إن الاتجاه السائد الآن في الأدب والنقد هو الاتجاه الغربي فيهما بمحاولة تطبيق النظريات الغربية ومقاييس النقد الغربي على الأدب العربي[٢] ، مع الفوارق الكبيرة بين الأدبين لاختلاف البيئتين ونتاجهما .

وإذا كان مندور يقول : منذ عودتي من أوربا أخذت أفكر في الطريقة التي نستطيع بها أن ندخل الأدب الغربي المعاصر في تيار الآداب

---

(١) من الدعاة إلى هذا غنيمى هلال الذى يقول ما نصه : « مجلة الثقافة عدد ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ » : كيف يتاح لنا أن ندعو إلى جديد ما لم نتعمق في دراسة القديم على حسب المعايير النقدية الحديثة .

(٢) ٤٥٦ النقد الأدبي لأحمد أمين .

العالمية ، ويقول : أخذت من أستاذى طه حسين الإيمان بالثقافة الغربيـة وخاصة الإغريقية والفرنسية[1] .

وإذا كان غنيمى هلال يقول بوجوب دراسة أدبنا القديم على حسب المعايير النقدية الغربية الحديثة[2] .

فإننا ندعو إلى وجوب محو هذا التأثير الأدبى أو أن يكون فى أضيق حـدوده كما يتأثر الغرب بأدبنا فى أضيق الحـدود كذلك . وننكر المحاولات التقليدية المحضـة التى ليست نابعـة من نفوسنا وبيئتنا وثقـافتنـا .

٣ — من حيث دعوة التجديد

إننا نؤمن بذلك ولا ننكره ، ندعو إليه فى أوسع نطاق ، ولكن بحيث لا يجافى أصول الأدب والشعر ، فإن كثيرا من المفكرين يقولون : إن الفنون تحييها القيود ، والمثل الفرنسى يقول : لايحيا الفن بغير القيود[3] ، فكيف تثور على القيود الفنية التى هى صميم العمل الأدبى فى البنـاء الشعرى نفسه .

---

(١) مقدمة فى « الميزان الجديد » لمندور — وقريب من ذلك ما ذكره فى ص ٤٨ .

(٢) مجلة الثقافة المصرية عدد ١٨ نوفمبر ١٩٦٣

(٣) « فى الأدب والنقد لمندور .

٤ — من حيث الآثار التى أحدثها شعراء أبولو
فى الشعر المعاصر، وهى أثار كبيرة ممتدة شاملة

فلقد كان لهذه المدرسة فضل إظهار كثير من الشعراء فى العالم العربى، كالشابى (١٩٠٩—١٩٣٤) مثلا[1]، الذى اتصل بأبى شادى وبشعراء المدرسة، وكتب فى مجلة أبولو فصولا نقدية، ونشر شعره على صفحاتها، بل كتب مقدمة ديوان أبى شادى «الينبوع»، ومن مظاهر تأثر الشابى بهذه المدرسة فى شعره أنه أخذ فكرة قصيدة «إرادة الحياة» من قصيدة لأبى شادى عنوانها «النهضة إرادة[2]»، وكذلك[3] قصيدة الشابى «عذبة أنت الخ» تجاوب فيها مع قصيدة أبى شادى «عروس المأتم»[4] ومطلعها:

عـذبة أنت فى الخفاء وفى الجهـ
ـر، وفى الهجر يا أغانى الظـلام

وأنه تجاوب فى موسيقاه فى قصيدته «الصباح الجديد» التى مطلعها:

اسكتى يا جراح اسكنى يا شجون

---

(١) يقول إبراهيم العريض فى كتابه «الشعر وقضيته فى الأدب العربى الحديث»، ص ٦٤، إن الشابى كان ممن انتفع بالمشعل الذى حمله مدرسة أبولو.
(٢) ديوان الشفق الباكى.
(٣) ٩٢ : ٣ قصة الأدب المعاصر.
(٤) ديوان زينب لأبى شادى.

لقم قصيدتين لأبى شادى أولهما الوداع(١) ومطلعها :

انتهب يا شعـــاع نبـض قلبي الحزين

وثانيهما قصيدته « بعد الصيف »(٢) ومطلعها :

اضحــكى يا رمال من هـــدير الميــاه

فقـد تجاوب الشابى فى قصيدته مع هاتين القصيدتين فى الموسيقى والصور ، كما تجاوب معهما كذلك الشاعر إبراهيم ناجى ، وكان الشابى وناجى معجبين بكلتا القصيدتين ، ونظم ناجى على منوالهما قصيدته « عاصفة روح »(٣) التي يقول فيها :

أين شط الرجاء يا عباب الهموم
ليلتي أنـــواء ونهارى غيـوم
أعولى يا جـــراح أسمعى الديان
لا يهـــم الرياح زورق غضبـــان
البلى والثقـــوب فى صميم الشراع
والضنى والشحوب وخيـال الوداع

---

(١) ديوان قطرة من يراع .

(٢) ديوان أشعة وظلال .

(٣) بجلى عدد سبتمبر ١٩٣٥ ، الرسالة عدد ١١٥ (١٩٣٥/٩/١٦) ، ١١٦ (١٩٣٥/٩/٢٣) ، ١١٧ (١٩٣٥/٩/٣٠) ، ١١٩ (١٩٣٥/١٠/١٤)

كما نظم ميشيل عفلق قصيدة عنوانها « عاصفة » على هذه الموسيقى الشعرية[1] ، وتجاوب فيها مع روح أبي شادي وناجي وخيالهما الشعري ، ومنها :

اعصفي يا رياح واهزئي يا سماء

من يكن ذا جناح هل يهاب الفضاء

وكتب أنور العطار عنها يقول : إنها من قصيدة لشاعر من شعراء سوريا في المهجر[2] :

ومن القصائد التي نظمت على هذه الموسيقى الشعرية قصيدة ميخائيل نعيمة التي عنوانها (الطمأنينة) وهي إحدى قصائد ديوانه (همس الجفون) ومطلعها :

سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر

فاعصفي يا رياح وانتحب يا شجر

واسبحي يا غيوم واهطلي بالمطر

واقصفي يا رعود لست أخشى خطر

سقف بيتي حديد ركن بيتي من حجر

---

(١) مجلة الدهور سبتمبر ١٩٣٤ ، ومجلة الرسالة عدد ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ وعدد ١٠٢٣

(٢) الرسالة عدد ١١٧ (١٩٣٥/٩/٣٠) ، وعدد ١١٨

ولأمجد الطرابلسى من هـذه الموسيقى قصيدة عنوانها (احترق احترق)[1] .

وممن كان لهذه المدرسة آثار فنية وفكرية فى شعرهم : التيجانى بشير (١٩١٢ — ١٩٣٧) صاحب ديوان « إشراقة » الذى يحفل بالتيار الرومانسى .

ولقد كتب التيجانى فصولا نقدية يدافع فيها عن شعراء مدرسة أبولو ، ويرد على الذين نقدوا ديوانى « الألحان الضائعة » للصيرفى و « الملاح التائه » لعلى محمود طه ، وهو طاهر الطناحى الذى نقد الديوانين فى مقال له نشره فى جريدة البلاغ[2] .. وكان مما أخذ عليهما بعض الأساليب الجديدة من مثل : شرب الضوء ، «رشف الأشعة ، والتهام النظرات . . ويقول التيجانى : إن مثل هذه الأساليب فى نظرى هى مشكلة الأدب اليوم ، وردها إلى ما فى ملكات الشاعر المعاصر من تلطف فى المعانى ، واندفاع من الهواجس ، وتوغل فى الشعور ، وافتنان فى التعبير ، وإلى ما عنده من عمق وشذوذ فى توثب الخيالات بعضها إثر بعض ، وتزاحمها فى البيت الواحد من الشعر الحديث ، ومن خروج على ما خلفه الشعراء من مناهج ظل وما زال يسلكها الشعر القديم ، وأهم ميزات الشعر الحديث كما يرى التيجانى أنه أصبح يؤدى واجبه فى الحياة كلفة سماوية

---

(١) ٢٣٥ قضايا الشعر المعاصر — لنازك الملائكة .

(٢) عدد ٦ — ٩ — ١٩٣٤

عليا ، لا كاصطلاحات بشرية قاصرة ، ويؤكد التيجاني رأيه في استمرار وكثرة الخصومات الأدبية حول الغموض في الشعر وغرابة المعنى وتعقده وإبهامه ، ثم يعرض رأى المازنى ويلوح بخطئه فى نقده لديوان على محمود طه . . ثم يقول : ولقد قرأت فصلا لبعض النقاد يأخذ فيه على الصيرفى كثيرا من أساليبه ، مثل :

عصرت روحى خمرا للورى وهوى
وما تذوقت منهـا بعض ما شربوا

إذ سأل هذا الناقد : كيف تعصر الروح والعصر شىء مادى والروح روح لامادة ، ويرى التيجانى أن ذلك تعنت ، واضطراب لايدل على ذوق أو نزاهة أدبية(١) .

ومن الشعراء الذين نبغوا من بين شعراء هذه المدرسة : إبراهيم ناجى والصيرفى والهمشرى ، ومحمود أبو الوفا .

وكذلك على محمود طه (١٧ نوفمبر ١٩٤٩) ، وقد نقده مندور بأن الحاسة الفنية ضعيفة فى شعره(٢) ورد عليه السحرتى(٣) . . ومن الشعراء الذين تأثروا بها كذلك محمود حسن إسماعيل ، وقد نقده مندور لاضطراب

---

(١) راجع ١٤٣ مذاهب الأدب للخفاجى .
(٢) ١٨ — ٢٤ فى الميزان الجديد .
(٣) ٢١٠ الشعر المعاصر .

الرؤية الشعرية عنده وضعف إحساسه الفني[1] ، وقد عاصرها وتأثر بها الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوى (١٨٩٨—١٩٦١) الذى دعا إلى التحرز من قيود الوزن والقافية فى قصيدته « أما آن »[2] .

ومن الدواوين التى أحدثت صدى كبيرا من بين الدواوين التي نشرتها جماعة أبولو : ديوان وراء الغمام لناجى ، وديوان الملاح التائه لعلى محمود طه ، وديوان الألحان الضائعة للصيرفى — وقد نقد محمود الخفيف الصيرفى فى هذا الديوان ، نقدا لاذعا ، فأخذ عليه ميله إلى المجازات والاستعارات الغريبة مثل « كهوف الحياة » ، وقيثارة الحياة . . ورد عليه الصيرفى[3] ، ونقده كذلك سيد قطب[4] ورد عليه الصيرفى أيضا[5] .

وقد انتقلت المعركة من ديوان الصيرفى أيضا إلى دواوين أبى شادى نفسه ، وإلى مذهبه فى التجديد ، فهذا أديب[6] ينقد أبا شادى فى شعره وفى تصديره للألحان الضائعة ، وهاجم كامل الشناوى

(١) ٧٥ فى الميزان الجديد .
(٢) ص ٨٠ ديوان المهدوى .
(٣) الرسالة ١٩٣٤
(٤) الأهرام ٢٠/١٠/١٩٣٤
(٥) مجلة أبولو نوفبر ١٩٣٤
(٦) السياسة عدد ٣/١٠/١٩٣٤

مدرسة أبولو الشعرية وسخر من أبي شادى وآرائه(١) وكتب حبيب الزحلاوى ينقد مغالاة الأدباء فى كتابة مقدمات الكتب ويعنى بذلك أبا شادى الذى عرض لمقدمته للألحان الضائعة(٢) ، ولقد امتد تأثير مدرسة أبولو فشمل كثيرا من الشعراء الذين ظهروا قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها فى مصر والعالم العربى ، ومن بينهم : جليلة رضا وصفية أبو شادى وكمال نشأت وفوزى العنتيل ونازك الملائكة وسواهم(٣) ، وكانت آراء مدرسة أبولو سببا فى جدل كثير من الأدباء والنقاد حول قضايا الأدب ومفاهيمه ، فبعض هذا الجدل دار حول المذهب الأدبى ، وبعضه دار حول الشعر الجاهلى الذى كتب أحمد أمين عنه(٤) ، بعنوان « جناية الشعر الجاهلى على الأدب العربى » ورد عليه بعض الأدباء(٥) ، كما رد عليه د. زكى مبارك أيضا .

وبعضه الآخر كان حول قضية اللفظ والمعنى ، فالزيات يفضل اللفظ(٦) على نحو ما كان يؤثر عن الجاحظ ، وهيكل يفضل المعنى

---

(١) البلاغ عدد ١٩٣٤/١٠/١٧

(٢) المقطم عدد ١٩٣٤/١٠/١٩

(٣) راجع كتاب « شعر اليوم » .

(٤) مجلة الثقافة ١٩٣٩

(٥) مجلة دار العلوم ، أكتوبر ١٩٣٩

(٦) ٢٦ دفاع عن البلاغة .

ذاهبا إلى أن اللغة ليست إلا الكساء الظاهر وجوهر الأدب هو الأفكار والعواطف[١] وكذلك كان اتجاه ميخائيل نعيمة الذى نقد مذهب أنصار اللفظ[٢] .

وكذلك كان مذهب الرصافى والزهاوى ، آثرا المعنى على اللفظ حتى قال الزهاوى : لا يؤسفنى شىء كعناية الشعراء باللفظ أكثر من عنايتهم بالمعنى الذى صيغ اللفظ لأجله[٣] . وهذا هو منهج عبد القاهر وبعض النقاد القدماء .

أما طه حسين فسوى بين اللفظ والمعنى[٤] ، على نحو ما صنع ابن رشيق القيروانى فى كتابه المشهور « العمدة » .

واشتدت الخصومة آنذاك بين أبى شادى والعقاد وأنصار كل منهما ، ولم تنته إلا بهجرة أبى شادى إلى أمريكا عام ١٩٤٦ . وإقامته بنيويورك ثم واشنطون التى توفى فيها .

والآن وبعد أن رحل عنا الكثير من رواد مدرسة أبولو ،

---

(١) ثورة الأدب .

(٢) الغربال .

(٣) شعراء العصر — الجزء الثانى — د . محمد صبرى ، ١٩١٢ ، القاهرة .

(٤) ٢٢٢/٣ حديث الأربعاء .

وخفت صوتها فى جونا الأدبى والفنى ، تعود إلى الظهور مرة أخرى عن جديد ممثلة فى رابطة الأدب الحديث .

ولكن بفلسفة مغايرة للرومانسية حتى تواكب العصر وتواجه تحديات المستقبل ، وهذه الفلسفة تنبع من التعادلية التى دعا إليها منذ أعوام طويلة الأديب المصرى الكبير توفيق الحكيم ، وهى فلسفة مستمدة من التراث العربى والإسلامى .

* * *

الدكتور أحمد زكى أبو شادى[1]

١٨٩٢ — ١٢ إبريل ١٩٥٥

لم يكن شاعراً تتألق فى شعره الصناعة الفنية ، أو تزخر قصائده بموهبة الشاعر وطبعه فحسب ، إنما كان شاعراً رائداً ، يحمل شعره — مع القيمة الجمالية — قيما فكرية وإنسانية كبيرة . .

أنا ابن هواى ، ثم أنا ابن فكرى ولست أعيش فى هـذا الزمان
أعيش بكل عصر عبقـــرى تألق فى الشعور وفى البيان[2]

فلقـــد عاش أبو شادى مؤمنا بمثالياته ، داعيا فى شعره إلى الإنسانية الرحيمة . يمتزج فنه بانسانيته ، ويستمد عقله من ينابيع شاعريته الملهمة ، وقلبه الكبير . عاش يوزع الحب والسلام بين الناس ، خصومه وأصدقائه على السواء ، كما يقول فى قصيدته « محال » من ديوانه « أطياف الربيع » :

محال أن تحاول هـــدم حبى وإن لم ألق بين الناس حبا
صفحت عن الخصوم وإن أساءوا وكادوا ، واعتبرت الكل صحبا

---

(١) راجع رائد الشعر الحديث بجزئيه للمؤلف ، وجماعة أبولو لعبد العزيز الدسوقى ، وأبو شادى رسالة الدكتوراه لكمال نشأت .

(٢) ص ٩٩ « أطياف الربيع » .

لهم أسفى وإشفاقى وقلبى ... وإن لم يعرفوا أسفا وقلبا
ومهما خلتنى أشكو بيأسى ... ذنوب الناس خلت اليأس ذنبا
سيطوينا الزمان وكل ذنب ... سيمحوه الزمان لمن تأبى

وآثار النزعة الإنسانية الرفيعة ، التى لونت حياته وأدبه بألوان مشرقة من الحب والأخاء الإنسانى ، واضحة كل الوضوح فى شعره ، ويعبر الشاعر عنها فيقول :

إن كان للوطن العزيز رعايتى ... فلدولة الإنسان عهد ولائى

وقد خلف أبو شادى ثروة شعرية ضخمة ، سواء فى أغراضه وأفكاره ومعانيه ، أم فى أسلوبه وألفاظه ومبانيه ، وترك وراءه ثلاثة وعشرين ديوانا ، عدا قصصه ومسرحياته الشعرية العشر ، وعدا مؤلفاته الأخرى فى الأدب والنقد ، والدين والاجتماع ، وشتى جوانب العلم والثقافة . . وظل طول حياته يؤمن بالتجديد ويدعو إليه ، ويستلهمه روائع شعره ، ويصف روحه التجديدية فيقول :

من كان يشعر دائما بشعورى
فى الليل أو فى الفجر أو فى النور
وجد التجدد دائما إلفا له
فى النفس أو فى العالم المسحور
ورأى الحياة بما تجدد دائما
أسمى من الإفصاح والتعبير

وعلى الرغم من أبا شادى كان طبيبا متفوقا ، فقد عاش متأثرا بنزعات

أدبية عميقة غرسها فى نفسه حبه للشعر وتذوقه له ومواهبة فيه، ونماها فى عقله وقلبه نشأته الأدبية الأولى بين أب أديب وأم شاعرة، ثم استاذية « مطران » له، وتوجيهه إياه، وتخرجه على يديه فى الشعر، ثم سعة ثقافته ورحابة آفاق تفكيره، واطلاعه على الآدب العربية والغربية وتأثره باتجاهاتها الرائدة، فضلا عن أثر الجمعيات الأدبية — التى كان يرتادها — فى نفسه. وكانت البيئة المصرية فى أوائل القرن العشرين جد حافلة بالأدب والشعر، وكانت آذان الشباب المرهفة أكثر إصغاء لنشيد الشاعر، وأكبر إقبالا على الشعراء وشعرهم، وكل ذلك مما لفت عقل الشاعر الناشىء ووجهه نحو الشعر منذ طفولته.

وفى دواوين أبى شادى آثار من الشعر الوجدانى والغزلى وأوصاف الطبيعة، وجوانب من التصوف والفلسفة والنزعة الاجتماعية والإنسانية. ولأبى شادى شعر رمزى، وقد برع فى الشعر الوصفى، وهو من أوائل الشعراء الذين نظموا الشعر التمثيلى والشعر الحر والمرسل.. وقصائده حافلة بجديد المعانى وأبكارها، وطرافتها، وتمدد أخيلتها، مع عنايته بالجو الفنى للالفاظ، وبتركيز الأسلوب وكثرة الصور، والوحدة الفنية، والتجربة الشعورية والانسجام الموسيقى.

وفى سبتمبر ١٩٣٢ أنشأ أبو شادى « جمعية أبولو » الشعرية المشهورة، ذات الأثر البعيد فى مستقبل الشعر العربى المعاصر، وحاملة لواء التجديد فيه على أوسع نطاق، والداعية إلى مبادىء جليلة فى تاريخ الفكر الأدبى الحديث فى مصر والبلاد العربية على السواء.. وكان من أغراض هذه الجماعة الأدبية:

١ — مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر .

٢ — السمو بالشعر العربى ، وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا .

٣ — ترقية مستوى الشعراء أدبيا واجتماعيا وماديا .

ومن أجل خدمة هذه الأغراض أصدر بو شادى مجـلة « أبولو » لتكون لسان الجماعة . . والمجلة نواة لمدرسة « أبولو » الشعرية المعروفة ، التى طار صيتها فى الشرق والتى تتلمذ عليها مئات الشعراء والأدباء من كل مكان .

ترجع مدرسة أبولو إلى الأدبين العربى والغربى معا ، تأخذ منهما أخيلتها ومعانيها وصورها المتعددة . . مع التناول الفنى السليم للفكرة والموضوع والمعانى ، والدعوة إلى تمثيل الشعر لخلجات النفوس وتأملات الفكر ، وهزات العواطف والمشاعر ، وإلى الطلاقة وظهور الشخصية الفنية ، ووضوح طاقة الشاعر التى هى الجوهر الأول لأية شاعرية متفوقة ، وتوكيد الحفاوة بالأصالة . . والاهتمام بالفكرة ، وتوسيع آفاق التفكير والتأمل ، مع الابتعاد عن التكلف والتصنع ، ونبذ المذهب الفردى فى الأدب ، واحترام النقد والمذاهب الأدبية المختلفة ، والإيمان برسالة الشعر بالشعر للشعر كما كان يعبر أبو شادى . هذا مع تناول الموضوعات الإنسانية والعالمية ، والاعتماد على القوة الشعرية فى ذاتها حتى يؤدى الشعر رسالته من إعزاز الخير والجمال ، وتحرر الشخصية الفنية ، والصدق فى التعبير ، وتجاوب الشاعر مع الطبيعة ، والاعتقـاد بتطور لغة الشاعر وأخيلته وتعابيره ،

واستمر أبو شادى يحارب الفردية والذاتية والأنانيـة فى الأدب ، ويؤمن بضرورة خدمة الفـكرة ، ويحرص على الدقة فى المعنى ، وصدق العاطفة ، ويعنى بالناحيـة القصصية وبالشعر التمثيلى ، مع تميزه بالروح الإنسانى العالمى فى شعره ، وبالروحانية التى اتسم بهـا أغلب ما نظم من قصيد .

ولا تزال مبادىء مدرسة « أبولو » حية فى صدور الشعراء والأدباء والنقاد ، ممن احتفوا بدعوتها ، وأخلصوا العمـل فى سبيـل تحقيق أهدافها . وقد جندت هـذه المدرسة مواهب ممتازة متباينة ، وألفتها وأوجدت انسجاما وأى انسجام من التباين الظاهرى بين من أخلصوا لآرائها فى الأدب والنقد .

وقـد عمل أبو شادى طول حياته على إنصاف الشعراء وخاصـة المغمورين منهم ، ونوه بالأدب العربى الحديث فى شتى البيئات الأدبية العالمية عامة ، وبيئات الاستشراق خاصة . . . وعاش أبو شادى تلميذا على الفـكر والثقافة الإنسانية ، كما يقول فى ديوان « أنداء الفجر » . .

وكان أكثر الشعراء فهما لأصول الأدب والشعر والنقد ، وأظهرهم دعوة إلى التجديد . وقد نوه المستشرق اليونانى سقراط أسبيرو بشاعريته فقال : « إن أبا شادى أعظم شخصية شاعرة عرفتها اللغة العربية ، وإذا استثنينا خليل مطران فأبو شادى بلا نزاع أسمى شاعر رومانسى فى العالم العربى » . . ويقول أحد تلاميذه ، وهو الدكتور عبد العزيز عتيق : « لا أعتقد أن شاعرا معاصرا غير أبى شادى قد أثر فى الشعر العربى الحديث تأثيره ، أو نهض به نهضته ، أو وجهه توجيهه ، وخدمه بقلمه وبمجلته

« أبولو » خدمته ، وهو بحق أحد كبار رواد الشعر العربي المعاصر ، وزعيم مدرسة فيه لها خصائصها واتجاهاتها ، وحسبه أنه أظهر نحو مائة شاعر هم الذين تزدان بهم نهضتنا الأدبية المعاصرة » .

وفى الرابع عشر من أبريل ١٩٤٦ هاجر الشاعر إلى أمريكا ، وأقام فى نيويورك ، وعمل فى كثير من فروع هيئة الأمم المتحدة ، ثم أستاذا للأدب العربى فى معهد آسيا ، ومذيعا فى الإذاعة العربية لصوت أمريكا ، وانتقل فى آخر حياته إلى واشنطون . وصدر له وهو فى المهجر الأمريكى ديوان « من السماء » . . وطبع له فى القاهرة كتب عدة ، من بينها : عظمة الإسلام وشعراء العرب المعاصرون ، والاسلام الحى ، وأبو شادى فى المهجر .

وقد توفى أبو شادى فى الثانى عشر من إبريل عام ١٩٥٥ عن ثلاثة وستين عاما ، وكان ميلاده عام ١٨٩٢ فى القاهرة ، وكانت وفاته فى واشنطن . . وقد تلقى ثقافته الطبية فى القاهرة وإنجلترا ، وظهر أول ديوان له وهو « أنداء الفجر » عام ١٩١٠ . . وكانت عودته من إنجلترا عام ١٩٢٢ ، وفى عام ١٩٢٥ نشر ديوانه الضخم « الشفق الباكى » . . ومن أشهر دواوينه : فوق العباب — أشعة وظلال — الشعلة — الكائن الثانى — أطياف الربيع — الينبوع — عودة الراعى .

المسرح الأوپرالى عند أبى شادى

الدكتور أحمد زكى أبو شادى رائد مدرسة أبولو الشعرية من أعلام الشعر والأدب والنقد فى أدبنا المعاصر .

وقد ولد فى ٩ فبراير ١٩٨٢ بحى عابدين بالقاهرة وأبوه محمد بك أبو شادى (١٨٦٣—١٩٢٥) كان نقيب المحامين فى عصره . ومن رواد النضال الوطني . ومن أعلام المجتمع المصرى فى أوائل القرن العشرين . أما والدته فهى أمينة بنت محمد نجيب (١٨٧٣ — ١٩١٧) وأخوها مصطفى نجيب بك صاحب كتاب « حماة الإسلام » . وتوفى عام ١٩٠٢م . وحياة الدكتور أحمد زكى أبو شادى يمكن تقسيمها إلى أربع مراحل :

١ — المرحلة الأولى ميلاده ونشأته فى مصر ودراسته فيها وذلك من عام ١٩٨٢ م حتى عام ١٩١٢ .

٢ — المرحلة الثانية دراسته للطب فى انجلترا (١٩١٢—١٩٢٢) . وكان لهذه الفترة أثر عميق فى حياته وثقافته وشعره .

٣ — المرحلة الثالثة حياته فى وطنه بعد عودته من انجلترا حيث شغل مركزا طبيا ممتازا . وطارت شهرته الأدبية ، وظهرت له دواوين شعرية كثيرة ، وأسهم فى تأسيس ونشاط عديد من الجمعيات والأندية الأدبية ، وتأثر بمطران وبميوله التجديدية فى الشعر . وهذه المرحلة تبدأ من عام ١٩٢٢ حتى هجرته إلى أمريكا عام ١٩٤٦ .

٤ — المرحلة الرابعة من ٢٨ أبريل ١٩٤٦ حتى وفاته فى ١٢ أبريل ١٩٥٥ وهذه المرحلة هى مرحلة هجرته خارج وطنه ، وعمله فى أمريكا . حيث أقام

فى نيويورك يعمل فيها مستشارا للحكومة السعودية فى الأمم المتحدة فمستشارا للوفد الأرتيرى فى ثلاث دورات متوالية منذ بدء أعمال هيئة الأمم المتحدة فى نيويورك ، ثم فى واشنطون وفيها توفى ودفن . وكان الشاعر أبو شادى فى هذه المرحلة الأخيرة من حياته غزير الانتاج ، كثير الكتابات وبخاصة فى الادب والنقد والشعر ، مملوءا بالحيوية . وفى أبريل ١٩٨٥ يكون قد مضى على وفاة الشاعر ثلاثون عاما .

وقد خلف أبو شادى ثلاثة وعشرين ديوانا شعريا ، وثلاثة عشر كتابا فى الأدب والنقد والاجتماع . وستة كتب عملية . وأخرج ست مجلات ، وعشر قصص ومسرحيات شعرية .

وأبو شادى أول من نظم الأوبرات فى اللغة العربية ، منها :

١ — الالهة . وهى أوبرا رمزية ذات ثلاث فصول .

٢ — أخناتون

٣ — الزباء ملكة تدمر

٤ — بنت الصحراء

٥ — أردشير

٦ — إحسان

ففى أوبرا الالهة اتجه أبو شادى فيها اتجاها يناسب ثقافة جيله الذى أخذ يصبغ آدابه بالصبغة العالمية . فأودعها ما عن له ذكره ، مناسبا لموضوعها فى مجالها المحدود ، من نظراته فى الحياة والطبيعة والعواطف والغريزة كما يوحى القلم الذى ارتفع عن المناقشات العاجلة وكان له سند من الاختيار

الانسانى فى قرون طويلة وحرص أبو شادى مع ذلك على الصورة الفنية للتأليف التي هى شرط أساسى مراعيا أصول الاوبرا من الايجاز الذى يناسب الغناء ، ومن الروح التى توافقه ومن السلاسة فى الأسلوب والتنويع فى الاوزان والانسجام فى العبارة . والبساطة المنشودة فى التعبير ، جاعلا اهتمامه منصباً إلى السهل الممتنع من البيان الموسيقى الصياغة ولا ينافى ذلك بما اعتاد إسباغه من ظلال لمعان جديدة على ألفاظ قديمة ، فان هذا تجديد لا يمكن أن ينكره ناقد منصف ، وشواهد ذلك فى الشعر الانجليزى وحده تعد بالمئات ، وهى ربح للغة وللأدب .

والأوبرات هى فى الأصل تآليف قصصية غنائية وهى لا تسمح مطلقاً بالتصرف ، الذى يعين على تحليل الشخصيات والموقف ، أو على حرية الاستعمال لبحور الشعر بغير مراعاة التلحين .

فالموازنة بين الأوبرا الصميمة وبين الدراما أو المأساة الخالصة موازنة لا تستقيم بحال ، إذ هى خطأ واضح إن كانت عن جهل بأصول الأوبرا والفن ، وإلا فهى مغالطة وسفسطه لا تقبلها الأذواق .

وأوبرا الآلهة وهى تقع فى نحو خمسمائة وأربعين بيتا من الشعر ليست سوى نموذج فنى كبير للأوبرات التى نظمها أبو شادى . وأثرى بها الشعر الحديث .

والغاية منها هو خدمة الفضيلة والمثل الأعلى لا باعتبار أن الشاعر مكلف بذلك . إذ ليست مهمة الفن أن يظهر صاحبه فى مسوح الرهبان ، بل اعتمادا على الفلسفة العالمية الحديثة للعقل والنفس ، وحبا فى التسامى بالإنسانية عن مهاوى الشهوات .

وهذا التسامى هو تحويل شريف لنزعات اللذة نحو مثل أعلى . وبهذا التسامى تدين الفنون الجميلة فى الماضى والحاضر والمستقبل كذلك ، فهذه الرواية الغنائية الفنية الداعية إلى التسامى ، بأسلوبها الرمزى والصريح هى جهد فنى خالص لخدمة الفن .

وقد نشرها أبو شادى عام ١٩٢٧ ، ويتلخص موضوعها فى أن الشاعر الفيلسوف يستيقظ فى غابة الطبيعة على نشيد آلهة الجمال ، التى تفتنه وتخبره بأنها المتصرفة فى الدنيا ، وتعده بالسعاده الحقة ، إذا ما اتبع توجيهها ، وتعرض عليه أمثلة من نفوذها وتعاليمها ، وتسمح له فى حدود سلطانها بمصاحبة شقيقتها إلهتى الجمال والحب التى تكلفها بزيادة إرشاده ، ولكن إلهة اللذة ، وإلهة القوة الغاشمة تجملانه بجحد إيمانه بالجمال والحب . فيشقى ويتيه فى العالم المادى الدنس ، ويندم الشاعر بعد أن ينال منه الشقاء والإعياء . فيدعو إلهتى الجمال والحب لنجدته . ويغمى عليه ، ثم يستيقظ وهما بجواره حيث تصفحان عنه . وتعيدان إليه السعادة فى دنياه . وتؤهلانه لسعادة الخلود .

أما أشخاص هذه الأوبرا التمثيلية فهى :

الشاعر — الفيلسوف — إلهة الجمال — حاشية إلهة الجمال — إلهة الحب — إلهة اللذة — عبادة اللذة — الهة القوة — أتباع القوة — السعادة — التسامى — راقصات — مغنيات — ألسنة الطبيعه — هدايا الربيع وهن حسان تمثلن الزهرة والتفاحة والعندليب والنحلة .

وفى الفصل الأول من هذه الأوبرا ترى غابة الطبيعه الجميلة ، حيث لجأ اليها الشاعر الفيلسوف وينام فى ظل غصونها فتوقظه الهة الجمال ،

وتسأله عن رأيه فى السعادة . ويدور حوار بينهما . حيث يعترف لها الشاعر بأنه يرى السعادة فانية ، بل إن آراءه فيها قلقة ومضطربة ، وقد يفر إلى الطبيعة من شجونه الحائرة ، فتعاهده على أن تبلغه شاطىء السعادة إذا ما سار فى ضوء توجيهاتها ، وتنبئه بأنها وإن كانت الهة إلا أن الإنسان شيء أعظم فهو الجمال مصوراً ، بينما هى الضياء لمن لا يبصرون ، وهذا على مذهب الحكيم الفيلسوف منسيوس الذى يرى أن الإنسان فى المقام الأول من الأهمية بمكان ، ثم يليه الآلهة ، وأقلهم أو آخرهم أهمية هم الملوك . وتطلب منه آلهة الجمال أن يسير معها فى وئام ، فى ظلال صداقته لأختها آلهة الحب ليبلغ السعادة كاملة لأنهما مسخرتان لإسعاده ، فيشكر لها الشاعر الفيلسوف هذا التواضع النبيل والعطف الكريم . وتظهر آلهة الحب حيث تنادى هدايا الربيع رمز الحياة والبعث فى الطبيعة . فتفرد له معلنة أنها تحيا للهوى والجمال ، ويتشرب الشاعر الفيلسوف منهن معانى الجمال والحب . ويندمج فى الطبيعة . فيلمح نور السعادة الصافية التى وعدته بالعثور عليها . ويسدل الستار على الفصل الأول الذى يدور كله حول تقديس الجمال والحب فى ظلال الطبيعة :

ويشتمل الفصل الثانى من هذه الأوبرا الغنائية التمثيلية على منظرين :

فالمنظر الأول تنفرد فيه آلهة اللذة بالموقف كله ، بينما تقع آلهة الجمال وآلهة الحب فى عزلة الاشمئزاز ، حيث تشيحان بوجهيهما عنها ، ويبدو الشاعر الفيلسوف فى حيرة ، إذ تتقاسمه العواطف ، وتتجمع فى نفسه بذور جديدة من الشك والقلق .

وفى المنظر الثالث تعربد آلهة اللذة هى والحسان فى حمام من المرمر المزخرف المملوء بالمرح ، وحولها أتباعها يعربدون كما شاء لهم الهوى .

والفصل الثالث من هذه الأوبرا يقع أيضاً فى منظرين : فالأول تعربد فيه آلة القوة كما تشاء ، حيث يجيبها الشاعر الفيلسوف فى حزم وثورة : إنى أثور عليك فقد خسرت حياتى ، فتنذره ساخطة ، إذن ستلقى وبالا ، بل نكالا ، وسوف تسحق سحقا .

وفى المنظر الثانى الختامى من هذا الفصل تظهر فردوس الجمال والحب فى أبهى حلل الربيع وقت الصباح ، وقد أوفى الشاعر عليه ، وجلس فى ظل شجرة عند بابه المغلق ، ويستمر الحوار بين الشاعر والآلهة ، حيث توصيه آلهة الجمال فسيكون مآله إلى السعادة الحقة ، وتأذن له بأن يدخل فردوسها من بابه البلورى ، ويصاحبه هناك ملاك التسامى ، وعند ذلك تقترب منه السعادة ، متجها إلى آلهة الجمال وآلهة الحب ، وتنشده السعادة أناشيدها الجميلة ، وتخبره بأنه عندما يسير فى ظلال التسامى مستضيئا بنور الجمال والحب يبلغ الغاية من السعادة .

وفى آخر هذه الأوبرا تنشد آلهة الجمال :

الآن بعـــد طواف   فى عالم الظـلام
تعـود لى فى خشوع   ترجو نعيم سلامى
وكل ما أنا أرجـو   منك اتباع التسامى
فى نور حـبى ونورى   تسلم من الأحـلام
الخـير قبـلة جهدى   والحسن كل قوامى
وكل ما قد عـدانى   وهم من الأوهام

وعندئذ تظهر طائفة من البنات ، فى صور عصافير جميلة وأزهار متنوعة ، ينشدن راقصات ناظرات إلى آلهة الجمال .

انتصرى انتصرى يا بهجة للقمر
ونعمة للزهر ومبسما للنهر
وغاية للقدر ومنتهى للعبر
من عالم معتذر عن وهمه المختصر

انتصرى ، انتصرى

ثم يسدل الستار . . ولا شك أن روح هذه الأوبرا مستمدة من الأساطير الأغريقية الغربية .

وإذا أخذنا أوبرا (أردشير) الخيالية . وجدناها تناسب المسرح المصرى فى أواخر العقد الثالث من القرن العشرين ، ووجدنا أبا شادى فيها يحرص كل الحرص على مبدأين أساسيين ، يعنى بهما العناية كلها :

الأول : أن يجعل لهذه الأوبرا مغزى أدبيا .

والثانى : أن ينهض بالشعر القصصى التمثيلى .

ويطل هذه الأوبرا مثل لأولاد الملوك المنغمسين فى اللهو والحب ، وهى « حياة النفوس » التى يهيم بها بنت ملك بالعراق يسمى « عبد القادر » وهذه المحبوبة تمقت الرجال وتنفر من الزواج ، وسبب ذلك حلم أزعجها ، أو بالأخرى خرافة ، وتقع حوادث عديدة تنتهى بزواجهما .

وهذه الاوبرا تهز النفس هزا عميقا : فهى تحدثك عن الحب ، وهى فى

الوقت نفسه تحـدثك حديثا ساميا عن العفة وعزة النفس والشجاعة ، في حوادث مروعة ، وأهوال جسام ، وكل ذلك في شعر سلس عذب جميـل .

وهذه الأوبرا « أردشير وحياة النفوس » ، ذات أربعـة فصول وهي مستمده من ألف ليـلة وليلة ، وهي ذات مغزى أدبي أجل من مغزاها الأصلي بمـا بثه فيها الشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي رائد جماعـة أبولو الشعرية من آراء وأفـكار ومضامين ، من أجل النهوض بالمسرح المصري ، وبالشعر القصصي والتمثيلي ، ومن أجل الارتفـاع بالذوق الفني : وتقـع هذه الأوبرا في أكثر من خمسمائة بيت من الشعر الجميـل .

وقد أخذ على أوبرا « أردشير » بعض النقاد خلوها من فـكرة عامة ، وأخذ عليه طريقـة تصوير الشخصيات حيث ظهرت خاليـة من القوة ، وباهتة — ، وغير نابضة بالحيـاة ولا بالمواقف الدراماتيـكية ، لأن أبا شادي لا يعيش مع شخصياته طويلا ولا يدرسهم درسا عميقا . حتى ليظهرون أشباحا أثيرية أو ظلالا خالية من الروح .

وقد يـكون عذر أبي شادي في ذلك أنه كان يقتحم طريقا مجهولا في الأدب المصري ، وكان مشغولا بوضع الأساس في الدراما والأوبرا العربية ، وإن كان ليس من المستحسن أن تخلوا الأوبرا من كل فـكرة جليـلة . وأن تقفر من تصوير العواطف البشرية تصويرا صادقا أو واضحا .

وقد رد أبو شادى نفسه على هذا بأن :

١ — (أردشير) هى أولا : « أم قصة فى ألف ليلة وليلة » .

ثانيا : أنها نظمت شعرا لأغراض تمثيلية .

ثالثا : أن روحها العامة تهذيبية للتدليل على قيمة الاقدام والاعتماد على النفس وجمال العفة ، والتحايل على المصاعب وخطر الأوهام . كل ذلك فى أسلوب رومانسى بقدر ما يسمح به مجال الأوبرا . الذى تقوم فيه الكلمة مقام البيت . والبيت مقام القصيدة .

٢ — من المستحيل تصوير أو تحليل الشخصيات والعواطف طويلا فى تأليف الأوبرا التى أساسها الأول الموسيقى والغناء ، وتعتمد على الإيجاز المطلق ، ومع ذلك فهى مصبوغة بالدراما مع أنها رومانتيكية .

وأغانى أوبرا أردشير تمتاز بسهولة ألفاظها ووضوح معانيها ، ومناسبتها للأذواق . ومن حسناتها انتقاء التقاطيع الموسيقية الصالحة للتلحين على الطريقة الفنية الجديدة التى تجمع بين روح الموسيقى العربية والموسيقى الشرقية ، إلى تدفق البيان ، وسلامة الأسلوب ، وسهولة الأداء ، وجمال التصوير ، والبعد عن التعقيد ، وموسيقية الألفاظ . لأن الشاعر يستمدها من روح الطبيعة ، لذلك جاءت غاية فى الانسجام والعذوبة . وليس يكفى فى القصة الشعرية التلحينية أن تكون موزونة . بل يجب أن تكون واضحة منسقة الأبيات سهلة على الفهم .

ولو عدنا إلى أوبرا « إحسان » ، وهى مأساة تلحينية نشرت عام ١٩٢٧ ، لوجدناها تقع فى نيف ومائتين من الأبيات الغنائية المتنوعة ،

وتدور حوادث هذه المأساة بين الحب والحرب . وقد أهداها أبو شادى لرابطة الأدب الجديد بالاسكندرية .

ويطول بنا البحث لو عدنا إلى كل الأوبرات التى نظمها أبو شادى لدراستها وتحليلها . . ونقول هنا إن أبا شادى — كما يؤكد المستشرق اليونانى سقراط أسبيرو — يعد من أعظم الشعراء الرومانسيين فى الشعر المعاصر . ممن أثروا حركة الشعر فى عالمنا العربى إثراء كبيراً .

* * *

ناجى شاعر الوجدان الظامىء

١٨٩٦ — ٢٥ مارس ١٩٥٤

— ١ —

ترك الشاعر إبراهيم ناجى أثره على حياتنا الأدبية فى الأربعينات والخمسينات ، ومضى إلى السماء يصافح الخلود ، وتصافحه أرواح الخالدين ، وذلك فى أوائل الخمسينات (٢٥ من مارس ١٩٥٣) .

كان ميلاده عام ١٨٩٦ كما كان يروى شقيقه الأستاذ محمد ناجى ، وإن كان ما يذكر فى مختلف المراجع أن ميلاده كان عام ١٨٩٨ م .

وكان ناجى علما من أعلام الشعر المعاصر ، وواسطة العقد بين كوكبة الشعراء المصريين المجددين . . . كان الشكل الفنى فى شعره من الكلاسيكية الجديدة ، أما المضمون والإطار والروح فرومانسى النزعة . . وكان عضوا من أعضاء جماعة (أبولو) الشعرية ، التى أسسها الدكتور أحمد زكى أبو شادى عام ١٩٣٢ ، وهى من أغنى المدارس الشعرية المعاصرة ، وقد دعت إلى التجديد فى أوسع نطاق ، وأكدت الحفاوة بالأصالة ، والاهتمام بالفكرة ، وتوسيع آفاق التأمل والذوق وتجاوب الشاعر مع الطبيعة ، وتناول الموضوعات الانسانية والعالمية ، مع كسر كل قيود الصنعة والتقاليد ، وفتح كل المنافذ والمذاهب الفنية أمام الشاعر . وعمل ناجى فى هذا المجال مع صفوة من شعراء عصره وأدبائه وفى طليعتهم : شوقى ومطران وعلى محمود طه والسحرتى وصالح جودت والهمشرى ومختار الوكيل وعبد العزيز عتيق ومحمود أبو الوفا والصيرفى وسواهم .

كان لناجى حظ موفور من الشهرة ، وبخاصة بعد صدور ديوانه «وراء الغمام» عام ١٩٣٤ . وألف ناجى رابطة الأدباء عام ١٩٤٥ ، وأصدر ديوانه « ليالى القاهرة » عام ١٩٤٧ الذى مال فيه إلى النزعة الإنسانية ، من حيث بدا فى ديوانه الأول رومانتيكيا مستغرقا فى الحيرة والهيام والألم .

وشمر ناجى دعوة إلى البساطة والأصالة وعمق التجربة واستلهام العاطفة : ودعوة واضحة للحرية الفنية وللوحدة العضوية فى القصيدة ، وللتجربة الشعرية .

وتبدأ القصيدة عنده بانفعال نفسى يستمر هذا الانفعال فى الحركة والصعود حتى الذروة ، متمشيا مع التدرج النفسى للحدث أو التجربة أو العاطفة . . حتى نهاية مضمون القصيدة . . وغالبا ما تجىء النهاية مع أقصى درجات الانفعال عند الشاعر . . ووجدان الشاعر وجدان الظامىء المحروم ، الذى ينشد الرى والحنان ، وتجىء الموسيقى عنده معبرة عن هذا الوجدان الباكى . وكان ناجى يعرف الشعر بأنه موسيقى واقناع وخيال وتصوير ، من حيث كان شكرى يعرفه بأنه كلمات العواطف والخيال والذوق السليم .

وقد جدد ناجى فى شكل القصيدة ومضمونها . . فمن حيث الشكل حرص على عمودية القصيدة ، مع إيثاره للأوزان الغنائية السهلة الخفيفة ، ومع تجديده فى صور القافية ، وميله فى أحيان كثيرة إلى الرباعيات ، متأثرا برباعيات الخيام . . ويبدو فيه التأثر بمهيار وابن الفارض والشعراء العذريين فى العصر الأموى : كجميل والمجنون وقيس بن ذريح . كما تأثر

بديكنز وجون كيتس ، وبالمدرسة الانجليزية فى النقد وبرائدها (هازلت) خاصة :

وعى ناجى بالمدارس الشعرية المعاصرة . . وقرأها : كمدرسة شوقى وحافظ ، ومدرسة مطران ، ومدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، ومدرسة شعراء المهجر ، وكان له نشاطه فى رابطة الأدباء التى ألفها ، وجامعة أدباء العروبة التى كان يرأسها أبو الأدباء إبراهيم دسوقى أباظة . .

وقد أصدر الشاعر مجلة بعنوان « حكيم البيت » ، واشترك مع إسماعيل أدهم فى كتاب « توفيق الحكيم الفنان الحائر » ، وترجم عدة مسرحيات ، منها الجريمة والعقاب » لديستويفسكى ، وله رسائل عديدة ، منها : رسالة الحياة ، وكيف تعرف الناس . وله محاضرة عن شكسبير ، نشرت ملحقا لعدد سبتمبر عام ١٩٣٤ من مجلة أبولو . وله قصص كثيرة . منها : مدينة الأحلام ، والحرمان ، والنوافذ المغلقة .

ويقص الشاعر صالح جودت قصة حياة ناجى المجهولة فى كتابه « ناجى — حياته وشعره » . . وكانت حياة ناجى الأولى بل ميلاده أيضا فى المنزل رقم ٢٢ من شارع العطار فى شبرا ، وكان والده أحمد ناجى مهندسا وأول وكيل مصرى بمصلحة التليفونات والتلغرافات بالقاهرة ، وكان الأب عصاميا وشديد التأثر بآراء الامام محمد عبده . وفى مكتبته الحافلة عاش ناجى أيامه الأولى قارئا ومستفيدا ومتطلعا على روائع الفكر العربى الاسلامى خاصة والفكر العالمى عامة — وكثيرا ما كان أبوه يقرأ القصص الانجليزية ويترجمها لأولاده الصغار فى جلساته

المسائية . . وفى مدرسة سبيل والدة محمد على فى صدر ميدان المحطة » من شارع الجمهورية قضى الشاعر سنوات تعليمه الأولى ، ومنها انتقل إلى المدرسة الابتدائية التي نال منها الشهادة الابتدائية عام ١٩١٠ وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ودخل مدرسة التوفيقية الثانوية حيث نال منها البكالوريا عام ١٩١٤ وهو فى الثامنة عشرة من سني حياته . . وفى عام ١٩٢٢ تخرج من مدرسه الطب ، وعين طبيبا بمصلحة السكك الحديدية ، ثم نقل إلى وزارة الصحة ، فوزارة الأوقاف ، حيث شغل منصب مدير القسم الطبى بها . وفى أوائل ١٩٥٣ طلب إحالته للمعاش ، وبعدها بأشهر قلائل ودع الحياة عزيزا عليها وعلى الناس .

وبعد وفاة الشاعر صدر له عن رابطة الأدب الحديث كتاب «أزهار الشر» وهو ترجمة لديوان بودلير . كما طبعت مكتبة دار المعارف بالقاهرة ديوانه الثالث « الطائر الجريح » ، وطبع المجلس الأعلى للفنون والآداب شعره فى ديوان وأصدرت رابطة الأدب الحديث عنه ودراسات عديدة ونشر ديوان صغير له يجمع قصائد مجهولة له ، وكتب الأستاذ وديع فلسطين عدة مقالات عنه ضمنها قصائد كثيرة مجهولة للشاعر :

— ٢ —

وكان ناجى يقول : الشعر عندى هو النافذة التي أطل منها على الحياة ، وأشرف منها على الأبد وما وراء الأبد ، وهو الهواء الذى أتنفسه ، والبلسم الذى داويت به جراح نفسى عندما عز الأساة .

ويتحدث ناجى عن الحرمان الذى كان نصيبه فى الحياة وفى الحب ، فى قوله :

أعطنى حريتى ، أطلق يدى
إننى أعطيت ما استبقيت شى.
آه من قيدك ادمى معصمى
لم أبقيه وما أبقى على ؟
ما احتفاظى بعهود لم تصنها ؟
وإلام الأسر والدنيا لدى ؟
ها أنا جفت دموعى فاعف عنها
إنها قبلك لم تبذل لحى
يا حبيبى كل شيء بقضاء
ما بأيدينا خلقنا تعساء
ربما تجمعنا أقدارنا
ذات يوم بعد ما عز اللقاء
فإذا أنكر خل خله
وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كل إلى غايته
لا تقل شئنا ، وقل : الحظ شاء

وتذكرنا موسيقى ناجى هذه بموسيقى الشاعر الصوفى الكبير ابن الفارض ، وكان شاعرنا متأثرا به إلى حد كبير ، تأثره بشعر مهيار والشريف الرضى . . وقصيدته العودة مشهورة ومطلعها :

هذه الكعبة كنا طائفيها
والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها
كيف بالله رجعنا غرباء

ويقول الشاعر إبراهيم ناجى :

إنما الشعر مزهر قد حكى قصة الأمم
وبأوتاره المنى تتلاقى وتزدحم
هو ناى مرجع لشجى وما كتم
هو أنشودة الحياة ، وفيض من النغم
هو آهات شاعر عرف الحب والألم

فإنه إنما يلخص حياته فى كلمتين اثنتين : الحب والألم . .

كم أحب ناجى فى حياته ، وكم ذاق الألم والبؤس والحرمان . . . وشعره كله لا يخلو من شعر الحب وشعر الألم والحرمان . . . ومات الشاعر .

الشاعر الذى كان يقول :

نمشى وقد طال الطريق بنـا ... ونود لو نمشى إلى الأبد
ونود لو خلت الحياة لنـا ... كطريقنا وغدت بلا أحد

لقـد كان ناجى قصة دامية من قصص الحيـاة العجيبة الغريبـة ، ومضى وخلف لنـا لغزا أبديا لم يحله الدارسون ، حول حبه وأحبابه وصِباه وهواه . .

— ٣ —

وكان ناجى من أعلام الشعر المعاصر ، وروّاد التجديد فيه ، وكان ابرز أعضاء جماعة أبولو ، وبروح أبولو أسهم بنشاطه فى جامعة أدباء العروبة ، وفى رابطة الأدباء التى أسسها وفى جمعيات أدبية أخرى .

وقد كان شعر ناجى يجمع بين الخيال الجنح ، الذى تأثر فيه بمطران والعاطفة الملهوفة التى تأثر فيها بشعراء الرومانسية فى الأدب الإنجليزى . . مع الاصالة والموسيقى ، وكان يقول :

إنما الشعر مزهـــــر ... قـد حـكى قصة الأمم
هـــو آهـات شاعر ... عرف الحب والألـم

ويقول مندور فيه : عند ناجى الوجدان الحار المتفجر الأبدى الظمأ إلى الحب — ويقول صالح جودت فيه : ناجى من أصحاب المذهب المثالى فى الحب ، فهو محلق فى آفاق الحب العذرى دائما .

ويجعله العقاد من مدرسة الرقة العاطفية ، التى كانت غالبة على الأدباء والشعراء فى النصف الأول من القرن العشرين . ومنهم فى النثر مصطفى لطفى المنفلوطى ، وفى الشعر إسماعيل صبرى . وإن كان يرى أن إبراهيم ناجى نمط فى هذه الرقة العاطفية غير أنماط هؤلاء جميعا ، وغير النمط الذى أنتقل إلينا من الأدب الفرنسى أو الإنكليزى ، إذ امتاز بصدق تعبيره عن تلك الرقة العاطفية شعرا ونثرا ، بل خلقا وشعوراً .

والرقة والدقة هما العنصران اللذان تتكون منهما العاطفة الشعرية فى سليقة ناجى كما يقول العقاد .

ولما نقد شعره العقاد ونقده الدكتور طه حسين قال ناجى يسأل الدكتور طه : قل لى منصفا ، وليقل العقاد : أى أنواع الادب أحب إلى النفوس ، لو سألت نفسك عن أحب الكتب إليك لقلت « الأيام » ، ولو سألت العقاد : أى الشعر أحب إليك قال : هاردى ، وما شعر هاردى غير صنف من الصنف الذى تعيرنا به .

ويقول العقاد : إن الصدق فى الشعور والصدق فى التعبير هما قوام مكانة ناجى فى أدبنا الحديث . . ويتساءل : أنضمه فى مدرسة شوقى الشاعر والمنفلوطى الناثر ، أم فى مدرسة المجددين على نمط مطران من المتأثرين بالأدب الفرنسى ، أو المجددين على نمط شكرى من المتأثرين بالأدب الإنكليزى ؟

وفى مقدمة ديوان ليالى القاهرة التى كتبها الوزير الأباظى إبراهيم دسوقى أباظة يجعله من أبرز شعراء المدرسة الحديثة .

ومهما كان فهو فى الطليعة من شعراء المدرسة الرومانسية الحديثة فى الشعر المعاصر ، وأسلوبه من أرقى الأساليب الكلاسيكية المجددة تحت لواء الراية الابتداعية . وهو فى (وراء الغمام) رومانتيكى مستغرق فى التأمل والحيرة ، وفى ليالى القاهرة يميل إلى النزعة الصوفية الإنسانية . وإذا كان على محمود طه أمير شعر التصوير فناجى أمير شعر العاطفة وهو سيد الشعراء العشاق فى هذا العصر ..

ويقول صالح جودت : سيبقى اسم ناجى دائما على مدى الأجيال على لسان كل عاشق يتأبط ذراع من يهوى فى طريق خلاء وهو يغنى :

نمشى ولو طال الطريق بنا ونود أن نمشى إلى الأبد

ونود لو خلت الحياة بنـــا كطريقنا وغدت بلا أحد

ولقد تأثر ناجى بالمدارس الغربية فى الأدب والشعر والنقد ، وكان يجيد الانكليزية والالمانية والفرنسية وقرأ علم النفس وتعمق فيه وفى مختلف مدارسه ، وقرأ شوقى وحافظ ومطران ، وكان قد قرأ مهيار والشريف الرضى . وكان يعتز بمطران ، كما كان يفعل أبو شادى ، ويقول ناجى فى المقدمة التى كتبها لديوان أبى شادى « الينبوع » : المدرسة الحديثة التى يتحدث عنها أبو شادى وإخوانه هى رجع الصدى لذلك الصوت البعيد الذى ردده مطران . . . وفى ابياته :

فيا دار من أهوى عليك تحية

على أكرم الذكرى ، على اشرف العهد

على الامسيات الساحرات ومجلس

كريم الهوى عف المآرب والقصد

ما يشير إلى اصالة الجانب العذرى فى حبه ، ويقول ناجى فى وصف هواه وفى عذريته أيضا :

أحبك الحب ، وغنى به عف الامانى والمنى والشقاء
وإنما الحب حديث العلا أنشودة الخلد ونحن الرواة

ويعرف جوتييه الحب فيقول : أن تصير واحداً فى اثنين بحيث لا نعرف هل أنت أنت أم أنت الآخر ، ولعله مأخوذ من قول الحلاج :

أنا أنت وأنت أنا

ويقول شوقى :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

وقصيدة العودة هى آية ناجى فى الحب ، ويضعها النقاد فى القمة من شعر ناجى ، بل فى القمة من شعر المدرسة الحديثة ، وإذا ما قرأنا لناجى :

أيها الماضى الذى أودعته حفرة قد خيم الموت بها
أيها الشعر الذى كفنته مقسما لا قلت شعرا بعدها
أيها القلب الذى مزقته صارخا : عهدك يا قلب انتهى
قسما ما مات منكم أحد إنها رقدة يأس ، إنها
آه لو قام رسول ضارع أو شفيع منكمو يمضى لها
آه من يخبرها عن طائر نسى الأوكار إلا وكرها

نجد الهوى العذرى المتألق بالشعور والعاطفة وحرارة الألم .

وإذا كان شعر المدرسة الحديثة يمتاز بالتجديد والتحرر والانطلاق ، فان شعر ناجى مع طابع الأصالة والتجديد فيــه يمتاز بسلامته من آثار التحرر . وفى الموسيقى الشعرية كان متألقا ، وقصائده تأتى دائما فى طليعة الموسيقية العالية ، ويرى أبو شادى أن ناجى والشابى أخذا من موسيقاه ، وأن قصيدة الشابى :

الــوداع الــــوداع   يا جبــال الهموم(١)

وقصيدة ناجى :

أين شــط الرجــاء   يا عباب الهموم ؟
ليلتــــى أنـــــواء   ونهــارى غيـــوم

قد اقتبستا من موسيقى أبى شادى فى قصيدته :

اضحــكى يا رمال   من هــدير المياه

وقصيدته :

انتهت يا شعـــاع   نبض قلبى الحــزين

وقصائد ناجى : قلب راقصة ، والاطلال ، والعودة ، وغيرها تحكى اشواق قلب دائم الحرقة والأنين فى الحب .

وما أبدع ما يقول ناجى فى ختام الليالى السبع :

---

(١) مجلة أبولو ١٩٣٤ .

يا حبيبي كان اللقاء غريبا
وافترقنا فبات كل غريبا

غير أني استنجد الدمع لا الـ
ـفي مكان الدموع إلا لهيبا

آه لو ترجع الدموع لعيني
جف دمعي فلست أبكي حبيبا

صالح جودت

٧ ديسمبر ١٩١٢ — ٢٣ يونيو ١٩٧٦

— ١ —

عاش صالح جودت فى رحاب الشعر قريبا من نصف قرن! ، وعرف منذ مطلع حياته الشعرية بأنه شاعر رومانسى النزعة ، وجدانى التجربة ، له غنائيته الجميلة ، وموسيقاه الحلوة ، وحواره العذب ، ولغته الشاعرة الأنيقة، التى تمثل فى بساطتها وعذوبتها لغة الشعب العالية .

ولقد عاش بروحه ، ورعشات فنه، ووهج شاعريته، وجمال نغمه وجلال أحاسيسه ، كل حركات الشعر ومدارسه ومذاهبه وتياراته ، منذ أواخر العقد الثالث من القرن العشرين ، حتي وفاته فى الثالث والعشرين من يونيو ١٩٧٦ مما جعله أحد رواد الشعر المعاصر ، وأعلام نهضته .

والحب هو فلسفة الشاعر ، حب الجمال ، وحب مصر ، وحب النيل ، وحب التاريخ المصرى الإسلامى ، وكل مفاخر الوطن فى النضال والحرية ، وحب العروبة وأيامها الظافرة، وقد مزج فى كل قصائده بين الحب والأغراض التي كتب فيها شعره . ويرى الشاعر أن الشعر موسيقى ، ومن هنا غلبت الموسيقى على كل شعره ،وهى عنده أهم من التصوير ،ولهذا آثر شعرشوقى حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب .ويلوح لقارىء شعره أنه إنما يستمع إلى ألحان عاطفية عذبة ، ومن ثم تأنق فى أسلوبه وصوره غاية التأنق وحافظ على صياغته الكلاسيكية العمودية ، مع اللمحة الذكية التي تسعفه فى المناسبات القومية الكبرى . ومنذ طرد الغزاة فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، أخذ شعره يتسم

بالوطنية الفياضة بعد أن كان قبلا فى أكثر اتجاهاته عاطفى النزعة . . ويتعادل ميزان الشعر فى يديه بين العاطفة والوجدان والقومية ، وكانت له فى مثل قصيدته « الراهب المتمرد » كل ذلك مع الأصالة الفنية والتجديد فى شتى عناصر القصيدة العمودية التى أحبها ودافع عنها طيلة حياته .

لقد كانت صياغته جزءا أصيلا من لغة الشعب ، وكانت روح مصر وشخصيتها جزءا بليغا من مضامينه الشعرية ، وكان الحب هو الملهم الأول والأخير له فى كل ما كتب من قصائد مأثورة .

وقد نوه د . أبو شادى بموسيقاه وروحه الشعرية ، ونوه البحرى بأسلوبه السهل اللين المطواع العذب الموسيقى ، وقال د . مندور : ان فيه ملامح من صبرى فى الحديث وابن أبى ربيعة فى القديم .

ودواوينه الستة التى خلفها ثروة فنية كبيرة : ديوان صالح (١٩٣٤) — ليالى الهرم (١٩٥٧) — أغنيات على النيل (١٩٦٢) — حكايات قلب (١٩٦٥) — ألحان مصرية (١٩٦٨) — الله والنيل والحب (١٩٧٣) .

ولقد كان واحدا من أعلام مدرسة أبولو الشعرية ، وكان مولده فى الزقازيق فى ٧ ديسمبر ١٩١٢ ، وفى مرحلة تعليمه الثانوى بمدرسة المنصورة الثانوية تعرف بزملائه : الهمشرى ، ومختار الوكيل (الدكتور) ، وبالشاعرين ناجى ، وعلى محمود طه ، وبدأت شاعريته ومواهبه فى الشعر التى غذاها قراءاته الواسعة ، وانتماؤه إلى أبولو ، والتقاؤه فى رحابها بأعلام الشعر .

وكانت رحلته الأولى فى الحياة بعد تخرجه من كلية التجارة بجامعة القاهرة عام ١٩٣٧ ، هى عمله فى الصحافة وفى الإذاعة ، وشارك فيما بعد

فى كل مؤتمرات الأدباء ومهرجانات الشعر التى عقدت فى القاهرة وفى مختلف العواصم العربية ، كما شارك فى مؤتمرات إسلامية وثقافية كثيرة . ومثل مصر فى مهرجان لبنان لذكرى مطران ، وفى حفل تكريم الأخطل الصغير فى بيروت (١٩٦١) . وفى حفل إزاحة الستار عن تمثال العالم اللغوى عيسى اسكندر المعلوف ، وقام برحلات كثيرة إلى الشرق والغرب سجلها فى كتابه « قلم طائر » .

ونال جائزة شوقى وجائزة الدولة فى الشعر عام ١٩٥٨ عن ديوانه « ليالى الهرم » ، ورشح قبل وفاته بقليل للجائزة التقديرية . ومنذ سبتمبر ١٩٧٣ صار مقررا للجنة الشعر فى المجلس الأعلى للفنون والآداب ، فحل محل العقاد وعزيز أباظة ، وصار ثالث مقرر لها على امتداد أيامها .

وشغل عضوية كثير من الجمعيات الأدبية والفنية : نادى القصة — جمعية الأدباء — مجلس إدارة الهيئة العامة للكتاب — مجلس إدارة صندوق معاشات الفنانين والأدباء — لجنة الرقابة على المصنفات الفنية — لجنة النصوص بالإذاعة — وشغل نائب رئيس مجلس إدارة جمعية المؤلفين والملحنين مع صديقه محمد عبد الوهاب — كما شغل منصب : مراقب البرامج الثقافية فى الإذاعة ، ومدير إذاعة صوت العرب ، ورئيس تحرير مجلة الإذاعة ، ومديرا لتحرير المصور ، ورئيس تحرير له ، ولمجلة الهلال ، ونائب رئيس مجلس الإدارة بدار الهلال .

وخلف فى التراجم كتابة عن أحمد فتحى شاعر الكرنك ، وكتابه « الهمشرى » الذى جمع فيه شعره ، وكتابه « بلابل من الشرق » ، ملوك وصعاليك ، شعراء المجون .

وله : مسرحية شهرين ، ومسرحية روميو وجوليت . وفي القصة القصيرة ترك خمسة كتب : كلما خطابا — كلام الناس — خائفة من السماء — في فندق الله — أولاد الحلال . وفي الرواية ترك : وداعا أيها الليل — الشباك — بنت أفندينا — عودى إلى البيت . . وفي أدب الرحلات ترك كتابين : أساطير وحواديت — قلم طائر .

وكتب للسينما عشرات القصص . وله نحو ثلاثمائة أغنية — وترجم أربعة كتب : الأفق المفقود لجيمس هيلتون — العجوز والبحر لهمنجواى — مصرى فى أيرلنده للدكتور إبراهيم وشاد — سيدتى الجميلة تأليف الآن ليرنر وهو مخطوط .

ومنح فى حياته الكثير من الأوسمة من وطنه مصر ومختلف الدول العربية .

وسوف لا يعني التاريخ كثيرا بصالح جودت الصحفي والرحالة ، ولكن صالح جودت الشاعر سوف يبقى على مدى الزمان .

— ٢ —

ولقد فقد الأدب العربى المعاصر ألمع كتابه وأدبائه وشعرائه ، وودعنا صالح جودت وهو فى قمة مجده الأدبى ، فشعر كل مثقف فى وطننا العربى بفداحة المصاب فيه ، وبعظم الخسارة بفقده .

لقد كان « صالح » من أحب كتاب مصر وشعرائها إلى الشعب ، لأنه كان أديب الجماهير ، ينطق بأفكارها ، ويتحدث بلغتها ، ويصور كل

آمالها آلامها . وكان بظرفه وأدبه وحلاوة صوته وجمال أسلوبه وخفة روحه وعذوبة منطقه يمثل ابن مصر حقا أروع ما يكون التمثيل .

ولم يصمد « صالح » إلى هذه المنزلة فى قلوب الناس عفوا ، بل ورا ذلك كله جهاد طويل خلال مسيرة حياته الخصبة . كان يقرأ روائع الأدب الغربى ، إلى قراءاته الطويلة فى الأدب العربى القديم والجديد ، وكان يحفظ خوالد القصائد ، حتى ليقول عن نفسه[1] : كنت أحفظ الشوقيات عن ظهر قلب ، وكذلك حفظت شعر شوقى المسرحى ، وكنت أردد كثيراً من الشوقيات فى مجالسنا ، مترنما بعذوبة موسيقاها وإشراق بيانها ، محاولا أن أحبب شوقى إلى صاحبى — الهمشرى — إذ كنت أضع أمير الشعراء فوق كل شاعر فى تاريخ الآداب العربية فى موسيقيته الدائمة[2] ، فلا أجد من الهمشرى إلا صمتا[3] ، فلقد كان الهمشرى أشد إيمانا بالمدرسة الأخرى التى أرسى لبناتها مطران والعقاد والمازنى وشكرى ولهذا فأنك تقلب شعره فلا تجد أثرا لشوقى فى بيت واحد منه اللهم إلا قصيدته « عاصفة فى سكون الليل » . . ويتحدث « صالح »[4] عن مدينته الأولى

---

(١) ص ٢٦ من كتاب الهمشرى لصالح جودت — كتاب الهلال عدد ديسمبر ١٩٧٤

(٢) وصالح يرى أن الشعر موسيقى أولا ص ١٤٦ « ناجى حياته وشعره » .

(٣) ص ٢٧ من كتاب الهمشرى .

(٤) ص ٥٥ من كتاب ناجى .

« المنصورة » التي نهل فيها من ينابيع المعرفة وعن نشأته الأدبية فيها فيقول : « كل ما فيها فاتن وكل من فيها عاشق ، وكل من عبر على ثراها شاعر وإن لم ينظم الشعر . ويقول : المنصورة أرض طيبة ، تنبت الشعر والجمال ، والحب والخيال ، وهى التى أنجبت للبلد عشرات من أعلام الشعر والأدب المسرحى والغناء والفنون عامة[1] ، وفى المنصورة عرفت[2] الشاعر إبراهيم ناجى إذ كنت يومئذ طالبا بالمدرسة الثانوية ، وكان لى زميل أثير هو الهمشرى وقد كان شاعراً موهوباً . وكنا نخرج أنا والهمشرى ، فنلتقى بشاعرين يكبراننا ، وكان المستقبل يتهيأ لهما يومئذ ، هما : ناجى ، وعلى محمود طه المهندس ، فكنا نجلس نحن الأربعة على شاطىء النيل ، نقضى أجمل ليالى العمر فى حديث الأدب والشعر والجمال . وكانت هذه الصحبة مدرسة جديدة فى الشعر ، وكان لنا أصحاب ثلاثة من شعراء الأدب الإنجليزى هم : شلى وكيتس ووردزورث ، نقرؤهم كثيرا ونحس بما بيننا من أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم . ويصف صالح تشابه شعر هؤلاء الأصحاب[3] ، وكيف بدأوا يبعثون بقصائدهم هم إلى الصحف والمجلات فتنشرها لهم[4] . ويذكر صالح أثر — أستاذ اللغة العربية فى مدرسته ، مدرسة المنصورة الثانوية ،

---

(١) ٩ ، ١٠ ، « بلابل من الشرق » عدد أقرأ رقم ٣٥٥ .
(٢) ٩ ، ١٠ ، « بلابل » ، لجودت ، ٥٦ - ٥٩ ناجى حياته وشعره .
(٣) ص ٥٧ : ٥٩ ناجى حياته وشعره .
(٤) ص ٥٩ ، ٦٠ المرجع نفسه

وهما : صالح الريدى ، ومحمد كفافى[١] .

ويقص صالح قصة رفقائه فى أندية الأدب الليلية فى القاهرة ، ممن صاروا أشهر أبناء المدرسة الحديثة ، فى الأدب يومئذ : محمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وأحمد رامى ، وإبراهيم المصرى ، ود . حسين فوزى وعلى أدهم ، ومحمود طاهر لاشين ، وسواهم . كما يذكر انتماءه إلى مدرسة أبولو الشعرية منذ قيامها عام ١٩٣٢ ، وكان معه فيها : على محمود طه ، وزكى مبارك ، وحسن كامل الصيرفى ، ومحمد المهشرى ، ومحمود أبو الوفا ، وغيرهم[٢] .

وكانت أبولو كثيرة الخصومات[٣] ، ويرجح جودت أن يطلق على أبولو جماعة لا مدرسة[٤] ويستدل على ذلك برأى للدكتور محمد مندور[٥] ، وفى الحق أنها كانت مدرسة متكاملة البناء الأدبى ، فلها مذهبها ونظرياتها وأفكارها وإتجاهاتها الخاصة[٦] ، ويؤيد ذلك الناقد مصطفى السحرتى[٧] كما قرره أبو شادى فى مجلته أبولو أيضاً .

---

(١) ٢٠ الهمشرى لجودت .

(٢) ص ٦٤ ناجى ، ص ١٢ بلابل .

(٣) ص ٧٧ ناجى .

(٤) ص ص ١٣٩ .

(٥) ١٤٠ نفس المرجع .

(٦) وقد أيدت ذلك فى أكثر من موضع راجع ص ١٠٠ ، مدرسة أبولو الشعرية .

(٧) ٨ : ١١٢ مدرسة أبولو الشعرية .

وتأثر جودت فوق ذلك كله هو وناجي بالمدارس الأدبية الجديدة في الأدب الغربي[1] .

وقد بذ جودت أقرانه في مجال المقالة الصحفية والدراسات الأدبية .. وليس غرضنا هنا أن نتحدث عن أسلوبه الصحفي ولا عن كتابته الفنية . وإنما نقصر هنا هذا البحث على فن الدراسة الأدبية عند شاعرنا صالح جودت ، وإذا كان له في مجال النثر الفني والمقالة الصحفية كتب عديدة ، من من مثل قلم طائر ، وأساطير وحواديت[2] فله في مجال الدراسة الأدبية كتب كثيرة ، منها :

١ — ناجي حياته وشعره ، نشر المجلس الأعلى للفنون والأدب ، وصدر في يونيو عام ١٩٦٠ .

٢ — م . ع . الهمشري — وقد نشر في كتاب الهلال الشهري عدد ديسمبر ١٩٧٠ .

٣ — شعراء المجون وقد نشر في كتاب الهلال الشهري عدد ديسمبر ١٩٧٢ .

٤ — بلابل من الشرق وهو منشور في العدد ٣٥٥ من سلسلة أقرأ ، وقد صدر في يوليو ١٩٧٢ .

---

(١) ص ١٤٦ ناجي .
(٢) نشر في كتاب الهلال الشهري عدد ديسمبر ١٩٧٥ .

٥ — شاعر الكرنك أحمد فتحى — وقد نشر فى كتاب الهلال الشهرى عدد ٢٧٦ الصادر فى ديسمبر ١٩٧٣ .

٦ — ديوان الهمشرى — جمع وتحقيق وتقديم جودت ، وقد صدر عن وزارة الثقافة فى مشروع المكتبة العربية ، وذلك عام ١٩٦٤ .

وبحق لقد كان صالح جودت كاتباً ودارساً من طراز رفيع . ويمتاز أسلوبه بالتشويق والمتعة والجمال وخفة الروح إلى حد كبير .

ولقد عانى صالح جودت فى كتابه « شاعر الكرنك أحمد فتحى » ما لم يعانه إلا القلة من الباحثين ، وذلك فى جمع مواد بحثه من مختلف المصادر والمراجع ، ولم يترك صفحة غامضة من حياته إلا جلاها ، وكشف عنها ، وصورها أجمل تصوير ، فهو يتتبع حياة الشاعر من بدئها لختامها ، فى القاهرة ، والأقصر والفيوم ، وفى الصحراء الغربية ، وفى لندن والسعودية ، ثم فى القاهرة أخيراً ، تتبع الباحث المحقق ، الذى لا يترك شيئاً ولا سؤالا حائرا لدى قارئه .

ويتحدث عن قصص حب شاعر الكرنك وعن شعره فى محبوباته ، فى حديث ممتع مستفيض .

وهو من ثم يقول[1] : لم تكن الترجمة لحياة أحمد فتحى بالمهمة السهلة، فقد كان على قبل أن أبداها أن أمضى شهورا طويلة فى جمع شتات شعره من كل مصدر لا يسرى إليه الشك ، وكان مرجعى الأول فى إنجاز هذه

---

(١) ص ١٥٤ شاعر الكرنك .

للهمة ديوانه المطبوع « قال الشاعر » ، ثم صفحات بعض الصحف والمجلات التى نشرت له شعره ، فى مختلف مراحل حياته ، وأبرزها مجلة أبولو ، ومجلة الرسالة ، والأهرام ، ثم أضابير الإذاعة التى احتوت كثيرا من قصائده وأغانيه .

ويعد كتاب « شاعر الكرنك » أجمل سيرة مكتوبة عن شاعر غامض السيرة كشاعر الكرنك أحمد فتحى .

ويسير صالح جودت على نفس المنهج فى كتابه الآخر « م . ع . الهمشرى » . . تتبع للسيرة من بدئها لختامها ، وكشف لكل غموض يحيط بالشاعر وشاعريته . وعناية دقيقة بكل التفاصيل والمؤثرات والخصائص وتحقيق دقيق لروائع قصائده وتاريخ ومناسبات نظمها ، مما لا يدع مجالا لباحث يبحث بعده عن شئ من حياة الشاعر وشاعريته .

وفى كتابه « ناجى حياته وشعره » الذى قدم له العقاد ، يعنى المؤلف بالدقائق وبالتفاصيل وبالأشياء غير العادية فى حياة الشاعر ، ويتتبع حياة الشاعر إبراهيم ناجى : من طفولته ، إلى نهاية قصة حياته بشئ غير قليل من البحث والتفصيل والتحليل ، فهو يكتب فى دقة عن : طفولته ، صباه ، شبابه الأول ، شبابه الثانى ، النهاية ، أضواء على شعره .

ويقول عن ناجى وثقافاته : كانت مدرسته الأولى هى تشارلز ديكنز وما تزخر به هذه المدرسة من حب وجمال وإنسانية عالية . أما المدرسة الثانية فكانت شعر أمير الشعراء . وأما المدرسة الثالثة فكانت شعر الشريف الرضى الذى علمه كيف ينظم الشعر ، وقد افتتن به الشاعر فى

طفولته ومن هنا بدأ أولى محاولاته الشعرية مقلدا ديباجة الشريف . وأما مدرسته الرابعة — وهى أكبر المدارس التى تأثر بها الشاعر — فهى شعر مطران ، وكان مطران صديق أبى الشاعر ، وكانا يؤثران الاصطياف معا فى المكس وكان الشاعر ينادى مطران بيا عمى ، وكان قد قرأ له وهو طفل قصيدة المساء التى نظمها مطران عند صخرة فى المكس ، وهى من مأثور شعره ، فأعجب بها إعجابا حفزه إلى قراءة ديوان مطران ، وكان الشاعر أبو شادى فى طليعة من تأثروا بمدرسة مطران وقد شاركهما فى ذلك الشاعر الصيرفى إلى حد ما ، ولكن الشابى لم يتأثر بمطران ، بل بالمدرسة الرومانسية الفرنسية رأساً التي أثرت فى مطران ذاته ، وأما صالح جودت — فلم يقرأ شعر مطران إلا كبيرا ، يقول : ولم أتأثر به ، بل لم أهتز له ، لأن الشعر عندى موسيقى أولا ، فان لم يكن كذلك فهو ليس بشعر ، وشعر مطران على جلاله فقير فى موسيقاه ، ولهذا ، فإنى لم أتأثر به[1] ويقول[2] ، كان شوقى أول ما يحفل بالموسيقى ، وحافظ باللفظ الرنان ، ومطران بالخيال الجديد ، وإن ضاعت معه الموسيقى الأخاذة أو اللفظة الرنانة ، واستمر صالح جودت فى الحديث عن مطران فيقول : إن رامى لم يتأثر به ، والعقاد يعلن أنه لم يقرأه إلا بعد أن نضجت شاعريته ، ولم يتأثر به ألبتة[3] .

وقد تأثر ناجى بعد هذه المدارس بكثير من المدارس الغربية ، وكان

---

(١) ١٤٣ وما بعدها من كتاب ناجى .

(٢) ص ١١٠ بلابل من الشرق .

(٣) ص ١٤٣ : ١٤٦ ناجى .

يحسن الفرنسية والإنجليزية والألمانية ، فقرأ فيها جميعاً ، وكان شاعره الأثير في الإنجليزية شكسبير(١) ، وفي الفرنسية الفريد دى موسيه ثم بودلير ، وفي الألمانية جوته .

أما مدرسة أبولو ومكانها من التأثير في شعر ناجى وشاعريته فيذكرها صالح في مكان آخر(٢) في إيجاز شديد ، دون أن يشير إلى مدى تأثيرها في شعره ، وقد يكون تأثيرها فيه قليلا لأنه انضم إليها وقد كبرت شاعريته .

وأطرف ما سجله جودت في دفاعه عن ناجى هو رد الشاعر إبراهيم ناجى على د. طه حسين في نقده لديوانه « وراء الغمام(٣) » . وفي هذا الرد يقول ناجى لطه حسين بعد تمهيد طويل استماله إليه فيه :

إن لى معك مناضبة . بل مغاضبات ، تعال نتناقش في اللفظ ، وأول ما أعتب عليك فيه أنك — على ثقافتك الواسعة — لا تزال تحاسب الشاعر كلمة كلمة ، وتقيس الفن بالمسطرة ، وربما انتزعت اللفظة من جارتها وهى تسندها وتشد أزرها ولا تكمل إلا بها . . وربما بترت البيت بترا وجئت تحاسبنا على أصبع مقطوعة وذراع قسوت عليها فخلعتها من نصلها ، وقد كانت جميلة مكانها ، ساحرة على جسدها . ولم أجدك مرة

---

(١) يليه شالي ووردزورث .

(٢) ص ٦٤ ناجى حياته وشعره .

(٣) ٨٦ - ٩٢ من كتاب ناجى .

تحفل بالعمل الأدبى كوحدة وتتكلم عنه كبناء . تناقشنى فى الشطرة : الهوى الصامت يغدو ويروح ، لأن كلمة « غدا » لاتعجبك لأنها تدل على شىء جرى بالنهار ، فأذكرك يامولاى أن ذلك القاموس الصغير — مختار الصحاح — يقول إن « غـدا » تطلق على مجرد الذهاب . ولا تعجبك « تلاشت » فى « وتلاشت أجسادنا » لأنها ليست من ألفاظ الشعر ، ولماذا لا تراها من ألفاظ الشعر ؟ أليست عربية صحيحة ؟ هل فيها تنافر ؟ ثم تقول : أن « أجسادنا لا تروقك لأن الكلام عن جسدين وإنى لأوقن أنك تعرف أنه يجوز معاملة المفرد والمثنى معاملة الجمع . وتساءلت عن معنى « وراء الغمام ؟ أما إذا قصدت معناها الحرفى فليس لدى إجابة على سؤالك وإذا قصدت معناها الرمزى فالإجابة لا تكلفنى ولا تكلفك نصبا فأنت تعلم أن كل المؤلفات الشعرية الأجنبية جرت على هـذه التسمية الرمزية . . ومغاضبة أخرى ، تقول متهكما عن شطرة « جاء الأمر بالعكس » : إن هذه ألفاظ جاءت إلى من الأزهر ، فأنا أرجوك بحق الله عليك ألا تذكر الأزهر إلا بالخير ، أتعلم لم أحبه ؟ أحبه لتلك الحلقة التى تجعل المعلم وتلاميذه فى صعيد واحد فلا يعلو عليهم إلا بعلمه ، وعلى ذكر الأزهر : لأجلسن فى تلك الحلقة ، وأتعلم الصبر على المكاره .

رسالة نقدية تعد أثرا منسيا للشاعر الدكتور ابراهيم ناجى ، وقـد اخترت منها مختارات قصيرة عرضتها هنا على القارىء ، وتمتاز الرسالة بأسلوبها الجميل البليغ الذى لا حد لجماله وبلاغته .

وأنتقل من هنا ، من كتاب الشاعر صالح جودت عن ناجى ، إلى تحقيقه لديوان الشاعر الهمشرى (١٩٧١ — ديسمبر ١٩٣٨) ، والشاعر

صالح جودت فضل وأي فضل فى أن وضع فى أيدينا ولأول مرة هذا النص الدقيق لشعر الهمشرى ممثلا فى ديوان ، ذاكرا المصادر ، محققا للنصوص مقدما له بمقدمة رائعة عن الشاعر وشعره ، ويقول فى هذه المقدمة : من حسن حظ الأدب أن وفقنا الله إلى جمع شعر الهمشرى ونشره فى هـذا الديوان بعد أن أوشك هذا الشعر أن يضيع ، بل لقد ضاع فعلا أكثر من مرة . وقد حرصت على أن لا يثنيني عن إنجاز المهمة شيء ، فعكفت على جمع — قصائد الهمشرى من مختلف مصادرها ، كما حرصت على ذكر مصدر كل قصيدة أمانة للتاريخ . وقد رتبت قصائد الديوان ترتيبا زمنيا ، والزمن الذى اعتمدت عليه هو زمن نشر القصيدة[1] . وقد جعل الشاعر صالح جودت القسم الأول من الديوان شعر الهمشرى فى مرحلة الوجدان الذاتى أو مرحلة أبولو ، وجعل القسم الثانى شعره فى مرحلة الوجدان القومى أو مرحلة التعاون .

وفى كتابه شعراء المجون يدرس الشاعر صالح جودت أعلام المجون فى الأدب العربى ، من مثل ابن الحجاج (— ١٩١ هـ) ، وابن سيابة ، وابن لنكك ، وابن المعذل ، وابن مناذر (ــ ١٩٨ هـ) وأبى دلامة (ــ ١٦٧هـ) ، وابى العينا (١٩١ — ٢٨٣ هـ) ، وأبى نواس (١٤٥ ــ ١٩٨ هـ) ، وأبى الهيثم خالد بن يزيد الكاتب (— ٢٦٩ هـ) والأقيشر ، وبشار ، وجحظة البرمكى (٢٢٤ — ٣٤٢ هـ) ، والحسين بن الضحاك الخليع (ــ ٢٥٠ هـ) وحماد عجرد (١٦١ هـ) ، والزوزنى (٤٦٣ هـ) ، والعبرتانى

---

(١) ص ١٤ - ١٦ ديوان الهمشرى .

(— ٣٠٢ هـ) ، وعمر بن أبى ربيعة (٢٣ — ٩٣ هـ) ومطيع بن أياس (١٥٧ هـ) ، وهو كتاب ممتع حقا ، وليس لجماله وخفة روحه غاية .

أما كتابه « بلابل من الشرق » فقد درس فيه حياة وشعر وشاعرية الشعراء :

١ — شاعر الرقة العاطفية إبراهيم ناجى (٣١ ديسمبر ١٨٩٨ — ٢٥ مارس ١٩٥٣) .

٢ — شاعر الشباب أحمد رامى .

٣ — شاعر مملكة النحل أحمد زكى أبو شادى (١٩٨٢ - ١٢ أبريل من عام ١٩٥٥ م) .

٤ — أمير الشعراء أحمد شوقى (١٨٦٨ — ١٩٣٢) .

٥ — شاعر الكرنك أحمد فتحى (٢ من أغسطس ١٩١٣ - ٤ يوليو ١٩٦٠ .

٦ — الشاعر إلياس فرحات .

٧ — شاعر الجبل الأخضر الشابى (١٩٠٩ — ١٩٣٤) .

٨ — الأخطل الصغير بشارة الخورى .

٩ — شاعر الأقطار العربية مطران (— ١٩٤٩) .

١٠ — الشاعر القروى .

١١ — عباس محمود العقاد .

١٢ — الشاعر الظريف كامل الشناوى (— ١٩٦٥) .

١٣ ـــ شاعر النيل حافظ إبراهيم (ـــ ١٩٣٢) .

١٤ ـــ شاعر الحضارة الريفية الهمشري (ـــ ١٩٣٨) .

أربعة عشر شاعرا ، بل أربعة عشر أو كوكبا ، تناولهم الشاعر جودت بقلمه البليغ الممتع المؤثر الخفيف الروح .

وحتى فى كتابه « أساطير وحواديت » لا ينسى الشاعر صالح جودت الشعراء والمفكرين فى حديثه فيتحدث فيه مع الأساطير والحواديت عن فوزى المعلوف ، والكواكبى ، والخيام وشاعر روسيا الكسندر بوشكين ، الذى كان من أصل مصرى . كما تحدث فيه عن أمير القصة سومرست موم .

هذا هو الشاعر صالح جودت فى فن الدراسة الأدبية ، حيث نجده معنيا كل العناية بالشعر والشعراء ، يتحدث عنهم ، ويجمع قصة حياتهم ، ويحقق قصائدهم ، ويحلل خصائص شاعريتهم ، فى عذوبة أسلوب ، وجمال سرد ، وخفة روح وحلاوة منطق ، ولا يقتصر اهتمامه بالشعراء المعاصرين فحسب ، بل يتناول معهم القدماء ، وإن بذ الباحثين فى كتابة الدراسات الأدبية عن المعاصرين .

إن الشاعر جودت يعرف كيف يستولى على قرائه فى كتابته ونثره الفنى ، وفى دراساته الأدبية ، وترجماته للشعراء والأدباء والمفكرين ، كما يعرف كيف يستحوذ على عقولهم وقلوبهم بشعره . . وله دراسة أدبية عن الشاعر كامل الشناوى سينشرها المجلس الأعلى للفنون والآداب مع دراسات أدبية أخرى .

انه فنان ساحر ، وأديب ملهم ، وشاعر عبقرى وانسان فكيه ظريف ، قل ما يجود بمثله الزمان .

— ٣ —

ولقد مضى صالح جودت وترك وراءه تراثاشعريا رفيعا ، يضعه فى أعلى منزلة فى شعرنا الحديث . . .

كان شاعرا قادرا ، يملك الموهبة والذوق واللغة والموسيقى ، الموسيقى التى تحيط بك متدفقة ساحرة ، فى أنغام حلوة جميلة مؤثرة ، وغنائية عذبة جليلة طيعة مصورة . . .

كان صالح طاقة شعرية كبيرة ، لا يجود بمثلها الزمان إلا بين الحين والحين ، وإذا ماذكرنا أعلام الشعر الحديث ، فلا بد أن نذكره من بينهم ، بما كان له من موسيقى عرفنا مثلها عند الشابى وابراهيم ناجى وإيليا أبى ماضى وعزيز أباظة وقلة نادرة من شعرائنا المعاصرين . . .

والموسيقى عنصر أساسى لاغنى للقصيدة عنه ، بل هى فى رأيى وسواء كانت موسيقى خارجيـة فى إطار الوزن والقافيـة ، أم داخلية فى إطار الايقاع والنغم الموسيقى ، هى كل شىء فى الشعر . ولا أظن أن أعلام النقاد قديما وحديثا يخالفون فى ذلك . . .

وأكاد أمثل صالح جودت بالبحترى (— ٢٨٤ هـ) فى روعة موسيقاه وتدفق شاعريته ، وجمـال غنائيته ، وفى عمـودية القصيدة ، التى كان أحد سدنتها وحماتها ، وفى محافظته على عمود الشعر العربى كما يقول ..

أنا صاحب الشابى ، مذهبنا ألا نخون خليلنا البصرى[١]

(١) ٧٦ الله والنبل والحب — من قصيدته قرطاجية .

ويقول :

الشــعر موسيقى منغــمة — إما حنا شطر على شطـر
وتألقا وزنا وقافيـــــة — وتألقا بثقافــة العصر

وقد يعد صالح كذلك أشبــه الناس مذهبا فى الرنين الموسيقى الحلو وبخاصة فى شعره فى الحب بابن زيدون .

وإذا كان النقاد القدما ، وفى مقدمتهم ابن الأثـير (— ٦٣٧ هـ) قد قالوا عن البحترى . « إنه أراد أن يشعر فغنى » ، فإن هـذا القول ينطبق تمام الانطباق على شاعرنا صالح جودت . . .

والموسيقى فى الشعر تتمثل فى مقدرة الشاعر البيانية ، وموهبته اللغوية الهامة ، ودقة صنعته ، وحسن اختيــاره لألفاظه ، ومواءمته الفائقة بين الالفاظ بعضهـا والبعض ، وبين المعانى كذلك ، وبين الالفاظ والمعانى جميعا ، ومن أسباب اكتمالهـا قوة الروح الغنائى عند الشاعر ، وسلاسة أسلوبه ، وحسن تأتيه ، وحرصـــه على جمال الوصف ، وجودة السبك ، وعذوبة الأداء . مع سلامة الذوق والطبع .

ولقد عاش جودت بروحه ورعشات نفســه ووهج شاعريته وجلال أحاسيسه ، وجمال أدائه وحلو نغمه ، كل أحداث الشعر ومدارسه ومذاهبه وتياراته منذ عام ١٩٣٢ حتى وفاته . . .

عاش كالنحلة الدءوب المتنقلة من فن إلى فن . ومن زهرة إلى زهرة ، فخلال أعـوام حياته الأربعـــة والستين (١٢ ديسمبر ١٩١٢ — ٢٣ يونيو ١٩٧٦) تنقل من بنك مصر إلى الأذاعة إلى الصحافة حتى استقر

فى آخر الأمر فى دار الهلال ، ومثل الشعراء فى مختلف المجالس واللجان الأدبية والفنية التى كان يتمتع بعضويتها ، ونال عددا من الجوائز التى فاز بها تقديرا لشاعريته : جائزة الشعر (١٩٥٩) ، وجائزة أمير الشعراء أحمد شوقى (١٩٦٢) ، ورشح لجائزة الدولة التقديرية فى أواخر حياته ، ومات قبل أن ينالها .

عاش وهو يحب الحياة ، ثم مات وهو يحب الموت ، وكما يقول كيتس : الشعر والمجد والجمال أشياء عميقة ، ولكن الموت أعمق ، الموت مكافأة الحياة الكبرى ، الآن يبدو لى أكثر من أى وقت آخر أن من الخصوبة أن أموت » . ولقد مات صالح جودت وهو فى قمة مجده الشعرى ، مات وهو يردد قوله من ديوانه « ألحان مصرية » :

سراب وكل حياتى سراب — وفى وهمه قد أضعت الشباب
سراب وأسلمته خاطرى — فعللني بالأمانى الكذاب
يروح كمقترب فى ابتعاد — ويغدو كمبتعد فى اقتراب
وأجهدنى السير فى إثره — فلا القلب مل ولا العقل ثاب

ويقول صالح جودت :

الشعر إن فات يدى انتهى
حظى من الدنيا فما لى يدان
والله مالى غير ايقاعه
وسيلة ترجى بها الحسنيان

نظمته من وسوسات الحلى

وصفته من صرخات الجان

وكان شاعرنا خفيف الروح مصرى الهوى والنزعة فى أغانيه الكثيرة التى غناها له المطربون والفنانون ..

تعود عناصر الموسيقى عند صالح جودت إلى أوزانه الخفيفة السهلة التى كان يصوغ فيها شعره ، ففى ديوانه « الله والنيل والحب » نظم الشاعر :

خمس قصائد من الرمل

وعشرا من مجزوئه

وثمانى قصائد من مجزوء الرجز .

وثمانى قصائد أيضا من المتقارب

وسبعا من الكامل ومجزوئه

وخمسا من البسيط ومخامه

وأربعا من الهزج

وأربعا كذلك من السريع

وقصيدتين من الخفيف ومجزوئه

وقصيدتين من المجتث

أما الطويل فنظم منه قصيدة واحدة . والقصائد المترجمات فى آخر

الديوان منها : قصيدة من الرمل ، وست من مجزوئه ، وأغلب أوزان الديوان من الرمل ومجزوئه على أية حال .

وتعود موسيقاه كذلك إلى دقة إحساسه ورهافة ذوقه ، وإلى ملكته الفنية الصناع ، وإلى رقة خلقه وعذوبة نفسه وجمال طبعه وشدة احتفائه واحتفاله بصنعته ، وإلى شدة اختياره لألفاظه الشعرية ، فوق تمكنه من اللغة ومقدرته فيها ، ولا ننسى نشأته فى المنصورة مدينة الجمال والسحر والشعر ، وأنه عاش شاعر الحب طيلة حياته ، والحب هو فلسفة شاعرنا صالح جودت بأوسع معانى الحب ، وهو كذلك يقتضى هـذه الموسيقية ويستدعيها . والحب موضوع رومانسى إذا تناوله الشاعر بلهفة المحب وعذابه وأشواقه ، وبقلبه وآهاته وأحزانه وعبراته وجراحه . . .

وكما يقول أمير الشعراء :

خلق الله من الحب الورى   وبنى الملك عليه وعمـــر

والحدث الكبير فى حياة صالح جودت هو اتصاله بمدرسة أبولو الشعرية منذ قيامها عام ١٩٣٢ ، وحياته الفنية معها وإقباله على دعوتها للتجديد . . وفى هذه المدرسة تعلم ايثار بساطة الأسلوب ورقته وعذوبته ، وحب الموسيقى بكل سحرها وجمالها . .

وإذا كان الشابى (— ١٩٣٤) قد احتفل بموسيقى الشعر فى قصائده ، لاتصاله بأبولو ، وأثرها فى شعره . فإن صالح جودت كان أشد حبا للموسيقى ، لأنه عاش أمداطويلا بفكره وروحه ونفسه مع هذه المدرسة ، والتقى بأعضائها وتأثر بمنهجهم ومذهبهم فى الرومانسية . أما الشابى فقد كان اتصاله بالمدرسة قبل وفاته بعامين اثنين :

ويقول الناقد الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى فى كتابه «دراسات نقدية»: إن صالح جودت مثل الموهوبين من مدرسة أبولو ، أمثال الصيرفى ، والهمشرى ، والسحراوى ، وحسن حبشى ، ومحمد رجب وغيرهم من شعراء الثلاثينات تبدو فى شعرهم ظاهرة تغيير الأسلوب من الأسلوب الرصين الجزل أو الغريب المعقد إلى أسلوب سهل لين مطبوع عذب الموسيقى ، وكان من ذوى الموسيقى الحلوة والأسلوب الجذاب . وقد زادت موسيقاه حلاوة ورصانة بمرور الزمن ، وإن لمدرسة أبولو ولصالح جودت — وهو أحد روادها — فضلا فى هذه النقلة الفنية الجديدة ، إلى شعر الغنائية الحلوة الخلابة والعبارة الصافية العذبة فى مثل قصائده الأولى : العيون الزرق — ظمآن ، وفى أغلب قصائده بعد المرحلة الأولى من تطور شاعريته . . .

وتكاد لغة صالح جودت تصل فى بساطتها وجمالها وسلاستها إلى منزلة عالية من الغنائية والموسيقى ، حتى أصبحت لفرط طبعه قريبة من لغة النثر ولغة الشعب كذلك ، كما كان أبو العتاهية (— ٢١١ هـ) الشاعر العباسى من قبل . . .

ويستخدم الشاعر صالح جودت مع موسيقاه الحوار الذى يديره فى اقتدار ، والحوار فى شعره هو العنصر الثانى من عناصر المذهب الشعرى لشاعرنا . .

والرومانسية — التى تؤاخى الموسيقى الشعرية — تمثلها مدرسة أبولو ومن بينها صالح جودت أحد روادها ، وابراهيم ناجى (— ٢٥ من مارس ١٩٥٣) والهمشرى ، وعبد العزيز عتيق (— ٢٠ أبريل ١٩٧٦) ومصطفى السحرتى ، وحسن كامل الصيرفى ومختار الوكيل ، بما فيها من رجوع

إلى الذوق والعاطفة والوحي والالهام ، ومن محاولة للتجديد وعناية بالطبع الشخصى ، ومايتبع ذلك من ألوان العواطف والشعور والاتجاه إلى الشعر العاطفى الغنائى ، ومن البساطة وترك النفس على سجيتها واتباع الفطرة والطبع الخالص ، ومن هيام بالطبيعة وارتماء فى أحضانها ، ومن قوة الشعور بالألم والقلق النفسى والعذاب والوحدة ، ومن صياغة القصيدة على نمط عضوى متكامل ، لتنطق بتجربة شعرية عميقة ، وصوفية الحب العذرى التى عرف بها شعراء أبولو ، وأخذوها تيارا عاطفيا يتمثل فى فلسفتهم العاطفية المملوءة بالحب والحرمان والألم والعذاب والضنى والأرق وهى واحدة من خصائص هذه الرومانسية التى قوت جانب الموسيقى فى شعرهم ، والحب عندهم متعة روحية لاجسدية ، فهو حب عذرى صادق . . .

وقد وضعت مدرسة أبولو مفاهيم جديدة للفظة وللصورة الشعرية ، ونادى روادها بما كان ينادى به وردزورث من قبل ، من تجنب تلك التشبيهات التى كان يتوارثها الشعراء ، وطعموا شعرهم بألوان من الرمزية والسيريالية وغير ذلك . وطوعوا اللغة والأسلوب للفكرة والمعنى والخيال والعاطفة والقصة الشعرية .

ولننظر إلى موسيقى الشاعر صالح جودت فى بعض قصائده . وأمامنا قصيدته « أحلام المنصورة » التى تحدث فيها عن ذكريات شبابه فى أفيائها وعن تاريخها وانتصاراتها . وعن جمال غاداتها . وغير ذلك ما ألم به فيها .. يقول الشاعر [١]

---

(١) ص ٢٥ من ديوان « الله والنيل . والحب » . وللشاعر كذلك : ديوان صالح جودت (١٩٣٤) - وديوان ليالى الهرم (١٩٥٧) - وأغنيات على النيل (١٩٦٢) .

آه مما بى وهل تدرين ما بى
يوم ودعتك ودعت شبابى
أين أحلامى على تلك الروابى
ذابت الأحلام فى قلبى المذاب

ثم يتحدث عن حبه القديم فيها :

لى حبيب فيك أفديه بعمرى
سمرة النيل على خديه تجرى
هو إلهامى وأحلامى وسحرى
ونعيمى بين عينيه وسكرى
وكان عند الليلة الظلماء بدرى
وله نجواى فى دنيا أغترابى
ياترى يذكرنى بعد الغياب ؟
آه مما بى وهل تدرين ما بى
يوم ودعتك ودعت شبابى

ثم يتحدث عن انتصارات المنصورة التاريخية

من كأبنائك فى غزو الشعوب
شهداء المجد أبطال الحروب
وكغاداتك فى غزو القلوب
بالعيون السود واللحظ اللعوب
المنى بعدك من وهم السراب
والصبا فى غير لقياك تصابى

أه ممـا بى وهـل تدرين مـا بى
يـوم ودعتـك ودعت شبـابى

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة التي نجد فيها خفة روح صالح جودت وغنائيته وموسيقاه العذبة التى زادها وثوقا تآخى الفكرة والمعنى والالفاظ والصور والنغم ، وعمق التجربة وبساطة الأداء وعمق الذكريات ولذعها فى نفسه ..

وثلاثية صالح جودت الجليلة المقدسة التي تشمل :

١ — فى رحاب الكعبة

٢ — فى رحاب المدينة المنورة

٣ — فى رحاب القدس

فيها كل خصائص موسيقى صالح جودت بما يحللها من خيال وعاطفة وتجربة عميقة .. وهذه الثلاثية فى صدر ديوان « الله والنيل .. والحب » وهى من أوزان متعددة : فالنشيد الأول من المتقارب ، والثانى من الرمل ، والثالث من السريع . والثلاثية مشهوره ، وقد غنتها أم كلثوم ، وتمتاز بأعذب نغم موسيقى عرف فى قصيدة معاصرة ، وقد أفرغ فيها الشاعر كل رؤاه الشعرية وغنائيته الحلوة فى الحان من الشعر والسحر معا ..

وقصيدة صالح « على النيل » من ديوان « الله والنيل والحب » .. معجزة فنية أخرى . يقول فيها الشاعر :

وجاءت « ضحى » لابى تشتكى
فقالت : فتـاك طويل اليـدين

رأني على النيل عنـــد الغروب
فـــر ولم يرع لى حـــرمتين
دمـــوع الأنوثة ظمـــآنة
وذل العـواطف حتى اكتوين
فسرت اليه فنــاديته . . .
فأغلق دون الهـــوى المسمعين
فادركته فتـــجنى على
وذوب قلبي فى نطـــرتين
ولـكن تهــــدى همسا به
فســـهما فغـــدا بين بين
فامسكت شـــعرى بكلتا يدى
فطالعــه ذهب فى لجـــين
وملـت عليـــه فأغريتـــه
فتحنى . . . فقبلـــته مرتين
فعـانقني فثنيـت الشفـاه
فبادلني قبـلة العاشـــقين
فقال أبى وهـــو فى حـيرة
حسبت فتـاى طويل اليـدين
فقـالت : أجل أنه ضمـني
وقبلـني فى فـى بعـــد أين
أترضـى يقبلـني قبـــلة
وقد كنت أطمع فى قبلتين

معجزة فنية فى لوحة رائعة ، تتجمع فيها الموسيقى والحوار واللغة المبسطة والأمثلة الشعبية والمفاجآت ، ليجعل ذلك كله منها أغنية رائعة . وانظر إلى هذه العذوبة فى موسيقى الشعر ، البحر والقافية والايقاع ، كل ذلك يفوق حد الجمال ، ولا شك أن الشاعر يقف هنا مع الاخطل الصغير ومع الشاعر القروى فى قمة الابداع ، ولكنها الاصالة عند شاعرنا التي تنأى به عن التقاليد :

وماذا أقول فى قصائد كثيرة لصالح جودة تصلح كل منها شاهدا على حلاوة موسيقاه وعذوبة أنغامه .

وقصيدته « قاهرتى(١) » . و « أنشودة القاهرة(٢) » .

فيهما الوطنية العميقة التي تزيد موسيقاه حلاوة ، ثم قصيدته « حكاية فى الحى(٣) » ، التي تتجمع فيها الموسيقى والحوار وغرابة الخيال وجمال الصورة ، مما جعل منها عزفا موسيقيا هامسا . .

وبعد فهذا هو صالح جودت ، ولا أقول : فى أغانيه ولكن أقول : فى غنائيته ، ولا أقول : فى قوالبه الفنية ، ولكن أقول فى موسيقاه ، فى حبه وهواه ، فى جمال نجواه ، فى ندى نسجه ، وعذوبة جرسه ، فى شعره وشاعريته . . .

---

(١) ٦٤ من ديوان « الله والنيل والحب » .
(٢) ص ٨٩ الديوان
(٣) ص ١٦٩ الديوان نفسه

- ٤ -

وآخر ديوان ظهر للشاعر صالح جودت هو ديوان « الله والنيل والحب » ، وفيه ذوب عاطفته ، وأرق مشاعره ، وأجمل ألحانه ، وأروع صوره وموسيقاه .

الكثرة الكاثرة من قصائد الديوان فى الحب ، وقد غنى الشاعر للحب أعذب ألحانه وأشجاها ، ولكنه الحب الذى يمتزج بكل الأغراض الشعرية عنده امتزاج الضياء بالظلام ، والروح بالجسم ، فهو حين يقول فى الوطنية يكتب الحب ، وحين يقول فى الإسلاميات يغنى للحب ، وحين يتحدث عن النيل يكتب له قصيدة حب ، إن الحب عنده هو الحياة والأمل والسعادة وكل شيء فى الدنيا ، وكما يقول الشاعر :

دعنا نذوق الجنى فى كل المواسم غضا

ونشرع الحب دينا ، ونجعل الوصل فرضا

لا يعرف الله إلا من يحمل الحب نبضا

إن الحب عنده هنا حياته وروحه وراحه وشمسه وقمره ، إنه كل شيء لديه ، وكما قال :

ذهب الحب بقلبي ووقاري وجلالي

وكما قال كذلك :

يا ملاكى أنا من أحببت فى الحب عذابى

وبنـار الشوق واللهفـة أحرقت شبـابى
أنقذى روحى من النار ، وفوزى بالثواب

وكما قال فى حبه ، وحبيبته :

واقعى فى يقظتى أنت ، وحلمى فى سباتى

والحب عنده هو أجمل ألحان شعره ، يقول شاعرنا صالح جودت فى عذوبة وجمال وفتنة وقد مرت من قبل :

وجاءت « ضحى » لأبى تشتكى فقالت : فتاك طويل اليـدين
رآنى على النيل عنـد الغروب قمـر ، ولم يرع لى حرمتين :
دموع الأنوثـة ظمـآنة وذل العواطف حتى اكتوين
نفرت إليـه فناديته فأغلق دون الهوى المسمعين
فأدركته . . فتجنى على وذوب قلبى فى نظرتين
ولكن نهـدى همـا به فمـهما . . فغـدا بين بين
فأمسكت شعرى بكلتا يدى فطالعه ذهب فى لجين
وملت عليـه فأغريته فحـن . . فقبلته مرتين
فعانقنى . . فثنيت الشفـاه فبادلنى قبـلة العاشقين
فقال أبى . . وهو فى حـيرة حسبت فتـاى طويل اليدين
فقالت : أجل : أنه ضمنى وقبلنى فى فمى بعـد أين
أترضـى يقبلنـى قبـلة وقـد كنت أطمع فى قبلتين[1]

---

(١) قصيدة « على النيل » - ١٥٧ الديوان .

فنجد هنا عناصر أصالة لشاعرية الشاعر : من عمق التجربة وقوة العاطفة وحلاوة الموسيقى وفتنة الخيال ، وبساطة التعبير ، ودقة الذوق ورهافته وقد تكون هذه النغمة مألوفة فى شعر الأخطل والشاعر القروى ، ولكنها أصيلة فى شعر صالح جودت ، أصالة الحب بين أغراض شعره المختلفة .

وفى قصيدته « السنة المكسورة »[1] يقول الشاعر فى موسيقى حلوة رفيعة :

عصفورتى .. بالله يا عصفورة
ما سر هذى السنة المكسورة ؟
وأين راحت ندفة البلورة ؟
هل كسرتها فكرة موتورة ؟
أم أكلتها شفة مسعورة ؟
أم شربتها قبلة مخمورة ؟
يافتنتي من سحر تلك الصورة
من وجهك الملقى على نوره
من الدرارى الحلوة المسطورة
كأنها قصيدة مشهورة
وبينها لؤلؤة منثورة
فديت تلك السنة المكسورة

(١) ص ٩٥ من الديوان .

إلى آخر هذه الأنغام الحلوة الهامسة البديعة .

وبساطة الكلمة عند الشاعر صالح جودت مع رقتها وعذوبتها لا يكاد يدانيه فيها شاعر آخر ، في قصيدته « حب من السماء[1] » مثلا يقول الشاعر في بساطة ساحرة .

سلواى .. يا أحلى من الحلوى بالذة اللــذات يا سلوى
أهواك فى صبر وفى عفة أهواك فى طهر وفى تقوى
أصنع من وحيك قيثارتى وأملأ الدنيا بها شدوا
ولا أرى معصية فى الهوى مادمت أرضى منك بالنجوى
وأكتفى بالسهد فى صبوتى وأحتفى بالدمع والشكوى

ويقول فى قصيدة « حكاية فى الحى[2] » :

قالوا : حــــديث حينا حـــكاية فى حيـــــنا
ما ضرنا من قولهــــم يا فتنتى . . ما ضـــرنا
وما علينـــا منهـــو وما لــــهم وما لنـــا ؟
أما ملأنا الجــو عطراً وجمـــالا وسنى ؟
وأصبح الزهر سلاما وكلاما بيننا ؟ وأغنيات لا يعيها غير أنت وأنا
أما جعلناه بهة الحى تحب مثلنا ؟ أما رأينا الانجم الزهر تغنى حولنا
أما شهدنا البدر يومى بالأشارات لنا ؟ أما سمعنا البلبل الشادى لنا مؤذنا ؟

ويختم القصيدة بقوله :

الله . . ما أجملها حكاية فى حينا

---

(١) ١٨٣ الديوان .
(٢) ١٦٩ الديوان .

إنها بساطة الكلمة والتعبير والصورة مع روعتها ودقتها وجمال وقعها .

وينكر صالح جودت على لائميه لومهم ، ويتهمهم بأنهم لا يدرون .. ، يقول :

من لامني أما شكوت الهوى ... فليس يدرى لذة الشكوى
أول من أرثى لحرمانه ... من لم يذق همًا ولا شجوا
بليت بالحب وأوصابه ... وما ألذ الحب من بلوى
هل آدم أشقى بحوائه ... أم آدم أشقى بلاحوا ؟ (١)

والحب عند صالح جودت لحن صوفى جميل ، وإن امتزجت فيه الروح بالمادة ، والقلب بالعقل ، والعاطفة بالجسم فى أحيان كثيرة وقد عاش حياته حبا عذريا عاطفيا ، ووجدا عفا ملائكيا ، ولكنه عاد فى بعض الأحايين ينسى مذهبه العذرى فيقطف من لذائذ الجمال عطرا وسحرا وزهرا ، يقول مصورا لعذريته فى الهوى :

كم صليتنا فى صلاته ... أسطورة تدعى الهوى العذرى
عشنا نسبح باسمها زمنا ... تسبيحة النساك فى الدير
عشنا لوجه الحب ، يسعدنا ... فى الوصل والحرمان والهجر

إلى أن يقول فى انقضاء هذا العصر :

ولى .. وعشنا بعده لنرى ... عنف الغريزة حين تستشرى
فى عالم كالغابة انحدرت ... فى قلبه أسطورة الخير
الحب فيه خرافة نسجت ... بالإثم والشهوات والغدر (٢)

---

(١) ص ١٨٤ الديوان .
(٢) ٧٤ الديوان .

والسكنة فى غفوة الروح ينسى هذه العذرية الجميلة فيقول[1] .

لا تلوميني لأفكاري الجريئة   أول القصة فى الأرض الخطيئة
لا أبونا آدم عف ، ولا   أمنا كانت من الذنب بريئة
عمرا فى دمنا تفاحة   مالنا فيا تغذيه مشيئة
هى فى كل ذهاب نغم   ولها ترنيمة فى كل جيئة

وهكذا تمضى قصائد الحب فى الديوان جميلة ساحرة إلى نهاية القصائد الثمانى والأربعين فى فن الحب والغــزل وذكريات الهوى والشباب ، وبجانب ذلك ثلاث قصائد فى الابتهال إلى الله وإلى النبى الأكرم ، وفى المقدمات الثلاث ، ثم خمس قصائد وطنية خالصة ، سوف نعود إليها بعد قليل . وفى الديوان قصيدة قيلت فى تكريم بلبلى الشرق : أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب . . وجملة قصائد الديوان غير المترجمة تسع وخمسون قصيدة ، أما القصائد المترجمة فجملتها ثلاث عشرة قصيدة . . ، وفى الديوان تيارات عديدة : تيار عاطفى ، وتيار دينى ، وتيار عربى ، وتيار وطنى ، وهو أبرز التيارات الفكرية فى الديوان من حيث المضمون .

فالتيار العاطفى تحدثنا عنه فى أول هذه الدراسة لأنه أظهر سمات الديوان وأوضحها .

والتيار الدينى نتجلى فى مثل قصيدة الشاعر «صلاة»[2] التى تتضمن ابتهالات عميقة إلى الله عز وجل ، وفيها يقول شاعرنا .

لوجهك أنت أحب الحياة   لأنك أنت وهبت الحياة
أحبك فى نفحات الزهور   وشدو الطيور وهمس المياه

---

(١) ص ١٧ من قصيدة «عصير التفاحة»   (٢) ص ٦٢ الديوان

ثم يقول فيها :

ياطفلتى لا وقـت للحب   لا وقت للآهات والعتب
أفما ترين الشجو فى نغمى ؟   أفما ترين الشوك فى دربى ؟

إلى آخر القصيدة .

ومن قصائد هذا التيار قصيدته : « قاهرتى »(١) ، وقصيدته « أنشودة القاهرة » ، وغير ذلك من القصائد .

ومن التيار الوطنى فى الديوان قصائده : أحلام المنصورة التى مزج فيها الحب بالوطنية وذكريات الشباب بذكريات المجد العظيم .

أما قصائد التيار العربى فمنها قصيدته الطويلة الجيلة العالية « قرطاجة »(٢) وفيها يلتقى الروح الوطنى بالاتحاد العربى ، بالمشاعر الاسلامية ، وفيها يقول الشاعر(٣) :

ياتونس الحسناء ، معـذرة   إلى شجيك دون أن أدرى
عفوا إذا شط الحديث بنا   فنسيت ذات الأعين الخضر
وغـفلت عن ولهى بفتنتها   وبأرضها وبأهلهـا الغـر
حان الوداع وظل لى أمل   فى ملتقاك يشد من أزرى
سأعود ياخضراء بعـد غـد   من وكرك الحانى إلى وكرى
سأعود فى جنبى أحمـل ما   حملتنيـه من هـوى مصر
سأعود من بلد « الحبيب » إلى   بلدى لأشهد ساعه النصر

(١) ٦٤ الديوان .
(٢) ص ٧٠ الديوان .
(٣) ص ٧٧ الديوان .

إلى آخر هذه القصيدة . .

كما يتجلى كذلك التيار الديني في قصيدته من القلب[١] التي جعلها ابتهالات صوفية رفيعة إلى رسول الله ، وفيها يقول :

ياحبيب الله والناس ويانور السما   يامجيرى من مصيرى ، ويا أمير الأنبياء
ياشفيعى يوم لا يسأل عني شفعائي   أنا غنيت بذكراك صباحى ومسائى
وعلى بابك يا أحمد ألقيت رجائى

والقصيدة الثالثة من قصائد هذا التيار — الديني — هى « الثلاثية » المقدسة التي غنتها أم كلثوم ، وهى مطلع الديوان ، وتحتوى على ثلاثة أناشيد : في رحاب الكعبة — في رحاب المدينة المنورة — في رحاب القدس ، ومن البدهى أن نعلم أن الشاعر قد اختار لكل نشيد من هذه الأناشيد الثلاثة وزنا خاصا ، فالنشيد الأول من المتقارب ، والثانى من الرمل ، والثالث من بحر السريع .

أما التيار الوطني فيتجلى في مثل قصيدة الشاعر لاوقت للحب[٢] وهى قصيدة يقول فيها :

تتساءلين : لم انثني قلبى ؟   يا طفلتى ، لا وقت للحب
لا تسألى ما خطب قصتنا   وتأملى ماجد من خطب
ما عاد بى شوق أكابده   وأنا أكابد محنة الشعب
أأحب والعدوان في وطنى ؟   متوغل كالشوك في جنبى ؟

---

(١) ص ١٥ الديوان .
(٢) ص ٣٤ الديوان .

وفعلا لقد عاد الشاعر فشاهد ساعة الصفر التى انطلق فيها جيشنا الباسل يعبر القناة ، ويحطم خط بارليف ، ويسحق الأعداء ، والقصيدة رائعة وتستحق القراءة مرة ومرات .

ومن القصائد الوطنية التى فاتني أن أعرض لها قصيدة الشاعر « غريب فى لندن » [١] ، وفيها يقول :

قالت لهم : من الغريب هاهنا ؟ أتجهلين يا « جوان » من أنا ؟
أنا .. أنا أكرم منك موطنا أنا ، أنا أعرق منك معدنا
أنا ابن شعب يتحدى الزمنا

إلى آخر هذه القصيدة الحلوة البديعة التي لا ينقصها شيء من الطلاوة والسحر ، لولا عنف الرد وسرعته ، وقد كان مما يجب أن يمهد لهذه الحدة فى الخطاب ، وبخاصة مع فتاة .

ما أحلى « الله . . والنيل .. والحب » ، وما أروع حديث الشاعر فى قصائده عن النيل . . وذكر النيل وسحره وجماله يجري فى الديوان فى كثير من القصائد حتى فى الحب والغزل ، فالمنصورة مثلا يخاطبها بعروس النيل ، والقاهرة يصفها بأنها هبة النيل ، والنيل يجرى على لسان الشاعر فى أكثر قصائده ، ففى قصيدته « قرطاجية » مثلا يقول :

قالت : وكيف النيل ؟ قلت لها رغم الحوادث لم يزل يجرى
متحملا لجراح عزته معذوعاً بالحلم والصبر
مترصدا للمحدقين به متحفزا للاخذ بالثأر

(١) ص ١٧٣ الديوان .

إلى آخر هذه النغمة الحلوة الجميلة .

إن النيل عند الشاعر هو أعذب لحن وأجمل كلمة ، وأحلى اسم ، وهو لذلك يتكرر فى أكثر قصائد الديوان ، مقرونا بالحمد والاكبار والمجد .

وشعر شاعرنا صالح جودت يمتاز بموسيقاه الجميلة الحلوة الساحرة قبل كل شىء وبعد كل شىء ، والشاعر يتألق فى اختيار أوزانه تأنقه فى اختيار ألفاظه ، وقد رأينا أن الثلاثية المقدسة كانت أناشيدها الثلاثة من ثلاثة أوزان : فالنشيد الأول من المتقارب ، والثانى من الرمل ، والثالث من السريع .

وفى الديوان عدا القصائد المترجمة من الكامل ومجزوئه سبع قصائد ، ومن مجزوء الرجز ثمانى قصائد ، ومن المجتث قصيدتان ، ومن البسيط ومخلعه خمس قصائد ، ومن الخفيف قصيدة ، ومن مجزوء الخفيف قصيدة ، ومن الرمل خمس قصائد ، ومن مجزوء الرمل عشر أخرى ، ومن السريع أربع قصائد ، ومن الهزج أربع كذلك ، ومن المتقارب ثمان ، ومن مجزوء المتقارب قصيدة ، ومن الطويل قصيدة ، وفيه أربع قصائد نظمت على نمط الموشحات .

والشاعر يجيد العزف على هذه الأوزان فى ديوانه إجادة بارعة ، وأغلب هذه الأوزان من الأوزان القصيرة ، وأكثر الأوزان المستعملة هى بحر الرمل ومجزوئه ، فقد نظم الشاعر منه خمس عشرة قصيدة ، وهو بحر صالح للغناء إلى حد كبير ، وموسيقاه حلوة جميلة ، فمن الرمل قصائده :

عصير التفاحة — أحلام المنصورة — أنشودة محروم — خيالى — مصرى فى الدنيا الجديدة . . » ومن مجزوء الرمل قصائده : من القلب — غضبى — أحلى أغصانى — حب جديد — أنا مالى — ليالى الهرم — الملاك الأبيض — انصفوا أم ظلمونى — ليالى الاسكندرية — فى جزيرة معك .

أما القصائد المترجمة فمنها قصيدة من الرمل ، وست من مجزوء الرمل ، فجملة ذلك سبع ، وجملة ما فى الديوان كله من هذا البحر ومجزوئه اثنتان وعشرون قصيدة ، وباقى القصائد المترجمة الثلاث عشرة من الخفيف والمتقارب والمجتث والسريع ومجزوء الوافر .

ويلى بحر الرمل فى قصائد الشاعر فى الديوان من غير القصائد المترجمة مجزوء الرجز ، والمتقارب وكل من هذين الوزنين جاء عليه فى الديوان ثمانى قصائد ، ثم يلى ذلك بحر الكامل ومجزوئه وقد ورد منه فى الديوان سبع قصائد .

فالقصائد التى جاءت من بحر المتقارب هى : نداء الشباب — صلاة — فى المعادى — القمر الأسمر — كاذبة — عهد المياه — على النيل — النشيد الأول من الثلاثية ؛ والتى جاءت من مجزوء الرجز هى : قاهرتى — فتنة المغرب — السنة المكسورة — المشية الموقعة — شارع الأمل . . ومن القصائد الوطنية الجيدة فى الديوان : حكاية فى الحى — تسورى — .

والقصائد التى جاءت من بحر الكامل أو مجزوئه هى : لا وقت للحب — فى الطريق إليها — نصف قديسة — رسالة إلى مغرورة — قرطاجة — أرض وسماء — نهاية قصة .

وقد حمل الشاعر على الشعر الجديد فى قصيدته « قرطاجية » وفى

وفى قصيدة « أحلام المنصورة » يقول الشاعر يخاطب المدينة الحالمة على ضفاف النيل :

آه مما بى ، وهل تدرين ما بى ؟

يوم ودعتك ودعت شبابى أين أحلامى على تلك الروابى

ذابت الأحلام فى قلبى المذاب لى حبيب فيك أفديه بعمرى

سمرة النيل على خديه تجرى هو إلهامى وأحلامى وشعرى

ونعيمى بين عينيه وسكرى كان عند الليلة الظلماء بدرى

وله نجواى فى دنيا اغترابى

ثم يناجى المنصورة ، ويقص حديث مجدها وتاريخها وانتصاراتها ، ويختم القصيدة بالبيتين الأولين فى القصيدة :

آه مما بى ، وهل تدرين ما بى ؟

يوم ودعتك ودعت شبابى . . .

إن ديوان « الله والنيل والحب » للشاعر صالح جودت ثروة فنية قيمة تحمل ثورة فى الموسيقى الشعرية ، والتعبير الشعرى ، والأخيلة والصور والتجربة الشعرية ، هو حافل بكل المضامين العصرية الجديدة التى لابد منها فى كل شعر عصرى حى .

إن صالح جودت فى قصيدته العمودية يعرف كيف يصوغ قصيدته ، وكيف توحى إليه الطبيعة والجمال والحب أروع الآيات المعبرة عن الذات والحياة والحرية والوطن والشعب والعروبة والاسلام .

والشاعر لا يتخذ غير عودية القصيدة مذهبا له ، ينظم فى هـذا النهج الشعرى كل الهاماته ويصور كل مشاعره ووجداناته وأحاسيسه وأخيلته ، في وحدة عضوية كاملة » وتجربة شعرية عميقة ، وتأثير فى أخاذ : يقول :

أنا صاحب (الشابى) مذهبنـا
ألا نخون (خليلنـا) البصرى

ومن هذه العوامل مجتمعة كانت شهرة صالح جودت وذيوع شعره ، وبخاصة لأن أكثر موضوعات الشعر عنده هو الحب ، والحب قريب إلى كل قلب ، ويتمثل به كل محب متيم فى محراب الجمال .

وكان إذا أنشد شعره في المحافل زانه الفاؤه الجميل ، وصوته النبيل ، وكان فى ذلك كله المحلق والمبدع والشاعر المجلى فى حلبة الرهان .

— ٥ —

وصالح جودت من أعلام شعرائنا المعاصرين ، الذين تركوا أثر عميقا فى النهضة الشعرية الراهنة ، وخلفوا وراءهم تراثاً كبيراً من الشاعرية الصناع القادرة التي تستمد إلى ينابيع ثرة من الموهبة والذكاء والفن .

وقد كان أحب الشعراء إلى قلب الشعب ، وأكثر ارتباطاً بروح النيل والوطن ، وبتراث الإسلام والعروبة .

ونحن إذ نتحدث هنا عن الصورة الشعرية عند صالح جودت ، نتحدث عن نسج الشاعرية فى الصورة الفنية فى شعر صالح ، وعن سماتها

وخصائصها المميزة ، وكل ما يتصل بها من وهج النور ، وروح الجمال ، وقبس الفن .

والصورة ركن كبير فى الشعر ، وعنصر من أهم عناصره ، ونعنى بها موهبة الشاعر الفنية القادرة على أداء تجربته ممثلة فى شكل شاعرى رفيع شامل للاسلوب بكل مميزاته ، والخيال بكل ألوانه ، التى تلون العاطفة ، وتصور الفكرة فى مجالى صورها . وتشمل الصورة الإيقاع الموسيقى للكلمات والعبارات ، ثم الدلالات المعنوية للالفاظ والجمل ، ثم الخيال الذى يصنع الوحى الفنى والمجازات الاستعارية للمعانى وتمثيلها فى أحلى صورها ، ثم الظلال والأضواء التى يشعها التعبير .

والصورة المثيرة للاعجاب هى القادرة قدرة كاملة على أداء تجارب الشاعر ومشاعره بما يتجمع فيها من حلاوة الموسيقى وروعة الخيال ووحدة العمل الفنى وشخصية الشاعر ، ومن تهيئة الجو الفنى للالفاظ . . ومن ثم يجب أن تكون الصورة عميقة فى نفس الشاعر ، وعضوية فى صميم التجربة ، وواضحة الرؤية للاشياء التى يرنو إليها الشاعر ، ويحاول التمثيل لها .

والصورة جلالها وسحرها فى شعر شاعرنا الخالد صالح جودت ، وهى تمثل عبقريته الفنية فى نسج شعره وصياغته .

وإذا كانت الصورة الحسية هى نواة الصورة العاطفية والوجدانية ، ثم هى أساس الصورة العقلية ، فاننا لا بد أن نبحث عن جوانب هذه الصور فى شعر الشاعر .

على أن صور صالح جودت تمثل الرقة والعذوبة اللفظية والاسلوبية ،

وتمثل كذلك خيالا خصبا وغنيا وحافلا بكل ألوان الثراء فى الرسم والتصوير ، والتشبيه والتمثيل ، والمجاز والكناية ، وحسن التعليل ، وغير ذلك من جوانب تلوين الصور .

وكان شعر « صالح جودت » يشبه النغم الموسيقى الحالم الجميل الممتع والمؤثر معاً . لأنه كان يعتز بالموسيقى الشعرية . وكان يقرأ روائع الأدب الغربية والعربية ، القديمة والحديثة ، بشغف ولذة ، ويحفظ الكثير من خوالد القصائد لأعلام الشعر العربى ، مع عنايته الخاصة بشوقى والبحترى لموسيقاها الحلوة المأثورة . وكتب يقول : « كنت أحفظ الشوقيات عن ظهر قلب ، وكذلك حفظت شعر شوقى المسرحى ، وكنت أردد كثيرا من الشوقيات فى مجالسنا ، مترنما بعذوبة موسيقاها واشراق بيانها ، محاولا أن أحبب شوقى إلى صاحبى (الهمشرى) إذ كنت أضع أمير الشعراء فوق كل شاعر فى تاريخ الأدب العربى ، فى موسيقيته الدافقة ، وكان الهمشرى أشد إيمانا بالمدرسة الأخرى التى أرسى لبناتها مطران والعقاد والمازنى وشكرى . ولهذا فانك تقلب شعره فلا تجد أثرا لشوقى فى بيت واحد منه اللهم الا قصيدته « عاصفة فى سكون الليل » [1] . ويقول الشاعر أيضا : لم أتأثر بمطران بل لم أهتز له ، لسبب رئيسى ، هو ان الشعر عندى موسيقى أولا ، فإن لم يكن كذلك فهو ليس بشعر ، وشعر مطران على جلاله فقير فى موسيقاه ،

---

(١) ص ٢٦ ، ٢٧ ، كتاب الهمشرى شاعر صالح جودت - من كتاب الهلال الشهرى - العدد رقم ١٨٨ ديسمبر ١٩٧٤ .

ولهذا فإنى لم أستطع أن أتأثر به(١) . وكان شوقى(٢) أول ما يحفل بالموسيقى، وحافظ باللفظ الريان، أما مطران فبالخيال الجديد ،وإن ضاعت معه الموسيقى الأخاذة، أو اللفظة الرنانة . .

ومن ثم فقد حفل شعره بالموسيقى الخارجية الممثلة فى الوزن والقافية ، والداخلية الممثلة فى الرقة والعذوبة والايقاع النغمى والأسلوب ، مما مما جعل صوره مؤثرة وغنائية فى الوقت نفسه ، ومما جعل أغانيه كثيرة ومشهورة .

ولنختر أية قصيدة لجودت ، لنرى منها الصورة الشعرية عنده ، كيف تكونت ، وكيف تؤثر .

ولتكن هذه القصيدة هى قصيدة « أنشودة القاهرة » مثلا ، وهى القصيدة التى وقع نظرى عليها أولا . وهى من المتقارب ، وقد سار الشاعر فيها على نظام الموشحات الذى يتيح للشاعر إحداث تنغيمات موسيقية كثيرة من أثر اختلاف القافية ، وتعددها فى القصيدة الواحدة . ومن ثم رأينا موسيقاها لا حد لجمالها ، سواء كانت هذه الموسيقى للقصيدة داخلية أم خارجية ، ولقد مثلت هذه الموسيقى منتهى الرقة والعذوبة والجمال وأعطتنا سحر الوشى السندسى المتبدى فى اختيار كلمات وأسلوب القصيدة .

---

(١) ١٤٣ وما بعدها من كتاب « ناجى حياته وشعره » لصالح جودت .
(٢) ١٣٩ المرجع السابق .

وتتجمع الصور الشعرية فى القصيدة فى خيالها الذى يتمثل فى هذه الوفرة من المجازات والاستعارات التى لا شبيه لغناها وكثرتها وجمالها .

والقصيدة تتكون من خمس فقرات :

فالفقرة الأولى : هى تحية موجهة من الشاعر إلى القاهرة ، تصور أعمق مشاعر العبادة والحب :

صلاة على أرضك الطاهرة   سلام على روحك الشاعرة
وحب مدى الدهر يا قاهرة

وانظر إلى هذه الصورة الوجدانية الرفيعة ، وإلى هذه الصلاة وذلك السلام على الأرض الطاهرة ، والروح الشاعرة ، وإلى التورية الجميلة فى (قاهرة) ، وإلى خفة النغم وعذوبته وحلاوته وتسلسله وانطلاقه .

والفقرة الثانية : مناجاة للقاهرة مناجاة السلام والتفاؤل والصمود :

سلام على ليلك المؤنس   سلام على الورد والنرجس
لئن انقض الغدر لا تيأسى   وإن عبس الدهر لا تعبسى
ستدنو الأمانى الجايلة   وتنمو الزهور الجميلة
وتحلو الليالى ، وتصفو الجمالى ، ويحلو ابتهالى . .
وترجع أيامك الزاهرة   وتعلو بنودك يا قاهرة .

وهى صورة حماسية قوية تختلط فيها الصورة الوجدانية بالصور الحسية ، ويسير الشاعر فيها فى خطرات أشبه بخطوات الجندى الباسل إلى المعركة .

وما أبلغ هذه الاستعارة فى قوله : « إن انتفض الغدر » ، والتورية كذلك فى (قاهرة) ، وتلك رسمها الشاعر لأشواقه الروحية للقاهرة ، ولحلمه الجميل ، وتفاؤله النبيل بدنو الأمانى الجميلة ، ونمو الزهور الجميلة ، وحلاوة الليالى ، وصفو الجمالى ، ورجوع الأيام الزاهرة ، وصمود ابيتهالاته بأن تعلو بنود مدينته الخالدة ، القاهرة المعز وجوهر وصلاح الدين وبيبرس والسادات .

وتجىء الفقرة الثالثة من القصيدة :

تباركت يا حـلوة الضفتين بنور الحسين وأخت الحسين
تواليك من رحمة الله عين تلألى نورك فى المشرقين
ليخفق حول المآذن يحمى عروس المدائن
ويرعاك حـــــبى ويفـــديك قلبى
ويحرسك القـدرة القادرة ويبقى جمالك ياقاهرة

وهى صورة وحدانية عاطفية ، أشبه ما تكون بقصيدة غزل يقدمها الشاعر إلى محبوبته القاهرة القاهرة .. وهذه الصورة منسوجة من جمال القاهرة فى جلال الإسلام ، وقد نسجها الشاعر ببراعة وخفة ورقة وذوق ، وتحدث فيها عن جمال القاهرة بكل البيت .

وعن مآذنها الشاهقات وعن خفة روحها كعروس المدن فى العالم .. ودعا للقاهرة دعاء جميلا نابعا من قلبه وأعمق خلجات نفسه .

ويلى ذلك الفقرة الرابعة من القصيدة :

على شاطئيك مشت مريم وحج لأرضك من أحرموا

وصلى المسيحى والمسلم   وقالوا السلام وما استسلموا
فيا نفحة الأنبيـــــاء   ويا حــلوة الكبرياء
سلاما سلاما وسيرى   أماما وعيشى دواما
مباركة حــرة ظافرة   وحى على النصر يا قاهرة

وهى صورة حية لأرض النبوت والأخاء والوحدة والكبرياء والصمود ، صورة عاطفية وجدانية ، فيها قبس من جلال التاريخ ، وعظمة الشعب ، وجمال العواطف . وما أروع هذا الاحتراس الرفيع فى قوله : « وقالوا السلام وما استسلموا » ، وهذا التصوير الجميل فى قوله : فيا نفحة الأنبيا ، وقوله : ويا حلوة الكبرياء ، وفى تفاؤله وثقته بالنصر واستنهاضه للعزائم فى قوله : « وحى على النصر يا قاهرة » .

وينتقل شاعرنا إلى الفقرة الخامسة والأخيرة من قصيدته :

جلالك يصنع نور الصباح   وحقك يعــلو ولا يستباح
فكم من غوى أتى ثم راح   وكم من عتى طوته الرياح
ولا زلت من ألف عام   منار الهـــدى والسلام
وأرض الخصـــوبة ونهر   العذوبة وحصن العروبه
ومطلع ليالـــينا الساهرة   على موعد فى ربى القاهرة

إنها صورة تمثل رؤية شعرية عميقة ، لجلال الماضى وصمود وتفاؤل الغد المشرق المتلئ بالانتصارات ، وكأنما كان الشاعر يحلم بالعاشر من رمضان ، حلما عميقا يسنده الأمل والثقــة والتصميم . والشاعر هنــا ينسج كل ذلك من إيمانه بالقاهرة ، قاهرة الأعداء . والصورة هنا هى كذلك

صور تاريخيـة للماضى وتطلع تاريخى للمستقبل . وهى أشبه بالصور الوجدانية أيضا .

فإذا أمعنا النظر فى تلك الصور وجدنا فيها هـذا الوجدان الغامر ، والإيمان العامر ، والقلب القوى الثقة بالأمل والحب والسلام .

ولننظر إلى أساليب القصيدة المجازية الـكثيرة المتعددة الألوان : الليل المؤنس — انتفض الغدر — عبس الدهر — تواليك من رحمة الله عين — تلالىء نورك فى المشرقين — يرعاك حبى — حبج لأرضك من أحرموا — نفحة الأنبياء — حلوة الـكبرياء — جلالك يصنع نور الصباح — كم من عتى طوته الرياح .

وإلى هذه الـكنايات الجميلة : ستدنو الأمانى — وتنمو الزهور — وتحلو الليالى — حلوة الضفتين — يحيى عروس المدائن — سيبقى جمالك يا قاهرة — منار الهدى والسلام — تعلو بنودك .

وهى كلها مجازات وكنايات مصبوغة بألوان حسية وعاطفية قوية . وفى قوله : وحقك يعلو ولا يستباح تأكيد بليغ للصورة .

وفى القصيدة الـكثير من الحقائق البالغة حد الخيال ، قوله :

تبـاركت يا حـلوة الضفتين

على شاطئيك مشت مريم   ستـــدنو الأمانى
وتنمـو الزهـــور   وتحلو الليـــالى . . . الخ

بل لقد أعطى جمال النظم عند الشاعر لبعض التعابير الحقيقية جمالا وسحرا ، كقوله :

وحصن الـ ـــــ روبة تحرسك القـدرة القادرة

إلى آخر تلك المضامين ، المسكلة للصورة ، والمتممة لجالها .

وبعد فماذا تعطينا هذه الصورة الشعرية فى القصيدة ؟

لا شك أنها تعطينا الكثير من الدلالات على جوهر الصورة الشعرية عند شاعرنا الخالد . . . وفى مطلعها ما يلى :

أولا : أن جمالى مصر وجلالها اللذين لا حد لروعتهما قد ملكا على الشاعر كل أحاسيسه ومشاعره ، وأنطقاه ببدائع السحر والحسن والفتنة .

ثانيا : أن المجاز عند الشاعر ليس صناعة ، ولكنه فن وموهبة والهام . وهو فى خدمة المعنى والفكرة ، وليس مجلوبا لخدعة اللفظ أو للتزيين والوشى المجرد فحسب .

ثالثا : أن الشاعر يستمد ألفاظه وتعابيره لا من قواميس اللغة ولكن من نسيج البيان وعظمة البلاغة والاعجاز ، ومن مخيلة مصورة غنية بموهبة الرسم والتصوير ، ومن الذى يستطيع استخدام الألفاظ هذا الاستخدام الرائع الجليل الممثل للسحر فى ذروته سوى صالح جودت من بين شعرائنا المعاصرين ؟

رابعا : صور الشاعر مستمدة من الطبيعة (أولا) : الليل المؤنس — الورد والنرجس — الأرض الطاهرة — وتنمو الزهور الجميلة — وتحلو الليالى ـ أيامك الزاهرة ـ حلوة الضفتين ـ على شاطئيك مشت مريم ـ أرض الخصوبة ـ نهر العذوبة ـ مطلع ليلتنا الساهرة : ومع ذلك فهى صور يختلط فيها الوجدان والعاطفة بالحس والمشاهدة المقتبسة من الأضواء

والشفاع ، كقوله : تلألؤ نورك فى المشرقين ، جلالك يصنع نور الصباح منار الهدى ، وكأنما عين الشاعر المحدقة فى كل صور الجمال هى الملهمة لقلبه بالحب والوفاء والولاء لمدينته الخالدة . ومن وحى الجمال والحب يجىء قوله : وحب مدى الدهر يا قاهرة ، يا حلوة الضفتين ، عروس المدائن ، يرعاك حى ، يبقى جمالك يا قاهرة ، حلوة الكبرياء .

والطبيعة والهيام بها ، والجمال والغناء فيه من دلائل الرومانسية عند الشاعر ، وهى رومانسية مدرسة أبوللو المبتدعة المجددة .

ويجى مع ذلك التيار الملهم للشاعر بصوره وألفاظه تيار آخر ، هو التيار الإسلامى المتمثل لنا فى هذه الجمل والأساليب المشتقة من الإسلام والعبادة والروح ، كقوله : صلاة ، سلام ، أرضك الطاهرة ، يعلو ابتهالى ، تواليك من رحمة الله عين ، وكقوله : صلاة ، سلام ، أرضك الطاهرة ، يعلو ابتهالى ، تواليك من رحمة الله عين ، ليخفق حول المآذن ، يرعاك ، يفديك ، يحميك ربى ، حج لأرضك من أحرموا ، صلى المسيحى والمسلم ، نفحة الأنبياء ، سلاما سلاما ، مباركة ، تباركت ، حى على النصر ، منار الهدى ، حصن العروبة .

وهى كلها صور نابعة من عمق الشعور الدينى فى نفس الشاعر . ومن أصالة هذه العاطفة الإسلامية الملهمة ، لأنها تيار ملهم للشاعر بغير حدود . ، ومن هذا التيار الملهم الذى آزره عمق الإيمان بتاريخ مصر وحضارتها وأصالة القاهرة وعظمتها رأينا روح التصميم والكفاح

والتفاؤل والأمل والعزم على الصمود والنصر واضحة فى كل أجزاء القصيدة بمقدار وضوح كل ذلك فى روح الشعب المصرى بكل طبقاته ، ومختلف أفراده على مر العصور والأجيال . وقد وفق الشاعر كل التوفيق فى التعبير عنها .

وجمال القصيدة يتضح لنا أكثر إذا ما أدركنا أن الشاعر وزع معانى الصمود فى القصيدة توزيعا رائعا ، كأنه التوزيع الضوئى الباهر ، فى كل مكان من المنزل . ففى كل فقرة يعبر الشاعر عن عزم الشعب على سحق العدوان والغدر تعبيرا بليغا قويا مؤثرا وجليلا — ويضاف إلى ذلك أن القصيدة قصيدة حب موجهة إلى القاهرة والحب هو الموضوع الأول عند صالح جودت .

لقد كان شاعرنا صالح جودت أنيقا فى صوره الشعرية ، أناقته فى أسلوبه وموسيقاه وحلاوة ألفاظه وجمال مضامينه ومعانيه .

— ٦ —

وهكذا كان هذا الشاعر الأبوللى صالح جودت صفحة مضيئة فى سجل حياتنا الأدبية والفكرية المعاصرة ، وسيبقى اسمه خالداً على مرور الأيام .

ستذكر الأجيال الحاضرة والقادمة شاعرها الذى غنى للوطن وللنيل وللحرية وللحب أجمل وأعذب الأغنيات .

سيذكر الشاعر الذى طالما قال :

أنا ابن شعب يتحدى الزمنا ابن الروابى الخضر من أرض منا
ولم أزل بما ورثت مؤمنا أنا إذا أومأت للبدر دنا
أنا إذا ناديت للنجم رنا

والذى يقول :

ماعاد بى شوق أكابده وأنا أكابد محنة الشعب
أ أحب والعدوان فى وطنى متوغل كالشوك فى جنبى
ياطفلتى لا وقت للحب لا وقت للآهات والعتب
أفما ترين الشجو فى نغمى أفما ترين الشكو فى دربى
الحب يوم تطير فرحتنا فوق القناة وشطها الرحب

الشاعر الذى يخاطب قاهرة المعز فيقول :

ياجنتى يا كوثرى ياهبة النيل الثرى
يا بهجة نائمة على بساط أخضر
يا شعلة دائمة على طريق الأعصر
حبيبتى قاهرتى لن تغلبى لن تقهرى

والذى قال من قرطاجة :

قالت : وكيف النيل ؟ قلت لها رغم الحوادث لم يزل يجرى
متحملا لجراح عزته متذرعا بالحلم والصبر
مازالت الأهرام شامخة والسد مختالا على النهر

ثم تحدث عن أصحاب الشعر الجديد فقال :

سموه بالحر الجـديد ألا يازحمتا للشـــاعر الحر
الشعر موسيقى منغمـــة إما حنا شطر على شطر
وتآلفا وزناً وقافيـــة وتألقا بثقافة العصر
وتجملا بحلى قوامهـــا وتراقصا فى موجة البحر
والنبت لا يخضل رونقه إن عاش منبتاً عن الجذر
والشعب لا تزكو ثقافته ولبابها مستورد الفـــكر

والذى خاطب النيل فقال :

يا نيل ياهدية الآلـــه يا نغماً كأنه صـــلاة
ياقبلة الحب على الشفاه وياحياة تسعـــد الحياة
لأنت للحرية المثـــل يحمى حماك شعبك البطل

والذى ناجى مدينته الأولى المنصورة فقال :

آه مما بى وهل تدرين ما بى يوم ودعتك ودعت شبابى
أين أحلامى على تلك الروابى ياعروس النيل والبحر الصغير
مادعا لحنى ولا غنى نشيدى غير غاداتك فى الخطـو الوئيـد

حين يخطرن على النيـل السعيد

والذى يناجى الرسول الأعظم فيقول :

ياحبيب الله والناس ويانور السماء ياحبيبى من مصيرى يا أمير الأنبياء
أنا غنيت بذكراك صباحى ومسائى

للشاعر الذى قال عن نفسه :

ونشرت الغزل المشبوب فى كل الروابى وبنار الشوق واللهفة أحرقت شبابى

ويقول أيضا :

لا تحسبي مهما طغى وطى انى أطيق مــذلة العبــد

ويقول أيضا :

إن محا النسيــان شــعرى وأنطــوى بعــد ممــاتى

فستبقين قصة الحب حديثا للرواة وستبقين على الأيام أحلى أغنياتى

وقد ولد شاعرنا الخالد فى السابع من ديسمبر عام ١٩١٢ بالزقازيق . وأتم تعليمه الثانوى بمدرسة المنصورة الثانوية . وفيها التقى بزملائه : أحمد المهشرى ، ومختار الوكيل. وفى المنصورة تعرف بالشاعرين المرحومين إبراهيم ناجى ، وعلى محمود طه .

ثم دخل كلية التجارة بجامعة القاهرة وكان فى طليعة الناجحين فى قسم العلوم السياسية عام ١٩٣٧ والتحق بقسم الدرسات العليا للعلوم السياسية ، فحصل على الماجستير عام ١٩٤٩ ، وكان أول الناجحين .

كما درس النظم السياسية فى معهد سكرتارية الأمم المتحدة بنيويورك عام ١٩٥٩ ، وحصل على دبلومه بتقدير ممتاز .

عمل فى مجالات إدارية متعددة :

— مديرا للدعاية ببنك مصر وشركاته .

— ومحررا بجريدة الأهرام .

— ومديرا لتحرير المصور .

— ثم رئيس تحرير لمجلة الأثنين .

— ورئيس تحرير المصور .

— ونائب رئيس مجلس الإدارة بدار الهلال ، ثم رئيسا لها .

— ورئيس تحرير لمجلة الهلال وكتاب وروايات الهلال .

وفى الأذاعة عمل مديرا للاحاديث ـ ومراقبا للبرامج الثقافية .

ومديرا لإذاعة صوت العرب ـ و رئيس تحرير لمجلة الأذاعة .

وفى المجال الأدبى كان واحدا من أعضاء جمعية أبولو ، وكتب فى مجلتها ، ونشر شعره فيها ، وعن الجمعية صدر أول دواوينه وهو ديوان صالح جودت عام ١٩٣٤ ـ وشارك فى مؤتمرات الأدباء ومهرجانات الشعر التى عقدت فى طائفة من العواصم العربية والمدن التاريخية : كالقاهرة والإسكندرية وغزة ودمشق وبيروت وبغداد وتونس والجـزائر .

وشارك فى كثير من المؤتمرات كالملتقى الإسلامى فى الجزائر الذى عقد فى جنيف عام ١٩٧٣ ، وكالاسبوع الثقافى الألمانى الذى عقد فى ألمانيا فى صيف عام ١٩٧٤ .

ومثل مصر فى مهرجانات عربية كبرى : كالمهرجان الذى أقيم فى لبنان لذكرى الشاعر خليل مطران ، وكحفل تكريم الأخطل الصغير

الذى أقيم فى بيروت عام ١٩٦١ ، وكحفل إزاحة الستار عن تمثال العالم اللغوى عيسى اسكندر المعلوف .

وقام برحلات كثيرة إلى الشرق والغرب ، مما ترك فى نفسه انطباعات عميقة سجلها فى كتابه «قلم طائر» .

وقد أفاده كل ذلك تنوع ثقافة ، واتساع معرفة ، وتمكنا من اللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية .

وكان من الرعيل الأول الذين فازوا بجوائز الدولة منذ إنشائها ، فكان أول الفائزين فى الشعر عام ١٩٥٨ عن ديوانه «ليالى الهرم» . ورشح قبل وفاته لجائزة الدولة التقديرية فى الشعر وذلك فى السابع من نوفمبر عام ١٩٧٤

ومنذ سبتمبر ١٩٧٣ صار مقررا للجنة الشعر فى المجلس الأعلى للفنون والآداب ، فحل بذلك محل العقاد وعزيز أباظة ، وصار ثالث مقرر لها على امتداد أيامها .

وإلى جانب عضويته بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية واختياره مقررا للجنة الشعر فيه منذ عام ١٩٧٣ حتى وفاته ، كان عضوا فى نادى القصة ، ومجلس إدارة جمعية الأدباء ، ومجلس إدارة الهيئة العامة للكتاب ، ومجلس إدارة صندوق معاشات الفنيين والأدباء ، ولجنة الرقابة على المصنفات الفنية . كما كان نائب رئيس مجلس إدارة جمعية المؤلفين والملحنين .

وبالإضافة إلى مكانته المرموقة فى الشعر ، كان كاتبا ممتازا من كتاب السير والتراجم ، ويتجلى ذلك فى كتبه عن أحمد فتحى شاعر الكرنك ، والهمشرى ، وناجى ، كما يتجلى فى كتابه «بلابل من الشرق الذى كشف

فيه الستار عن نواح مجهولة لطائفة من الشعراء المعاصرين . كما كان كاتبا مجودا فى القصة ، غايته فى قصصه الإصلاح الاجتماعى ويتحاشى فيها الإثارة والجنس .

وتمتاز كتابته الصحفية بالصراحة والانصاف وبإصابة الهدف ، وبالرغبة فى تشجيع المواهب . وتمثل مقالاته فى الهلال التى كان ينشرها بعنوان « رحلة الشهر » ، ومقالاته الأسبوعية فى المصور لونا جديداً منصفا من الكتابة الفنية .

وتبلغ مؤلفات الشاعر نحو الثلاثين فى مختلف فنون الأدب :

فله ستة دواوين مطبوعة ، هى :

١ — ديوان صالح جودت — نشر جماعة أبولو عام ١٩٣٤

٢ — ليالى الهرم — نشر حسن إبراهيم عام ١٩٥٧

٣ — أغنيات على النيل — مكتبة مصر عام ١٩٦٢

٤ — حكايات قلب — نشر دار المعارف عام ١٩٦٥

٥ — ألحان مصرية — نشر مؤسسة التأليف والنشر عام ١٩٦٨

٦ — الله والنيل والحب — نشر الهيئة العامة للكتاب .

وله نحو ثلاثمائة أغنية للاذاعة والتليفزيون والسينما ، مكتوبة بالفصحى إلا القليل مما كتبه بالزجل ، وممن غنى شعره : أم كلثوم ، وعبد الوهاب ، ونجاة الصغيرة ، وليلى مراد ، وفايزة أحمد ، ونور الهدى ، وكارم محمود ، وعقيلة راتب ، وإبراهيم حمودة .

وله مسرحية شيرين قدمها مسرح أوبرا ملك ، ومسرحية روميو وجوليت لشكسبير .

وفى القصه القصيرة له خمس كتيب هى :

١ ــ فى فندق الله ــ نشر الكتاب الفنى الفضى .

٢ ــ كلنا خطايا ــ نشر مكتبة النهضة عام ١٩٥٧

٣ ــ كلام الناس ــ نشر دار الهلال عام ١٩٥٩

٤ ــ خائفة بين السماء ــ نشر المكتب التجارى بلبنان .

٥ ــ أولاد الحلال ــ نشر كتاب اليوم .

وفى الرواية له :

١ ــ بيت أفندينا ــ نشر مكتبه النهضة .

٢ ــ عودى إلى البيت ــ نشر حسن إيرانى .

٣ ــ وداعا أيها الليل ــ نشر مكتبة مصر .

٤ ــ الشباك ــ نشر دار الهلال .

وفى أدب الرحلات له كتابان :

١ ــ أساطير وحواديت ــ نشر مؤسسة التأليف والنشر .

٢ ــ قلم طائر .

وفى التراجم الأدبية له ستة كتب هى :

١ ـ ناجى حياته وشعره ـ نشر المجلس الأعلى للفنون والآداب .

٢ ـ ملوك وصعاليك ـ نشر مكتبة النهضة ١٩٥٩

٣ ـ الهمشرى حياته وشعره ـ نشر المجلس الأعلى والفنون والآداب عام ١٩٥٩

٤ ـ شعر المجون ـ نشر دار الهلال عام ١٩٧٢

٥ ـ أحمد فتحى حياته وشعره ـ نشر دار الهلال عام ١٩٧٣

٦ ـ بلابل من الشرق ـ نشر دار المعارف عام ١٩٧٣

وجمع وحقق ثلاثة دواوين هى :

١ ـ ديوان ناجى ـ نشر وزارة الثقافة عام ١٩٦١

٢ ـ « الهمشرى ـ نشر الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٧٤

٣ ـ « أحمد فتحى ـ تحت الطبع بالمجلس الأعلى للفنون والآداب.

وكتب للسينما عشرات من القصص وترجم أربعة كتب هى :

الأفق المفقود تأليف جيمس هيلتون وقد نشر فى جريدة الصباح .

٢ ـ العجوز والبحر ، تأليف أرنست همنجواى ـ نشر دار الهلال عام ١٩٧٣

٣ ـ مصرى فى إيرلنده للدكتور إبراهيم رشاد ـ وقد نشرته دار الهلال عام ١٩٧٣

٤ ـ سيدتى الجميلة ـ تأليف آلان ليرنر وهو تحت الطبع .

وقد نال الشاعر :

١ ـ جائزة الدولة التشجيعية فى الشعر عام ١٩٥٨ ومنحه إياها المجلس الأعلى للفنون والآداب .

٢ ـ جائزة أحسن انتاج شعرى فى السد العالى .

٣ ـ « شوقى عن أحسن دراسة لشاعر قومى ، وقد منحه هاتين الجائزتين المجلس الأعلى للفنون والآداب .

كما منحه السيد رئيس الجمهوريه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٥٨

٥ ـ ومنحه ملك المغرب وسام العرش .

٦ ـ « « « النهضة من الطبقة الأولى .

٧ ـ « رئيس جمهورية تونس وسام الثقافة .

والشعر أولا وأخيراً هو مظهر عبقرية صالح جودت .

لقد عاش جودت فى رحاب الشعر قريباً من نصف قرن .

وعرف منذ مطالع حياته الشعرية بأنه شاعر رومانسى النزعة ، وجدانى التجربة .

وتتمثل فى قصيدته : الغنائية الجميلة ، والموسيقى الحلوة والحوار العذب ، واللغة الشاعرة الأنيقة التى تمثل فى بساطتها وعذوبتها . وطبعها وجمالها لغة الشعب العالية .

فهو شاعر غنائى رقيق حلو الصياغة فياض العاطفة رائـــع الخيال والتصوير .

وقد عاش شاعرنا بروحه وزعشات فنه ، ووهج شاعريته ، وجلال أحاسيسه ، وجمال نغمه كل حركات الشعر ومدارسه ومذاهبه وتياراته منذ أواخر العقد الثالث من القرن العشرين حتى وفاته فى الثالث والعشرين من يونيو عام ١٩٧٦ ، ممـا جعله أحد رواد الشعر المعاصر وأعلام نهضته .

والحب هو فلسفة الشاعر : حب الجمال ، وحب مصر ، وحب النيل ، وحب التاريخ المصرى الإسلامى ، وحب كل مفاخر الوطن فى النضال

والحرية ، وحب العروبة بكل جلالها وعزتها وأيامها الظافرة . وقد مزج في كل قصائده بين الحب والأغراض التي كتب فيها شعره .

ويرى شاعرنا أن الشعر موسيقى ، ومن هنا غلبت الموسيقى على كل شعره ، والموسيقى عنده أهم من التصوير . ولهذا آثر شعر شوقي ، وكاد يحفظه كله عن ظهر قلب . ويلوح لقارئ شعره أنه لا يطالع شعرا ، وإنما يستمع إلى ألحان رائعة ليست بحاجة إلى تلحين . ولهذا كانت لأغانيه التي غناها الفنانون والفنانات صدى عميق في آذان السامعين .

ومذهبه الشعري هو مذهب الأصالة الفنية ، والتجديد في شتى عناصر القصيدة .

وأسلوبه يتميز بالعذوبة ورشاقة التعبير ، مع اللمحة الذكية التي تسعفه في المناسبات القومية الكبرى .

ومنذ طرد الغزاة من العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ أخذ شعره يتميز بالوطنية الجياشة بعد أن كان قبل ذلك عاطفي النزعة .

ولمواقفه القومية في المناسبات العربية الكبرى صدى عميق على منابر العروبة :

كقصيدته « من القاهرة إلى تل أبيب » ، وقصيدته «على ضفاف بردى » التي ألقيت في مهرجان الشعر الثالث بدمشق عام ١٩٦١ .

وقصيدته «ثورة الروح» التي ألقيت في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة عام ١٩٦٠ احتفالا بدخول ثورة الجزائر في عامها السابع .

وقصيدته « بلقيس » التى كانت من وحى رحلته إلى اليمن عام ١٩٦٣ وألقاها فى مهرجان الشعر الخامس عام ١٩٦٦ .

وقصيدته « ليــلى » التى ألقيت فى مهرجان الشعر السادس ببغداد فى عام ١٩٦٥

ويتعادل ميزان الشعر فى يدى الشاعر بين العاطفة والوجدان والقومية .

وكانت له منذ بواكير شعره نظرات تأملية ظهرت فى مثل قصيدته « الراهب المتمرد » . وإن كان الطابع الغالب على شعره هو تلك النزعة العاطفية العامة مع الروح الإنسانى السائد .

وقد عرف النقاد له موهبته الشعرية الذكية الرائعة ، فقال فيه الدكتور أحمد أبو شادى « إن الروح الشعرية جوهر كما أن الموسيقى جوهر آخر ، وقد جمع صالح جودت بينهما » .

وقال عنه الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى : مثــل الشاعر مع الموهوبين من زملائه الشعراء من شباب جيل الثلاثينات ظاهرة تغــير الأسلوب من أسلوب رصين جزل أو أسلوب غريب معقد إلى أسلوب سهل لين مطواع عذب الموسيقى وزادت موسيقاه حلاوة ورصانة بمرور الزمن .

وقال الدكتور مندور إن فيــه ملامح من إسماعيل صبرى فى الحديث وعمر بن أبى ربيعة فى القديم .

وبعد فإن شاعرنا الخالد صالح جودت وقف على شاطىء نهر الشعر فنهل منه ماشاء الله له أن ينهل ، وأخذ يقرب النغم الشعرى إلى أذواق وآذان الجماهير حيث كانت صياغته جزءا أصيلا من لغة الشعب ، وكانت روح

مصر وشخصيتها جزءاً بليغاً من مضامينه الشعرية ، وكان الحب الإنسانى الرفاف هو الملهم الأول والأخير له فى كل ما كتب من قصائد رائعات خالدات على مدى الأيام .

وستمضى الأيام ، وتمر الأعوام ، ويبقى شعر صالح جودت شامخاً يتحدى الزمن ، جليلا يتحدث إلى أبناء الوطن ، ليبنوا حياتهم على الحب والإخاء والوفاء ، والعمل من أجل مصر الخالدة .

أبو القاسم الشابى

١٩٠٩ — ١٩٣٤

— ١ —

عندما نقرأ قصيدة الشاعر التونسى الكبير أبى القاسم الشابى (١٩٠٩-١٩٣٤) التى سماها « صلوات فى هيكل الحب » وسواها من روائع آثاره الفنية نجد أنفسنا أمام صور جديدة من الشعر تحمل سمة التجديد والابتكار وروعة الفن الموهوب وتزدحم بطاقة فنيـــة مبدعة لها خصائصها الكثيرة المنوعة من ثراء المعانى وجدة التصوير وحلاوة الأسلوب وعذوبة اللفظ وعمق الشعور وصدق العاطفة وتحليق الخيال . يقول الشابى فى قصيدته « صلوات فى هيكل الحب » :

عــذبة أنت كالطفولة كالأحــ
ــلام كاللحن كالصباح الجـديد
كالسماء الضحوك كالليــلة القمــ
ــراء كالورد كابتسام الوليـد
يا لهـا من وداعـــة وجـمـال
وشبــــاب منعـم أمــلود
يا لهـا من طهارة تبعث التقـ
ــديس فى مهجة الشقى العنيــد
يا لها رقـة تـكاد يرف الـ
ــورد منها فى الصخرة الجلمود

أنت ما أنت ؟ أنت رسم جميـل

عبقرى من فن هـذا الوجـود

فيـك ما فيـه من غموض وعمق

وجـال مقـدس معبـود

أنت . ما أنت ؟ أنت فجر من السحـ

ـر تجلى لقلبي المعمـود

إلى أن يقول :

أنقذيني فقـد سئمت ظـلامى

أنقذيني فقـد سئمت ركودى

وهى تصوير رائع جديد كل الجدة للمشاعر الإنسانيـة الرقيقة التي يضنيها الحب ويسحرها الجمال وتعصف بها الذكريات الرفافة . . وليس وراء ذلك غاية لمستزيد فى وصف الحسن وروعته وفعله فى الألباب ، وأثره فى النفوس . . أليس الشابى قد أبدع فى هذه الطائفة من الألحان الجميلة والأنغام المؤثرة التى أودع فيها كل ما يودعه شاعر عبقرى هام بالجمال الذى ليس له نهاية .

والقصيدة لا يرجع التجديد فيها إلى النهج والصياغة فهى إنما تسير على النهج القديم من حيث اتحاد الوزن والقافية واستكمال خصائص القصيدة العربية جملة . . وإنما يرجع التجديد فيها إلى ثراء معانيها وخصب تصويرها وهذه الوحدة الشاملة للقصيدة التى تتمشى فى سائر أجزائها وصورها

ومعانيها . . وإلى تلك الصوفية الحالمة والطفولة الساحرة والسذاجة البريئة في التصور والتصوير والتعبير . . وإلى تجربتها الشعرية العميقة وعواطفها المشبوبة القوية ولغتها الشبيهة بلغة الحلم والخيال . وإلى عناصر فنية أخرى نعجز عن وصفها واستجلاء أسرارها البعيدة العميقة . . وإذا ما تركنا هذه القصيدة إلى قصيدته الأخرى « من أغاني الرعاة » التي يقول فيها :

أقبـل الصبح يغنى للحيـاة الناعسة

والربى تحلم في ظل الغصون المـائسة

والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة

وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسة

أقبل الصبح جميـلا يملأ الأفق بهاه

فتمطى الزهر والطير وأمواج المياه

قد أفاق العالم الحي وغني للحيـــاه

إلى أن يقول :

فإذا طالت ظلال الكلأ الغض الضئيل

فهلمي نرجع المسعى إلى الحي النبيـــل

نجد أطرف تصوير لجانب من جوانب الطبيعة . . تصوير ليس ترجمة لصور ومشاهد ومناظر، وإنما هو قطعة حية من الطبيعة وصورة نابضة بالجمال المتدفق الساحر الذي يقف أمامه عقل الشاعر مفكرا حائرا ، ثم يصف بلغة تحمل الدقة والعمق والعذوبة والمرح والانطلاق الفني الحالم ويؤدي كل مشاعره ومشاهده بألوان جميلة من الخيال البديع والأنغام

العذبة .. ويتحدث بلغة لا تكد العقل ، وإنما تنفذ إلى مسارب النفس في لطف ورقة كما ينفذ الهواء إلى مسارب الجسد يحمل الأمل والحياة ، والشابي في هذه الصورة وفي صورة عامة يدخل إلى العقل الإنساني من جانب لا يدخل منه الشعراء .. فهو يدلف إليه من العقل الباطن والمشاعر الخفية والعواطف الدفينة في أعماق الإنسان .. إن لغته أشبه بلغة الطفولة بكل ما تحتوى عليه من حنان وسحر ومتعة وروعة وعذوبة وجمال .. وهي مع ذلك تؤدي أروع الصور الشعرية الدقيقة وتعبر عن أرفع المعاني البشرية العميقة وتحلق بأجنحة من خيال جميل متعدد الألوان والظلال والسمات .

ولقد كان أبو القاسم شاعرا عبقريا مطبوعا يغنى للحب والجمال والحرية ويجيد التعبير عن الحياة الإنسانية ويعشق الطبيعة ويراها مأوى لروحه ومسكنا لمشاعره .

وكان يفهم الشعر حق الفهم ويفهم مدى التجديد فيه وينظم القصيدة العربية أحيانا على نمط جديد حقا من حيث صور الوزن والقافية والخيال وكان يعرف الشعر بأنه « تصوير وتعبير » وينتج الروائع منه في إجادة بالغة نادرة .

وكانت نفس الشابي حرة أبية تعشق الحرية وتكثر من الهتاف بها .. وكان يرى وطنه المجيد « تونس العربية » نهبا موزعا بين استعمار غاشم ومطامع قاتلة ، فأخذ يرسل ألحانه لتنبه شعبه الغافي إلى الحياة ولتوقظهم من سبات العدم .. وكانت ألحانا مؤثرة رائعة عجيبة .. أنظر إلى الشاعر في قصيدته :

أيها الشعب ليتني كنت حطـا
با فأهوى الجـــذوع بفأسى
ليتني كنت كالسيول إذا سا
لت تهـد القبور رمسا برمس
ليتني كنت كالرياح فأطـوى
كل ما يخنق الزهـــور بنحس
ليتني كنت كالشتـــاء أغشى
كل ما أذبل الخريف بقرسى
ليت لى قـوة العواطف يا شعـ
ـبى فألقى إليـك ثورة نفسى
ليت لى قـوة الأعاصـير لكن
أنت حى يقضى الحيـــاة برمس
أنت روح غبيـــة تكره النــو
ر ، وتقضى الدهور فى ليـل ماس
أنت لا تدرك الحقـــائق إن طـا
فت حواليك دون مس وجس

إلى آخر هذه القصيدة الرائعة الطويلة وأوصافه الممتعة . وقد آثر ذلك لحياته فى ظلال الطبيعة هناك فى الغاب الجميل . . وهذه السينية الجميلة التى تبلغ ثمانية وخمسين بيتا تقف مع روائع الشعر العربى جنبا إلى جنب . .

وهى نفحة جميلة فى خيال شارد بعيد وتعبير لطيف خصب حى . . مما لا تستطيع أن نفيض معه فى شرح خصائصها واحدة واحدة . . والقارىء المتذوق يرى أنها لا تقل عن سينية البحترى وشوقى وأبى شادى إجادة وروعة . .

ذلك هو الشابى الشاعر الخالد الذى قضى حياته فى وطنه تونس . : ولد عام ١٩٠٩ ببلدة الشابية من قرى مدينة « توزر » عاصمة الواحات التونسية الجميلة بالجنوب من أسرة ذات حسب ومجد ، وكان والده الشيخ محمد ابن أبى القاسم الشابى يتولى وظيفة قاض شرعى وكان قد تخرج من الأزهر الشريف وتنقل فى مدن كثيرة منها قفصة وزغوان وينتمى إلى إلى قبيلة الشابية ذات الآثار المذكورة فى تاريخ تونس . . وحفظ الشاعر القرآن الكريم فى طفولته وهو فى سن التاسعة وتلقى على والده مبادىء العلوم الدينية والعربية . . ثم التحق بجامع الزيتونة بالعاصمة « تونس » عام ١٩٢١م يدرس فيها العلوم الدينية ونال منها شهادة التطويع عام ١٩٢٦م . . ثم التحق إثر ذلك بمدرسة الحقوق التونسية وتخرج منها عام ١٩٣٠ م حيث حصل على إجازة الحقوق التونسية وتخرج منها ثم أصيب الشاعر بمرض تضخم القلب فانقطع عن متابعة الحياة العلمية إلى العناية بصحته وعلاج نفسه من المرض إلى أن وافاه الأجل فى ٩ أكتوبر ١٩٣٤ . . ودفن فى الشابية مسقط رأسه .

هذه هى حياته العامة أما حياته الفكرية والأدبية فتبدأ منذ أن التحق بالزيتونة حيث عكف على قراءة الآثار الأدبية القديمة والآثار الجديدة

ومنها أدب المهجريين « كجبران وأبى ماضى ونعيمة » كما والى القراءة فى الصحف والمجلات الأدبية المنوعة والأسفار الحديثة التى تخرجها المطابع كل يوم .. وقرأ لرواد الأدب الحديث كما قرأ كثيرا من الآداب الغربية المترجمة إذ لم يكن يعرف لغة أجنبية . . وكانت مطالعاته كثيرة فى الأدب العربى الحديث بالمهجر الأمريكى . واستبد به أسلوب جبران . . وكانت أشعاره الأولى ذات نزعة صوفية حلوة . . وكان نثره شعرا منثورا .

واتصل الشابى بمدرسة أبوللو الأدبية ورائدها الدكتور أحمد زكى أبى شادى اتصالا فكريا وأدبيا واسعا كان له صداه فى تفكيره ومنزعه وظل يرسل قصائده البديعة إلى مجلة أبوللو فتنشر فيها حتى وافاه الموت . . وكان مع ذلك لأدب طه حسين أثر فى عقليته ، وتأثر — فيمن تأثر بهم من القدماء — بالمعرى وابن الرومى والخيام وابن الفارض .

وقد كتبت دراسات متعددة عن الشابى ، نذكر منها العدد الخاص الذى أصدره الدكتور أحمد زكى أبو شادى من مجلته « الإمام » التى كان يصدرها فى الاسكندرية — وقد صدر عام ١٩٣٦م ؛ ثم دراستين قيمتين عن الشابى فى مجلة أبوللو عدد ديسمبر ١٩٣٤ والأولى منهما بعنوان « أبو القاسم الشابى نظرة فى شعره عامة » وهى بقلم الأستاذ « حسن محمد محمود » والثانية بقلم « نظمى خليل » وهى دراسة لفن الشابى.

ويلقى شعر الشابى الكثير من الاهتمام فى البيئات الأدبية فى العالم العربى كافة وذلك لما حواه من أصالة وتحرر وانطلاق وثورة فكرية حرة وثروة واسعة فى الخيال والمعانى وتجديد فى روح القصيدة العربية وفنها .

ومن مميزات شعر الشابى الحيوية المتدفقة والأمل الضاحك فى صدر شبابه بل حتى وهو يقاوم المرض الوبيل الذى أصيب به فتراه يقول فى قصيدته « نشيد الجبار » :

سأعيش رغم الداء والأعداء
كالنسر فوق القمة الشماء
أرنو إلى الشمس المضيئة هازئا
بالسحب والأمطار والأنواء

ويتدفق شعر الشابى بالمشاعر الرائعة العميقة : . وكان كثيرا ما يردد قوله من قصيدته « فكر الفنان » :

عش بالشعور وللشعور فإنما
دنياك كون عواطف وشعور
واجعل شعورك فى الطبيعة قائدا
فهو الخبير بتيهها المسحور

ويتحدث الشابى عن الشعر فى قصيدته « يا شعر » حديثا عذبا فيقول :

يا شعر أنت جمال أضواء الغروب الساحرة
يا همس أمواج المساء الباسمات الحائرة
يا شعر يا قيثارة الأحلام يا ابن صبابتى
لولاك مت بلوعتى وبشقوتى وكآبتى

والشابى فى أعماق نفسه — على الرغم من هموم الحيـاة وأحداثها وحزنه على بلاده ومرضه — متفائل أشد التفاؤل . . يحب الحياة ويتذوقها وينصت لمشاهدها والهام الجمال الأبدى فيها . ويتغنى بالطبيعة وسحرها . . ويتمني أن يعيش فى عزلة عيشة هادئة « للجمال والفن » كما يقول من قصيدته « أمل الشاعر » :

ليت لى أن أعيش فى هـذه الدنـ
ـيـا بعيـدا بوحـدتى وانفـرادى
عيشـــة للجمال والفـن أبغيـ
ـهـا بعـــيدا عن أمتي وبلادى
لا أعنى نفسي بأحـــزان شعبى
فهـو بحيـــا بظلمـة الآباد
حسب نفسى من الأمى ما لديهـا
من طريف مستحدث وتـلاد
وعن الناس لا أفكر فى النـا
س ولا فى حديث تلك النـوادى

ويعبر الشابى عن تفاؤله فى قصيدته « الأبد الصغير » تعبيرا ممتعا فيقول :

يا قلب كم قد تمليت الحيـاة وكم
راقصتها مرحا ما مسك السأم
وأنت أنت شباب خالد نضر
مثل الطبيعة لا شيب ولاهرم

ولكن الحيـاة كانت أقوى من الشابى وتفاؤله وكانت أحزانها الكئيبة تغير من هذا التفاؤل المشرق شيئا فشيئا حتى ، ليقول من قصيدته « فى ظلال الغاب » :

مهمـا تضاحكت الحيـا
ة فإننى أبدا كئيب
أصغى لأوجـاع الكآ
بة والكآبة لا تجيـب

ويوضح ذلك فى قصيدته « الجنة الضائعة » فيقول :

قد كنت فى زمن الطفو لة والسذاجـة والطهور
أحيـا كما تحيـا البـلا بل والجـداول والزهور
لا نحفـل الدنيـا تدو ر بأهلها أو لا تدور
واليوم أحيا مرهق الأعـ ـصاب مشبوب الشعور
متأجـج الإحساس أحفـ ـفل بالعظيم وبالحقير
تمشى على قلبى الحيـا ة ويزحف الكون الكبير
هذا مصيرى يا بنى الدنيـ ـا فما أشقى المصير

ويرى مظالم الاستعمار فى وطنه فيثور ، وتغلى الثورة فى نفسه فيقول قصيدته « إلى طغاة العالم » :

ألا أيهـا الظـالم المستـبد
حبيب الفنـاء عـدو الحيـاة

سخرت بأنات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الأسى فى رباه
رويدك لا يخدعنك الربيع وسحر الفضاء وضوء الصباح
ففى الأفق الرحب هول الظلام
وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزأن بنوح الضعيف
فمن يبذر الشوك يجن الجراح

ويهدد المستعمر الظالم فيقول من قصيدته « زئير العاصفة » .

ألا أيها الظالم المصعر خده رويدك إن الدهر يبني ويهدم

ولقد كان الشابى من مدرسة أبوللو الشعرية ، وكان يراسل « مجلة أبولو » وهو فى وطنه ، وأبو شادى هو الذى سمى مدرسة أبولو ، وكتب فى صدر عدد أبريل ١٩٣٣ من مجلة « أبولو » بعنوان « مدرسة أبوللو » يقول : يعمل شعراء « أبولو » على تطهير بيئات الشعر والتسامى به من شتى الوجوه ، وعلى التسامى بالنقد الأدبى ذاته . . إن مدرسة أبولو مدرسة تعاون وانصاف وإصلاح وتجديد . وعلى هذه الأركان وحدها يقوم بناؤها : فأما الفردية والأنانية والتصنيع وإنكار المواهب فصفات أبعد ما تكون عن مبادئها .

ويقول أبو شادى من كلمة له عن الشابى : كلما درسنا شعر الشابى ودونا خواطرنا فيه ساقنا التأمل إلى الجديد من الخواطر والمشاعر وتفرعت من

نشوتنا نشوة أخرى . . إن شعر الشابي هو شعر العبقرية والتفوق فله قدسية نورانية يصعب تعريفها وسواء لدينا فجرها أو شروقها لأنها على اختلاف منازلها تتألق بالجمال وتنم عن غاية سامية لو لم يقلها شعرا لتألقت في وجهه نورا . » .

لسنا ممن يسوغ بأي حال وضع النقد الموضوعي موضعا ثانويا بحيث نوضح الحكم على الطاقة الشعرية إلى ما عداها من الاعتبارات في تقدير القيمة الفنية للشعر . . ولسنا ممن يذهبون مذهب التشريح والتعلية الذي يتناسى وحدة القصيدة . . ولسنا ممن يبخسون أي فنان قدره لمجرد أنه ذو شخصية طالحة لا يستحق الاحترام . ولسنا ممن يتعصب لشاعر ما لأنه لا يعبر عن فلسفتنا وعواطفنا تعبيرا أكمل ، متغافلين عن قيمة الجوهر الذي يهديه وعن كفايته الفنية الخالصة . . ولسنا من عباد التعابير البراقة والبيان المزخرف الأخاذ ، ومع ذلك لا ننكر أن الفن إذا امتزج بالتسامي في سبيكة واحدة ، وأن الطاقة الشعرية المحلقة إذا تشربت بالإيمان الرفيع تشربا لا ينفصم عنها ، وأن الفن إذا صار لسان الإلهام وترجمان التسامي أو توأمه ، فإن مثل هذا الفن المركب الرفيع يكون في اعتبارنا جديرا باعتبار أسمى وهذه نظرة تختلف جد الاختلاف عن إرضاخ كرامة الفن أو تقديره للأهواء الذاتية والتعصبات الشخصية والمسائل والاعتبارات العرضية . والشابي هو أحد أولئك الأفذاذ العالي الروح الذين لم يبهروا النقد الموضوعي فحسب من ناحية الطاقة الفنية القوية الفنية بل ، يبهروا كذلك مقاييس المثالية الرفيعة من خلقيه ووطنية وإنسانية وكانت معجزتهم في الازدواج بين هذه المزايا في الانسجام التام بينها ، وهذا قلما

يكون إلا للصفوة الموهوبين . . فهذا الشابي الشاعر الوطني الثائر الرائد في «تونس الجميلة» و « زئير العاصفة » منذصباه هو ذاته الشاعر الإنساني في « لعلعة الحق » و « الزنبقة الذابلة » و « الدموع » و « أغنية الأحزان » والشاعر المتفائل في « نظرة في الحياة » و « مأتم القلب » و « الأمل القنوط » والمصلح الاجتماعي أيضا . . وهو كذلك الشاعر المتصوف والعاشق المتبتل في « شكوى اليتيم » و « أيها الليل » و « الملل الأليم » و « أيها الحب » . . و « حيرة » و « جدول الحب» و « يا شعر » . كل هذا التراث الثمين من شعر فني لشاعر لم يبلغ العشرين .

أما بعد هذه السن فإننا نواجه الشابي ذاته ، ولكن في نفس أطول ونضوج أبلغ وتحليل أعمق وتفاعل أكمل وتصوير أشمل . استمع مثلا إلى قوله من قصيدته « مناجاة » . وهذه القصيدة الجميلة حقا :

أنت يا شعر فلذة من فؤادى

تتغنى وقطعـة من وجـــودى

والتي تتلاحق فيها الصور تلاحقا فنيا سريعا لا نعرف شاعراً آخر أغرم به . . لقد اكتنفت حياة الشابي هموم عديدة ولاقى من عنت الناس وجحودهم حياً وميتاً الشيء الكثير ، ومات والأدب أحوج مايكون لألمعيته وصاح والداء ينشب أظفاره فيه :

سأعيش رغـم الداء والأعـداء

كالنسر فـوق القمـة الشماء

إلى آخر هـذه القصيدة العجيبة ولكنها ليست بأعجب من بقية شعره الذى يتجلى فيـه جميعا حب الاستغراق فى المعانى والتحليق بالأخيلة والمثاليات النبيلة والتأنق الموسيقى فى الألفاظ وكل ذلك عن طبيعة سمحة مصقولة رضعت من أفاويق اللغة ومن البيان العربى المصفى منـذ طفولتها . . ومن القرآن الشريف . .

خدم الشابى الأدب والعرب والانسانية فى حياته وموته على السواء ودفع وحـده الثمن غاليا لذلك . . . وبعد أن كانت المهمة جد شاقة فى الربع الأول من هـذا القرن سعيا للتنويه بأدب الشباب كان المثل الأعلى الذى ضرب به الشابى بشعره يحفز النقاد والمجلات الآن إلى الاهتمام بأشعار الشرنوبى والهمشرى . وإذا كان الشباب كالربيع رمزا للحياة المتجددة فهو أول من يطالب بإذاعة أدب الشابى فى هذا الشعر المتجدد الحى والذى هو حقا ترانيم خالدة وإن سكن جثمان منشدها القبر .

- ٢ -

ولقد مات أبو القاسم الشابى (١٩٠٩ — ١٩٣٤) ، عن خمسة وعشرين ربيعا ، كما مات موهوبون خالدون من شعراء الشباب ، فى الوطن العربى قديما وحديثا ، من أمثال : طرفة بن العبد (٥٦٠ م) ، والتيجانى بشير (١٩١٢ — ١٩٣٧ م) ، والشرنوبى (١٩٢٦ — ١٩٥١) ، والهمشرى (١٩٠٨—١٩٣٨) وغيرهم . .

والشابى مفخرة من مفاخر العرب فى العصر الحديث ، وموهبة نادرة فى الشعر قل أن يجود بمثلها الزمان .

كان يملك موسيقى رائعـة ، لا يؤتاها إلا القـلة من الشعراء ،

من أمثال : النابغة ، وجرير ، والبحترى ، والشريف الرضى ، ومهيار ، وشوقى ، وناجى . وكان يملك خيالا خصبا يمنحه أجمل الصور الشعرية الفائقة ، وكان ذا ثروة ومقدرة لغوية واسعة ، تهبه القدرة على التعبير الرفيع عن تجاربه الشعرية الأصيلة ، ومن معجمه الشعرى الكبير انطلق يغني ألحانه ، ويردد أناشيده ، فى طلاقة وجمال صياغة ، وخفة روح .

إن عمق التجربة ، وثراء المعانى ، وخصوبة الخيال ، وروعة الصور ، وإنسانية الروح ، هى بعض أسباب عظمة فن الشابى . . الذى استحق المجد والخلود بشعره الساحر العظيم .

وكان الشابى يعرف الشعر بأنه تصوير وتعبير ، أليس هذا هو تعريف أرسطو للشعر بأنه أسلوب فى التعبير عن الأشياء على طريق التأويل والاستعارة ، أليس هو فحوى تعريف العقاد للشعر بأنه « التعبير الجميل عن الشعور الصادق » أليس هو قريبا من تعريف أبى شادى للشعر بأنه « تجربة صادقة يعبر عنها الشاعر فى طلاقة وابداع ، وأنه لسان الحياة المصرية ، وأن الشعر الرفيع هو ما عبر عن الشعور تعبيرا فنيا أصيلا ، ولم يكن ابتذالا أو تقليدا :

والشابى هو الذى يقول[1] :

---

(١) ١٢٨ ديوان الشابى .

أنت يا شعر قصة عن حياتى
أنت يا شعر صورة من وجودى
أنت يا شعر إن فرحت أغاريدى
وإن غنت الكآبة عودى

ولقد كان الشابى شاعرا عبقريا مطبوعا ، غنى للحب والجمال والطبيعة والحرية ، وأجاد التعبير عن الحياة البشرية إجادة بارعة ، وكان يفهم الشعر حق الفهم ، ويسلك كل مناحى التجديد فيه : خيالا ومعانى وأفكارا وموسيقى ورؤيا وصورا شعرية أخاذة ، مع نزعته الصوفية الجميلة الحلوة فى شعره ، الذى كأنما قد صيغ من نضارة الزهر ، وبراءة الطفولة ، وجمال الربيع ، وعذوبة النهر ، وملاحة الحسان الغيد .

ليس الشعر عند الشابى ألفاظا وأسلوبا فحسب ، بل هو روح ، حياة ، دماء تتدفق ، حركة وحوار نفسى عميق ، صور فائقة خلابة ، براءة وطهر وذوق رفيع ، هو الحياة ، وهو الوجود ، وهو الكون كله . والشابى ابن الزيتونة الخالدة حببه والده الأزهرى الثقافة فى قراءة التراث الشعرى ، فاستمد منه ملكته الفنية الغنية فى الشعر ، وقرأ شعر الشعراء المعاصرين ، من مدارس : المحافظين ، والمهجريين ، وشعراء الديوان ، وشعراء أبولو ، ومختلف مدارسنا الشعرية . وقرأ لأمير الشعراء أحمد شوقى ، ولأمير الشعر التونسى محمد الشاذلى خزندار ، واستمع إلى أقرانه الشعراء الشباب ، من أمثال : سعيد أبى بكر ، ومصطفى خريف ، ومحمود بورقيبة ،

وعبد الرزاق كرباكة ، ومحمد الحليوي ، ومحمد العروسي المطوي ومحمود التياجي ، وسواهم . . وكتب في سنه الباكرة شعره ، فهز وجدان الشعب العربي هزا عنيفا ، بأغاريده الحلوة ، وقصائده الباهرة ، ووطنياته الثائرة ، وهتفت الجماهير لشعره في الشرق والغرب ، ورددته في مختلف الأحداث والمناسبات .

والشابي بعبقريته ، وبمجده ، الذي ناله بعد وفاته ، حري بكل تقدير ، خليق باجتماع الصفوة من النقاد والشعراء والأدباء والمفكرين لتكريم ذكراه في وطنه في يوم المهرجان الخالد ، كما كرمته رابطة الأدب الحديث في القاهرة في مهرجان كبير . جمع صفوة من أبناء العرب الميامين .

والشابي شاعر رومانسي أبوللي حالم ، استمد نسيج قصائده من الطبيعة والكون والحياة ، ومن الحزن العظيم ، والألم العاني الذي كانت حياته تزخر به ومن تجارب إنسان العصر ، ووجدان الحر الثائر ، وحين يقول في مذكراته : إن الشعر ، أو هذا الفن الرفيع من الأدب ، الذي يتخذ من الطبيعة رموزا لمعاني النفوس ، جميل جد جميل ، ولكنه سام جدا ، وغامض في سموه . . « كان يوقن أنه اختار نهج الرومانسيين ومذهبهم طريقا لنفسه . ويكتب لصديقه محمد الحليوي في عام ١٩٢٩ رسالة يقول فيها : « سأظل ناثرا في هذه الحقول الجرداء العارية بذور الأسى ، إلى أن يبدو القمر الجميل فتتفتح الأكمام عن ورود جميلة ضاحكة ، ويغرد البلبل من وراء الزهور » .

وبلا ريب كانت الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته جد حافلة بمختلف التيارات الوطنية والشعرية .

فمن الجانب الوطني : كان كفاح وطنه العظيم يملؤه بالثقة بغد مشرق لشعبه ، وكأنما كان يحلم بعصر الحرية والاستقلال الذى تعيشه أمته اليوم ، حتى ليقول من قصيدته « زئير العاصفة »[1] .

سيثأر للعز المحطم تاجه
رجال إذا جاش الردى فهم همو
رجال يرون الذل عارا وسبة
ولا يرهبون الموت والموت مقدم

ويقول من قصيدته « تونس الجميلة » :

أنا يا تونس الجميلة فى لج
الهوى قد سبحت أى سباحه
شرعتى حبك العميق ، وإنى
قد تذوقت مره وقراحه
إن ذا عصر ظلمة غير أنى
من وراء الظلام شمت صباحه

---

(١) ٢٨٠ الديوان الدار التونسية للنشر .

ضيع الدهر مجـد شعبى ولـكن

ستردّ الحيـاة يوما وشاحـه

ويهتف من أعماق نفسه ثائرا حرا :

إذا الشعب يوما أراد الحيـاة

فـلا بد أن يستجيب القـدر

ويخاطب بنى وطنه ، مستثيرا ، مستنهضا الهمم ، ليعملوا من أجل تونس ومجدها وحريتها ، فيقول :

كـذا صاغـك الله يا ابن الوجـود

وألقتك فى الكون هـذى الحيـاه

فما لك ترضى بذل القيـود

وتحنى لمن كبلوك الجبـاه ! ؟

وفى العام الأخير من حياته ولد الحزب الحر الدستورى الجديد ، فقاد الزعيم الحبيب المجاهد الأكبر جماهير شعبه فى طلب الحرية والاستقلال ، وحضر الشابى بعض اجتماعاته الشعبية ، وسمع قبل وفاته باعتقال زعيم بلاده وبنفيه إلى الجنوب ، فكانت هذه الأحداث تهزه هزا عديدا ، ويصوغها فى شعره هتافا مدويا بالحرية . . .

ومن الجانب الشعرى : كان مولد جماعة أبولو الشعرية عام ١٩٣٢ ، وظهور مجلتها الشعرية ، حدثا كبيرا فى حياة كل الشعراء العرب ، وخاصة شعراء الشباب ، وفى مقدمتهم الشابى والحليوى والعروسى المطوى ، والتيجانى يوسف بشير ، ومحمد حسن عواد ، وسواهم من شعراء العالم العربى .

واحتفت مجلة أبوللو بقصائد الشابي ، التي لقيت الاقبال والذيوع والشهرة في كل مكان من الوطن العربي .

وكتب الشابي فيها بعض الفصول في الأدب والنقد ، ثم كانت مقدمته الجميلة لديوان الدكتور أبي شادي «الينبوع» وكان ذلك من مظاهر الروح الأبوللية عند شاعرنا الشابي . هذه الروح التي قادت خطاه في أعوامه الأخيرة ، والتي غرست في قلبه بذور الثقة والأمل ، وعززت اتجاهه نحو الرومانسية ، ودعمت في روحه فكر الثائر ، وإيمان الشاعر ، ووجدان الإنسان ، فكانت أناشيده لأمته وللحياة وللناس من حوله ، وهي أناشيد قلما كتبها شاعر معاصر ، وكانت تحكي عن قصة ألم شديد ، عاش في أعماق نفسه ، ثم انطلق منه إلى أمل كبير ، في غد مشرق لأمته .

(١) ويشيد أبو شادي بوطنيات الشابي وبإنسانياته ، وأعجب بروائعه ، وقال عنه : أنه الشاعر المحلق ، الذي لم تعقه أحلامه عن النزول في ميدان المجتمع والشعب ، ويؤكد أبو شادي أن أعظم تجاوب للشابي كان مع زملائه من شعراء « أبولو » :

وقد تأثر الشابي بنهج أبي شادي في استلهام العديد من قصائده من التراث . ومن الأساطير .

وينظم أبو شادي على وزن جديد قصيدتيه :

---

(١) ٤٢ الديوان .

اضحكى يا رمال من هدير المياه
وانتهب يا شعاع نبض قلبى الحزين

فيعجب الشابى ، كما يعجب الشاعر إبراهيم ناجى كذلك ، بالقصيدتين ، وبوزنهما الجميل ، ويكتب الشاعر إبراهيم ناجى على هذا الوزن قصيدته « عاصفة الروح » ، ويكتب شاعرنا الشابى عليه أيضا قصيدته « الصباح الجديد »[1] التي يقول فيها :

الوداع الوداع يا جبال الهموم

وقد نظمها الشابى فى الخامس إبريل عام ١٩٣٣ ، متجاوبا مع أبى شادى فى الموسيقى والصور الشعرية .

وموسيقى الشابى فى قصيدته الخالدة « صلوات فى هيكل الحب »[2] ، متجاوبة مع موسيقى قصيدة أبى شادى « عروس المأتم » من ديوان (الينبوع) لأبى شادى ، والتى كان الشابى معجبا بها ، ومطلعها :

عذبة أنت فى الخفاء وفى الجهر
وفى الهجر يا أغانى الظلام

وتتلاقى قصيدة الشابى « إرادة الحياة »[3] مع قصيدة أبى شادى

---

(١) ٢٣٤ الديوان .
(٢) ١٨٣ الديوان .
(٣) نظمها الشابى فى ١٦ سبتمبر ١٩٣٣ كما فى ديوانه (ص ٥٤٠) .

«النهضة إرادة» ، كما تلاقى فى قصيدة له مع قصيدة «النهر المتجمد» لميخائيل نعيمة وفى قصيدة « فى ظل وادى الموت »[١] مع إيليا أبى ماضى ، وكان يقول عن جبران: «إنه قوى يجوب أعماق الحياة» كما تلاقى مع شاعر القيروان فى القرن الخامس «الحصرى» وعارضه فى قصيدته الدالية «صفحة من كتاب الدموع»[٢] .

وهذا الالتقاء التقاء شاعر عظيم بشاعر عظيم ، وليس التقاء تقليد أو احتذاء ، وتميز الشابى بأناقته الشديدة فى شعره ، وشاعريته التى هى شاعرية فنان مبدع محلق ، مما لفت أبو شادى إليه ، وقال عن شعره «إنه شعر العبقرية والتفوق ، ووصفه بأنه أحد أولئك الأفذاذ المالبي الروح ، وبأن فنه يتجلى فيه كله حب الاستغراق فى المعانى ، والتحليق بالأخيلة ، والتأنق فى الألفاظ والموسيقى ، والتفكير فى المثاليات النبيلة ، وأن طاقته الخارقة لم تحمل سوى الحقائق الأزلية الخالدة[٣] ، ويؤكد أبو شادى أن الشابى لم يتأثر بالأدب المهجرى ، أى تأثر خاص ، ولو جاء شطر أو بيت له فى صياغته الكلاسيكية — مع اختلاف المعانى — مماثلا لصياغة جبران أو سواه ، مثلما يقع الحافر على الحافر كما يقال . . فأية مشابهة بين شعره وشعر الشعراء المهجريين هى من باب المصادفة لا أكثر .

---

(١) ٥٠٧ الديوان .

(٢) ١٥٨ الديوان .

(٣) راجع كتاب « الشابى وأبوللو » .

وإني أستبعد ذلك ، وأرى أن الشابي قرأ المهجريين وتأثر بهم ، وتجاوب معهم في بعض قصائده .

ويؤكد أبو شادي حقيقة أخرى وهي أن أعظم تجاوب للشابي كان مع زملائه شعراء أبولو ، حتى قبل ظهور مدرستها . . وهذه مسألة توافق فيها أبا شادي لأن في شعر الشابي الكثير من مظاهر التجاوب مع شعراء مدرسة أبولو ، وذلك في قصائد نظمها قبل عام ١٩٣٢ ، وهو عام ظهور أبولو كمدرسة وذلك من مثل قصيدة « صلوات في هيكل الحب » التي نظمها الشابي في ١٣ أكتوبر من عام ١٩٣١ . . ويضيق المقام هنا عن الكثير من الموازنات بين قصائد للشابي ولشعراء أبولو يثبت ما تقوله وما قاله أبو شادي من قبل .

● — ولنرجع إلى ما بين الشابي وأبي شادي من صلات ، لنرجع إلى « رسائل الشابي » التي نشرها الشاعر الكبير المرحوم الأستاذ الحليوي ، فهي تفسر لنا إلى حد ما بعض جوانب هذه الصلات ، وتشرح لنا كذلك أحلام الشابي في هذه الفترة وآراءه في كثير من جوانب الحياة والأدب والشعر :

١ — في الرسالة الحادية والعشرين من رسائل الشابي إلى صديقه الحليوي يقول أبو القاسم الشابي :

« ورد علي في الأسبوع الماضي العدد الرابع من مجلة أبولو المصرية(١) ،

(١) هو عدد ديسمبر ١٩٣٢ ، وهو عدد خاص عن أمير الشعراء أحمد شوقي .

وهى مجلة لخدمة الشعر الحى ، كما يقول محررها ، وهذا العدد خصصته لشوقى ، بصفتها هى لسان جمعية أبولو ، ولأن شوقى أول رئيس لها . . ثم ورد على بعد ذلك بيوم من سكرتير الجمعية ، ورئيس تحرير المجلة د. أبو شادى مكتوب قال فيه : إنه يرغب فى إمداد المجلة ، بما يمكن من شعر ونثر ، وأنني سأجيبه ، وأوجه إليه اشتراكى وشيئا من الشعر . . والعدد الخاص . . بشوقى بالطبع هو عدد ديسمبر ١٩٣٢ » :

ويرد عليه صديقه الحليوى فيقول :

« سمعت عن المجلة ولم أرها على كل حال ، لقد تفاءلت بالتماس تلك المجلة لشعرك ، فلعل عبقريتك تظهر فى مصر » .

وبالطبع ، وكما تنبأ الأستاذ الحليوى « رحمه الله » ظهرت عبقرية الشابى فى مصر .

٢ — وفى الرسالة الثانية والعشرين يقول الشابى لصديقه الحليوى :

أما علاقتى أنا بأبولو فقد حدثتك فى رسالتى السالفة بأنني وجهت لها قصيدتين والاشتراك ، وطلبت من صاحبها أن يوجه إلى الأعداد الأولى منها . . وقد ورد على كتاب منه يفيد ذلك ، وطيه الاشتراك قائلا : إنه يستسمحنى عذرا فى إرجاعه لأن المجلة توجه إلى كهدية خالصة ، وصحبته ورقة مطبوعة فى طلب العضوية بجمعية أبولو ، حتى يضمن اسمى فى ثبت أعضائها » .

٣ — وفى الرسالة السادسة والعشرين بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٣٣ يذكر الشابى أنه أجمع العزم على طبع ديوانه ، وأنه وصلته رسالة موجهة إليه

من أبى شادى يطلب فيها إليه كتابة تصدير لديوانه « الينبوع » الذى يباشر طبعه الآن .

٤ — وفى الرسالة السابعة والعشرين ، وهى بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٣٣ : يذكر الشابى أنه سيرسل إلى أبى شادى المقدمة التى كتبها لديوان « الينبوع » .

٥ — وفى الرسالة الرابعة والعشرين يقول الشابى للحليوى وجهت دراساتك إلى أبولو ، ومعها ثلاث قصائد لى ، كما أرسلت كلمة رد على الأديب مختار الوكيل(١) ، وقد لاحظت أن يكون الرد رقيقا . . وقد قدمتك إلى أبى شادى وتسكت الرسائل بعد ذلك عن كل شىء مما بين الشابى وأبى شادى من صلات .

وتنتهى رسائل الشابى ، بل وتنتهى حياته ، ويصبح ذكرى خالدة على مرور الأيام .

---

(١) كان قد انتقد الشابى فى كتابه « الخيال الشعرى عند العرب » .

محمود حسن إسماعيل

٢ يونيو ١٩١٠ — ٢٥ إبريل ١٩٧٧ م ٧ جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ

— ١ —

مذهبي لا مـذهب اليـو م سوى أصـداء لحـني
إن تسـل في الشعر عني هكـذا كنـت أغـنى
هكذا يخفـــق نايى بـــين إلهامى وبيـني
يلهـم الله فيمـــضي وتر الروح يغـــني
مزهرى نشوان لا تـــو قظه ضجـــة كونى
مذهبي لا مذهب اليـــو م سوى أصداء لحني [1]
قد وهبت الفـــن عمرى ووهبـــت الشرق فني

هكذا قال الشاعر محمود حسن إسماعيل ، الذى هزج بألحان الريف ، وغني القرية ، وتحدث عن الطبيعة واصفالها في أول ديوان أخرجه عام ١٩٣٤ « وهو أغاني الكوخ » ، واستمر بعد ذلك يغني للحب والجمال والوطن والحرية والثورة في دواوينه التي ظل يكتبها : هكذا أغني (عام ١٩٣٧) — أين المفر (١٩٤٧) — نار وأصفار (١٩٥٩) — قاب قوسين (١٩٦٤) — لابد (١٩٦٦) — التائهون (١٩٦٨) — هدير البرزخ (١٩٦٩) — صلاة ورفض (١٩٧٠) — السلام الذى أعرفه (١٩٧٠) — نهر الحقيقة (١٩٧٢) — موسيقى من السر (١٩٧٨ — رياح المغيب مخطوط — هدير البرزخ (١٩٧٦) — موسيقى من الجنائز وديوان الحب مخطوطان .

---

(١) من ديوان : هكذا كنت أغنى

ولقد كان محمود حسن اسماعيل من ابرز شعراء مصر على مدى أربعين عاماً ، وقد غنى لوطنه وللحرية وللثورة ، أجمل أغانيه وأروعها .

شارك بشعره فى ثورة الشباب عام ١٩٣٥ ، وفى ثورة الشعب عام ١٩٥٢ ، ونظم قصائده فى كل أحداث مصر القومية والوطنية من عام ١٩٣٥ حتى وفاته ، يقول من ديوانه «صلاة ورفض» الصادر عام ١٩٧٠ فى القاهرة من قصيدة بعنوان « بنت المعز » :

واستيقظت ورشت الفجر على جبينها
وكبرت وكحلت بنوره عيونها
وضفرت شعورها بالشمس والنخيل
ورشحت ستورها من ذهب الأصيل
وأومأت والدهر من قبابها بكبر
وموكب الدنيا على أعتابها وجوهر
وكلمت تاريخها
ياقاهرة الغزاة

ويخاطب الشعب ثائراً فيقول من ديوانه « هكذا كنت أغنى » الصادر عام ١٩٣٧ :

ابعثوها تصم سمع الليالى ثورة تضرم السماكين ناراً
مات عهد الكلام فلتجعل الراحة والموت للجهاد شعاراً

ويخاطب « الأرض » فى ديوانه « نار وأصفاد » فيقول :

بين ذل الثرى ودمع الحفاة هبت الأرض من عميق السبات

نفخ الصور فى رباها بقامت — تحصد الظلم فى صدور الطغاة
ضرب الله ليلها بضحى البعث — فضجت قبـــورها بالحياة

وهذا الديوان مصدر بقصيدة منها :

ولما تشاكى القيد حولى وأعولت — من الرق أيامى وضجت سلاسلى
تلفت فانساب الدجى عن مزاهرى — مزامير ليـل عن خطى الفجر غافل

وفيه يتحدث عن « البعث » (ثورة ٢٣ يوليو) بقصيدة رائعة يبدؤها بقوله يخاطب الجنسين :

ما بين طيف الـكرى أو لمحة البصر
كانت خطاك لهم أمضى من القدر

وفى ديوان قاب قوسين الصادر عام ١٩٦٤ يقول ثائرا يطالب الحرية :

قاب قوسين من النــور فسيرى — واهتـكى كل لثام فى الضمـــير
وادحرى كل ظـــلام راسب — أنشبته فيك أغــلال الدهور

ويـكتب قصيدته الرائعة « جنازة الرق » التى يقول منها فى ارتباط عجيب بالقرية :

أنا والـكوخ والظلام وليـــل — بجميع الأسرار مـــدت بداه
وربابى مدندن يشرب الليـــل — ويسقى من كل لحـــن دجاه
وخطى النـــاس لا تسير ولـكن — نوحها فى الطريق يهـــدى صداه
تلاقى جنائزا لم يعـــد فيها — لوجـــه الفناء إلا رؤاه

ويتحدث عن الـكوخ فى قصيدته « ساعة مع الـكوخ » من ديوانه « قاب قوسين » فيقول فى مطلع القصيدة :

سلاما تراب الكوخ جئتك زائرا   فأشعات بالبعث الجديد قيثارى

ويتحدث فى ديوان « لابد » الصادر عام ١٩٦٦ فيقول « عن قمة الكوخ[1] » :

غنى للأحـــرار للشعب   الذى رد الحيـــاة
ومحا من أرضـه الحــر   ة أوهام الطغـــاة
ومضى فى مواكب الزحـ   ـف إلى كل اتجاه
لبنـاء الحـق والعـــد   ل كا سن الإلـه

وفى ديوان أين المفر (الصادر عام ١٩٤٧) يقول من قصيدته « أغانى الرق » :

ألقيتنى بين شباك العـذ   اب وقلت لى غنى
وكل ما يشجى حنين الربا   ب ضيعته مهنى
وهـذا جناحى صارخ لايجا   ب فى ظلمة السجن
ونشوتى صارمة بقايا سر   اب فى حانة الجن
أو اه يا فنى
لو لم أعش كالناس فـــوق التراب

ويخاطب « راية العـرب » فيقول فيما يقول فى ديوانه « قاب قوسين » :

---

(١) ص ٩٠ ديوان لابد .

فى طريق الشمس عودى وأعيدى عزة الشرق على وجه الوجود
وأوحنى بالنور والنـــار على حشرجات الذل فى باقى القيود

وفى هذا الديوان يشعر بالهموم والآلام فيقول :

هـذه قصة بستان به كنت عــــبرت
حاطها أجمـع ثـــارا وأسى فيها جمعـــت
ليس لى فأس ولاغـــــر س ولكـــــنى احتطبت
من ربيع ليس لى فيه سوى أنى وجـــــدت

وهى أبيات حافلة بتصوير حياته وآلامه والبيت الأخير صورة رائعة لهذا الضياع والحرمان الذى عاش فيه .

وفى ديوانه «صلاة ورفض» الصادر عام ١٩٧٠ نجد قصائده رفض الهزيمة ـ غضبة الثأر ـ جبال الصمود ـ صوت المعركة ـ القدس تتكلم ـ الأذان الذبيح ـ المسجد الصابر ، وفى هذه القصيدة الأخيرة يخاطب المسجد فيقول :

لست فى عالم القداسات مسجد إنما أنت هـــالة من محمد

كما نجد قصائده : مصر أنشودة الدنيا ـ أغنية للنيل .

وهكذا نجد الشاعر محمود حسن إسماعيل صوتا ملهما يطلب الحرية ويدافع عنها بأقصى حدود الاستطاعة.. وهكذا عاش الشاعر ثائرا مع الثوار أبيا فى مواكب الأحرار ، يتخذ من الحق والعدل شعارا له وأى شعار .

— ٢ —

وكان فى الشاعر محمود حسن إسماعيل عزة المصرى الأصيل ، وشموخ الريفى الحر الأبى ، يخاطب مصر وطنه فى قصيدته « جبال الصمود » من ديوانه «صلاة ورفض» فيقول :

أنت من جبهتى خلقت ومن أعماق ذاتى حشدت كل جلالك

وهو فى شموخه ابن الريف والنيل وابن مصر التى اختارت أن يمثلها أبو الهول فى كبريائه وشموخه . ويعد شاعرنا ندا للعقاد فى هذا الكبرياء المتعالى الذى لا يذل أبدا .

ولقد كان يعيش مع أحداث وطنه ومع آلام نفسه ، متفائلا شديد التفاؤل ، يقول من قصيدته «الضباب الأخضر» فى ديوانه «قاب قوسين» :

دعونى أغني :

فإن الغناء طريقى إلى كل سر بعيد
خلقت لأرتاد روح الحيـــــاة
وأسئـــل أعماقها للوجـــــود
ومهما سرى قبـــــلى الساثرون
فإنى على كل خطـــــو جديد

ويقــول فى ديوانه « نهر الحقيقة » الصادر عام ١٩٧٢ ، من قصيدته « الطريق » :

طريقى أمـــــل
وخطوى أمـــــل
وكل دروبى أمـــل

إذا لاح لى الشوك أبصرت فيه الزهـــور
وأقداحها وهى بالعطر حـــــــولى تدور
فإن كان شـــــوك مضيت
وإن كان عطـــــر مضيت
ولابد أمضى ويمضى طريـــــقى
وتمضى خطا الروح بين الحـــــريق

ومن قصيدته « الأمل » فى هذا الديوان ، يقول :

وجودى أمـــــل
وعمرى أمـــــل
وكل حيـــاتى أمـــل
ومهما تكن خافيات الأجـــــل
فإنى أمـــل
خلقت لأنسج من كل موت حياة
ومن كل أمس غـــدا وأثبا فى خطاه
ومن كل ليـــل ضيـــاء
ومن كل دمـــع صفـــاء

وفى قصيدته « الابتسام » من هذا الديوان نهر الحقيقة — يقول أيضا :

تبسمـــى أمـــــل
وحـــيرتى أمـــــل
ونظرتى مالمحت إلا تبسم الأمـــل

ويقول عن « النهر » :

سكوته حياة
ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاة

ويقول عن الأرض :

ترابها حياة
وماؤها حياة
وعشبها حياة
نسيمها قبل
أحقها قبل
وأفقها أمل

وفيه أيضاً يقول :

وجودى حقيقة
وذاتى حقيقة
وأنى على الأرض طير يغنى حقيقة
ونور الحقيقة سر الحياة وسر الأمل

هكذا عاش يغنى للحرية والثورة والأمل والحياة طيلة حياته ؟ يقول من ديوانه « صلاة ورفض » :

سأشدو
سأشدو
وشدوى أعاصير رفض ونار تدور

— ٣ —

هذا هو الشاعر الخالد محمود حسن إسماعيل ، الذى قال عنه مندور[1] إنه عاصفة ووحشى فى طاقته الشعرية الفريدة » ، والذى جعله السحرتى فى كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » من مدرسة أبولو .

ولقد عرف الشاعر محمود حسن إسماعيل أول ما عرف فى مجلة أبولو وندواتها وحلقاتها الشعرية ، ثم أخذ من كل المذاهب : من مدرسة الديوان ومن مطران ومن شوقى ، ومن المهجريين ، وخرج صاحب طاقة شعرية رهيبة يملك اللغة ويملك الموهبة ، ويملك التصوير والخيال والثروة الشاعرة ، ويعني بالتصوير والرمز والتجسيم والتشخيص ، ويستمد صوره الشعرية الثرة من الطبيعة فى الريف المصرى الذى أحبه وهام به وغنى له ، كما ترى فى قصيدته « بنت المعز » فى ديوانه « صـلاة ورفض » ، وقد سبق أن ذكرنا بعضا منها ، وكما وجدناه فى أبياته مثلا :

هـــذه قصة بستا ن به كنت عبرت
حاطبـا أجمع نارا وأسى فيا جمعت
ليس لى فأس ولا غر س ولكنى احتطبت
من ربيع ليس لى فيـ ـه سوى أنى وجدت

ومن روائع شعره قصيدته « النفس والخطيئة » ، من ديوانه

« قلب قوسين » ، وفى صدرها يقول :

حملت أمسى وغدى   وسرت نحو الموعد

وفى قصيدته « بحيرة النسيان » من ديوان « هكذا أغنى » يقول :

رقرقت فى دمى ورقت على الرو
ح وذابت بحـــيرة النسيان
عنـــدها قـــد نسيت ذاتى وحسى
وزمانى وعيشـــه ومكانى
ونسيت النسيـــان حتى كأنى
همسة فى خواطر الأكفان
فاحضنى يا بحـــيرتى زورق الرو
ح وغيبى عن ضجة الأكوان

— ٤ —

ولقد عاش الشاعر محافظا على أصالة الشاعرية ، وعمود الشعر . ومع تجويداته التى كان يقارب فيها بين شعره الأصيل والشعر الجديد نجده محتفظا بموسيقاه ، يقول : « لم يقل أحد إن الشعر فى أعلى حدود التطور والتحرر والابداع يكون متخليا عن خصائص أساسية تلازمه ملازمة الشىء لذاته ، فالتحرر من الموسيقى إسقاط نهائى لصفة الشعر » .

وعاش لا يقلد أحدا ، ولا يحب أن يعيش تحت ظلال مذهب معين

أو مدرسة فنية بذاتها ، لأنه لا يريد أن يخضع شعره لقالب خاص ، ولا لمدرسة مجردة . . بل الشعر عنده هو الوجود كله ، وأبعد حدود الآفاق عامة .

ولقد كانت تنتاب الشاعر بين الحين والحين فترات شك ويأس وحزن، حتى لنجده يقول لمصر وطنه من قصيدة له فى « رثاء الرافعى » من ديوانه « هكذا أغنى » :

لم يطب للنبوغ فيك مقام
لا عليك — الفداة — منى سلام
المنارات تنطفى بين كفيـ
ـك ويزهى بشاطئيك الظلام
قد رعيت الجميل فى كل شىء
غير ما أحسنت به الأقلام

ومن شعره قصيدته : « ماذا تريدون مني » ؟ ! ويقول فيها :

. . وماذا ستكتب عني ، إذا غبت يوماً ؟
وماذا ستحكى لدنياك عن سر فني !
. . وماذا سترضى عن الناى . .
لما تراه حزيناً بلا أى دمع ، بلا أى لحن ؟
. . أتعرفني ؟ ! أين مفتاح بابى ؟
وأين الطريق إلى جنتى ، أو ثيابى ؟
وأين الحدائق ؟ أين الحرائق ؟

أين الحقائق . . مصلوبة بين عصرى وبيني ؟
وأين اختلاجات روحى !
وأطيارها حائمات السفوح . .
تجىء ، وتمضى ، وترنو ، وتقضى .
وفى فمها السر . . هيهات يفضى !
. . أتعرف ماذا تريد ؟
وماذا بها من أحاسيس ومضى ؟
. . أتعرف أيان عادت ؟
للنــور ؟ أم للدجى فى متاهات أرضى ؟
وما هى هذى الخمائل فى قاع نفسى ؟
وما ذلك السحر ؟
من شبة فى فراديس كأسى ؟
.. أتعرف .. كيف انسلال الرؤى من خيالى ؟
وكيف انصهارى بلحني عند اشتعالى ؟
. . أتعرف . . كيف انكشافى لعمق الوجود ؟
وأى القوى حطمت لى جميع السدود . . ! !
. . أتعرف كيف امتدادى بنارى لربى ؟
وكيف ارتدادى ورفضى لأشواق قلبى ؟
وكيف التناقض يجتاح ذاتى . ويمضى بعيداً .
ليرتاد شيئاً أحس به فى زمانى شريداً ! !
ينادى على ، وأخشى صداه .
وأهوى لقاه ، غريبا جديدا . .

أتعرف ما فى كيانى ؟ وهيهات ! سر غريب تخطى العصور ، وفات الدهور . . إلى سر روض عجيب .

به الزهر يسكر ! والعطر يسهر !
والليل داع يتوب
ومن غير ذنب يمد اليدين
ويرفع لله تسبيحتين !
وقد أحتويه ، وأنساب فيه ،
ويبقى بعيد المدى عن خيالى وجفنى . .
فلا أنا منه ، . . ولا هو منى . .
ولكننا نغمة فوق غصن . .
بلا أى طير ، بلا أى نبر .
تغرد للروح فى جوها المطمئن ؟
. . أتعرفنى بعد هذا ؟ . . وتدرك ماذا أغنى !
. . أنا من سمائى وأرضى ، تطوف
ومن ثورة الروح ، للروح الحى !
وأحرقت ذاتى لضوء التراب .
وغنيته السر . . ماذا تريدون منى ؟

التجديد فى شعر حسن كامل الصيرفى

٦ سبتمبر ١٩٠٨ — ٢٠ مايو ١٩٨٤

الصيرفى شاعر[1] مجود ، وصاحب موهبة شعرية محلقة . . ولقد خسر الشعر العربى بوفاته فى العشرين من مايو عام ١٩٨٤ عن ستة وسبعين عامًا قيثارة شعرية ساحرة ، طالما غردت للجماهير العربية وأثرت فيها على امتداد الأكثر من نصف قرن من الزمان . .

إن هذا الشاعر الأبوللى المبدع الذى عاش فى رحاب الشعر هذا الأمد الطويل ، ليعد علامة على الطريق ،وأحد معالم الشعر العربى المعاصر . ولاعجب فقد كان من أرهف الشعراء ذوقا ، وألطفهم شعورا ، وأرقهم فكرا ومضمونا ، وأوسعهم افتنانا فى التجديد ، وأكثرهم أصالة فى الديباجة الشعرية الجيلة ، وفى الصورة الشعرية المتميزة ، ولقد أخرج الصيرفى العديد من الدواوين من مثل :

- الألحان الضائعة . (١٩٣٤)
- الشروق . (١٩٤٨)
- صدى ونور ودموع .
- عودة الوحى .
- شهرزاد .
- زاد المسافر .

---

(١) ص ٢٣١ مذاهب الأدب الخفاجى — طبع القاهرة ١٩٥٣

— النبع .

— صلواتى أنا .

— نوافذ الضياء .

وهى دواوين أحدثت أثرها الكبير فى تطور الشعر العربى الحديث ، وصنعت تيارا شعريا جديدا فى الشعر المعاصر ، وآزرت حركة التجديد فيه شكلا ومضمونا وموسيقى .

وأسلوب الصيرفى الأثيرى ، وموسيقاه التى توائم الموضوع الشعرى ، ورمزياته العديدة فى مختلف تجاربه ، وصور القصيدة وأنغام القافية المختلفة عنده ، وتجويده فى شعر الحزن والألم .. كل ذلك موضع التفات النقاد واهتمامهم .

والصيرفى شاعر رومانتيكى حالم ، يستمد شعره من الحياة والطبيعة ومن الألم والأمل ، ومن الجمال والكون والأحلام والرؤى الباطنية العميقة .

وقد ولد الصيرفى — ابن دمياط الجميلة — فى ٦ سبتمبر من عام ١٩٠٨ وبدأ ينظم الشعر وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، وترك المدرسة عام ١٩٢٥ ليتفرغ للشعر[١] .

ومنذ عام ١٩٢٧ بدأ بنشر شعره فى « مجلة العصور » وغيرها ، ولما

(١) ص ٢٣١ مذاهب الأدب للخفاجى — طبع القاهرة ١٩٥٣

تأسست جماعة أبولو الشعرية برياسة الدكتور أحمد زكى أبو شادى صار أحد أعضاء الجماعة، ومحررا فى مجلتها ، وأحد القريبين من أبى شادى والأثيرين عنده .

وقد شغل الصيرفى وظائف عديدة فى مجلس النواب سابقا (الشعب حاليا) ، وفى إدارة الثقافة بوزارة الثقافة — وعمل محررا فى مجلة أبولو ، وفى مجلة الشعر ، ونائب رئيس التحرير فى مجلة الفكر المعاصر ، وكان عضوا فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب . وحقق ديوان البحترى تحقيقا علميا فريدا ، وهو من أهم انجازاته العلمية ، كما حقق ديوان المثقب العبدى ، وديوان المتلمس ، وطوق الحمامة ، وكتاب الطيف والشباب للشريف المرتضى ، وكتاب « أخبار البلدان » للقزوينى ، وبعض كتب أخرى من المكتبة الجغرافية الإسلامية .

وأصدر كتابا بعنوان «حافظ وشوقى» وغير ذلك من أعماله التراثية والأدبية .

— ٢ —

وفى عام ١٩٣٤ صدر للصيرفى عن جماعة أبولو ديوان «الألحان الضائعة» الذى صدره أبو شادى بمقدمة جاء فيها : الصيرفى[1] شاعر أصيل ، فياض

---

(١) ٤ وما بعدها الألحان الضائعة الصيرفى .

الشاعرية ، المستوحاة من أغانى الربيع ، ومن الصدى الخافت ، ومن صفاء الطبيعة ، ومن البسمات الساخرة ، ومن موت البلبل ، ومن كل ما توحيه الحياة والموت للشاعر الحساس النبيل ، وهو شاعر فى بيانه ، شاعر فى حياته ، شاعر فى فنه ، وهو الفنان الناضج فى تعبيره الوجدانى المنغوم ، وفى صور حياته العامة ، فهو ذاتية من الشعر الحى الثمين ، والصيرفى الشاعر وشعره وحدة منسجمة لا تتجزأ ، وشعره ثورة جديدة للشعر المصرى الحديث ، وللشعر العرب عامة ، فهو الجامع ما جمع من الطلاقة البديعة ، والخيال الرائع ، والموسيقى المستحدثة ، فى نظام هو نظامه لا يقلد فيه أحدا ، وإن تجاوب مع شعراء العالم العربى . . . والصيرفى شاعر مبدع ، بعيد الخيال ، رومانتيكى النزعة غالبا ، رمزى أحيانا ، كل ألفاظه أشعة وظلال ، وأنغام وأصداء ، وعطر وشذى ، وأشباح وأطياف ، ونحوها » .

ولئن كان شعر على محمود طه يتميز بفخامة اللفظ ، وروعة الأسلوب ورصانة الجمع بين القديم والحديث ، وشعر ناجى يتميز بسحر العاطفة وجمال الذوق ، وجلال المعانى ، فإن شعر الصيرفى يتميز بموسيقيته الساحرة ، وألحانه الحالمة ، وصفاء الديباجة وإشراقها ، وسمو الفكرة ، والتقصى الوصفى فيما وراء الصورة ، وهو فى طليعة شعراء الشباب المجددين الرمزيين ، وشعره سداه الألم ، ولحمته أحزان النفس وهمومها ، تنزع نفسه إلى التجديد وابتداع الخيال .

ولقد صهرت الآلام روح الشاعر ، والدموع ضرورة للعبقرية كما يقول بعض النقاد ، بل كما يقول الصيرفى نفسه :

دموعى كنـت آمـالا تمـد القلب بالبشـر
وكانت هـذه الآمـا ل كالأنغام فى الفجـر

لقد أرسل الحانة وهو يهتز لتنفس النهر ، وغناء البلبل ، وهمس النسيم.. وكان يقول :

وأنشدتهم من أغانى السماء أناشيـد تعزف للخالدين
فضاع الصدى فى فضاء الحياة وذاب النشيد وهم يصخبون

ووصف الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى الشاعر الصيرفى بأنه مجدد هادىء الجوهر ، صافى النفس ، رقيـق الشاعرية ، عذب الموسيقى[١] ، يتميز بمعانيه الأصيلة فى الطبيعة[٢] وبخياله الذى يخلق لك جوا عطرا عبقا بالعطر الشعرى والموسيقى الهادئة[٣] .

ويصفه إسماعيل أدهم بأنه شاعر رومانسى النزعة ، غنائى الروح موسيقى التعبير[٤] . .

وينوه بروكلمان به ، وبنزعته ، كأحد أتباع الشعر الرمزى[٥] ، كما نوه

(١) مجلة أبولو — عدد ديسمبر ١٩٣٤
(٢) أدب الطبيعة للسحرتى ص ١٠٧ و ١٠٨
(٣) المرجع نفسه ص ١٢٢
(٤) ص ٢٢٨ و ٢٢٩ خليل مطران لأدهم .
(٥) ص ١٦٥ و ١٦٨ الجزء الثالث من ملحق تاريخ الأدب العربى لبروكلمان .

ناقد آخر بشخصيته الواضحة فى شعره(١) .

وقد أثار ديوانه « الألحان الضائعة » كثيرا من القضايا الأدبية والفنية، التي خاض فيها النقاد والدارسون ، وقد صدر عام ١٩٣٤ مع هذا الديوان : ديوان من وراء الغمام » للشاعر د . إبراهيم ناجى وعدد من الدواوين الأخرى التي شغلت أذهان الباحثين ، لما كانت تحفل به هذه الدواوين من مختلف صور التجديد ، ومختلف نزعات الشعر وتياراته ومدارسه ، من كلاسيكية ورومانسية ورمزية وواقعية وسيريالية وغيرها ، وهى المدارس التي اختلفت نزعاتها وألوان التجديد عند شعرائها .

واللون الوجدانى هو السمة الغالبة على شعره(٢) ، ونزعته القوية إلى التجديد ظاهرة من ظواهر شعره ، يسعفه فى ذلك خيال جامح ، وحس قوى(٣) .. ويشير د. محمد كامل حسين إلى أثر الأدب الغربى فى شعراء مدرسة أبولو ، وإلى معانى الصيرفى المبتكرة فى قصيدته « عقب السيجارة » فى ديوانه « الألحان الضائعة » وهى قصيدة ليس لشاعر آخر نظير لها(٤) ، وهو فى أكثر قصائده ذو نزعة تجديدية ، يميل دائما إلى التحرر من القافية كما كان يحلو لشعراء المهجر أن يفعلوا(٥) .

---

(١) البلاغ الاسبوعى — عدد ٥ سبتمبر ١٩٣٤

(٢) ملحق السياسة — أول سبتمبر ١٩٣٤ — للكاتب أحمد فتحى .

(٣) جريدة البصير — عدد ١٤ سبتمبر ١٩٣٤

(٤) جريدة الوادى ١٥ سبتمبر ١٩٣٤

(٥) المقتطف عدد نوفمبر ١٩٣٤

وينوه سيد قطب بطلاقة الروح الفنية فى شعر الصيرفى ، وشعراء أبولو عامة[١] — وحالى رمزى مفتاح فلسفة الصيرفى حول الزمن الذى يتحرر عقله من قيوده عندما يتسامى به الفن عن ضجيج الحوادث ، ويرى حاملى هذا اللواء بين الشعراء المحدثين[٢] .

وكان الصيرفى مجيدا فى الرثاء والألم والشكوى ووصف العواطف والمشاعر والأحاسيس النفسية الدفينة . وفى الرموز الدقيقـة المعبرة ، والأوصاف الدقيقة . ويجمع شعره بين السلاسة والتعبير القوى والفـكرة العميقة ، وبيته الشعرى يجمع صورا كثيرة متلاحمة مصبوبة فى قالب شعرى جميل ، مع البراعة النادرة فى رسم الصور والظلال ، وتوشيتها بألوان ساحرة من الخيال ، وإضافة التفاصيل الساحرة التى تنم عن فطنة بارعة ، وذهن خصب ، وملـكة نادرة مصورة .

وقصيدته « الشاعر » من ديوانه « الألحان الضائعة » يمثل لنا فيها خلق الشاعر وكيفية هبوطه إلى الأرض وأسباب ذلك . فى عرض شعرى جذاب ، ولعله تأثر فيها بالشاعر فوزى المعلوف فى ملحمته «على بساط الريح » ، وبإيليا أبى ماضى كذلك .

وهـذه القصيدة فى رأيى هى التى ينهج نهجها على محمود طه فى قصيدته « ميلاد شاعر » ، وهى طويلة تقع فى أكثر من خمسين ومائة بيت ، ولقد نجح الشاعر فى تصوير هذه القصة خير تصوير ، كما عبر عنها أوضح

---

(١) الأهرام عدد ٢٠ أكتوبر ١٩٣٤

(٢) البلاغ عدد ٢٣ سبتمبر ١٩٣٤

تعبير . وإن هذه القصيدة وحدها لكفيلة أن تنظمه فى سلك الشعراء المنفردين المطبوعين .. ومن قصائده فى « ديوان الألحان الضائعة » «اللحن الضائع» ، و« القلب المحطم » ، و« الحيارى » ، و« التائه » ، و« ظمآن » و« استرح ياقلب » ، و « عقب السيجارة » ، و « دمعى » ، و « الواحة المنسية » ، و« الصدى الخافت » ، و« موت عزرائيل » ، و« ربيع الخريف» . وتمثل قصيدتاه « ظمآن » و « روح المصباح » تجارب شعرية غامضة ؛ وفى قصيدته « المنديل » أصالة التوجيه الموضوعى .

ويمثل ديوانه « الشروق » روح شاعر مجرد ، نزاع إلى الطلاقة الفنية ، وإلى الحرية التي لاتتنكر للموسيقى ، ولا تتقيد بقيود القافية الشكلية ، وفيه ينزع الشاعر إلى السعادة الروحية ، فيقول :

الرضى ما أجمل الدنيا به   بسمة تخرج من ثغر قلبى

ويقول وهو يشعر بلذة السعادة فى غفوة حلم :

تعال فقد عرفت حدود نفسى
وأدركت السعادة ملء كأسى
تعال إلى واملأ رحب نفسى
فإنى اليوم لست خيال أمسى
ستختلف الحياة أمام عينى
تمر طيوفها وتغيب عنى
وتفنى فى محيط من تمنى
وأحلام تلوح بكل لون

وفيه يبدو الصيرفى صاحب موسيقى حلوة ، وأسلوب جميل ، ولفظ مونق ، وصور شعرية خلابة ، وخيال جامح سارب فى الكون ، وصاحب إبداع شعورى حقيقى ، يكاد ينفرد به من بين شعرائنا .

وفى ديوانه « صدى ونور ودموع » زاد تألق شاعرية الصيرفى ، وارتفعت أسهمه فى ميدان التجديد والتجويد ، وعمقت فلسفته فى الحياة ، وزاد تحرره من القيود الفنية التى لا تتنافى مع روح الشعر والشاعر ، وعلت بذلك مكانته بين شعرائنا الكبار . . .

— ٣ —

أما دواوينه الستة الأخيرة فقد صدرت عن دار المعارف قبل وفاته بعام ، وتعد من أرفع الابداعات الشعرية : موسيقى ، وصورا شعرية ، وخيالا خلابا ، ومضمونا إنسانيا عاليا ، فى صياغة عذبة رصينة ، فيها حلاوة الإيقاع ، وسحر الإلهام ، وجمال التناسب ، وحرارة العاطفة ، ووضوح التيار الرومانسى الحالم .

والشاعر فى تمديده لمواقف التجربة فى قصيدته وتغييره للقافية عند كل موقف منها ، وفى قوة تأثيره وإيحائه . سيظل سباقا فى ميدان التجديد . . . فى ديوانه عودة الوحى من قصيدته «يا شاعر الحلم الغافى» يقــول :

يا شاعرا الحلم الغافى على مقل أجفانها أوهقتها السهد والحلم
يا شاعرا زاده فى كل مرحــلة
الحسن والحرف والقرطاس والقــلم

والحلم الغافى هو ما نعني به الإلهام . والحسن هو الجمال ، والالهام الذى يستمد رؤاه من الجمال والحب هو الفكر الرومانسى الحالم ، الذى يملأ القصيدة بأنغام الأمل والألم .

وعندما وقـع الصيرفى نغمه الحالم فى قصيدة له يقول فيها مثلما قال فى قصيدته من ديوانه « عودة الوحى » :

دنيانا ، دنيـــانا وهم
وخيـــال طواف فى حــلم
ما أخـــدعه طيف النـوم
يخفى عنـــا مالا ندرى
والشر عـــدو للخـــير

ويقول من قصيدته « النبع » فى ديوانه « النبع » .

من فجر من قاب الصحراء
هــذا النبـع السحرى الماء
شفتـــان حـــديثهما أنداء
فى الـكون لهمسهما إصغـــاء
عينـــان بريقهما إغــراء
قــد فجرتا فى ذات مساء
هــذا النبـع السحرى الماء

فنجد الصورة ، والخيال ، والموسيقى ، وتخير النغم تضفى على شعره كل الجمال .

وفى الديوان نفسه من قصيدته «من غير وداع» يقول :

سفر كشعاع ماض لمـاع
من غـير وداع صـك الأسمـاع

وكذلك يمضى فى الدنيـا
رؤيا تعقبهـا رؤيا

فتجد التركيز الجميل ، والايقاع القوى ، يضيفان إلى الصورة حلاوة ، وجمالا لاحد لها .

لننظر إلى قصيدته « بعـد فوات الأوان » من ديوانه « صلواتى أنا » يقول الشاعر :

لن يعـود الزمان
يا حبيبى بنـا
مثلـا قـد كان
نحن فى دربنـا
بالمـنى سائران

ومع حلاوة النغم ، نجد أننا أمام صورة جديدة من بحر قد يـكون مجزوء بحر الخفيف ، وقد يكون بحرا جديدا مبتدعا .

وفى ديوانه « نوافذ الضياء « من قصيـدته » « وحى خيـالى » يقول الشاعر :

يا نبـع شعـر جديد
يعيـد سحـر قصيـدى

جودى بفضلك جودى
على معنى الجمال

ومن الحب تنبع ألحان الشاعر الرومانتيكى الحالم . .

وتجىء الحرية ، الحرية التى غنى لها الشاعر فى قصيدته « حكمة عصفور » من ديوانه « النبع » ، مع الرمز الرائع الذى احتوت عليه القصيدة ، من حب الوطن والحياة فيه . . وكل ذلك الهام الشاعر الرومانسى المجدد المبدع .

ويستمد الصيرفى شعره من الكون والحياة والطبيعة ، فى روح إنسانى عال رفيع .

وقد بكيت وأنا أقرأ للصيرفى قصيدته الانسانية الرنانة « صخرة » من ديوانه « النبع » ، التى يقول فيها :

ما أقساها تلك الصخرة
لم تترقرق منها عبرة
موج البحر على قدميها كم يتحطم
هذا الثائر ألقى الراية ثم استسلم
تلك الراية ، هذا الزبد ، الأمل المهدم
ما أقساها تلك الصخرة
لم يتصاعد منها زفرة
ما أقساها ، لا ترحمه ولا تترحم
ما أقساها تلك الصخرة
لم تتناثر منها ذرة

وهكذا نجد التجديد فى شعر الصيرفى ينطلق من المقدرة العالية على أداء المضمون الإنسانى الرفيع ، فى أسلوب جميل رائع الإيجاز ، والنغم ، روعة صوره وأخيلته وألفاظه .

إن قدرة الصيرفى على أداء المعنى الكبير فى أبسط عبارة وأجملها وأدقها ، تتعادل قدرته على امتلاك زمام الموسيقى الحلوة الجميلة الموحية ، وتعادل قدرته على تقطيع القصيدة ، وفق مواقف التجربة ، وهذا التقطيع يحمل الكثير من صور الالتفات الذهني الحاد ، ومع تعديد القافية ، ليكون الروى دائما فى خدمة الموسيقى والصورة والأسلوب والمضمون .

والإلهام الرومانسى هو الذى يهب الشاعر دائما ملكة الابداع الفنى فى كل صوره الرفافة الهامسة الحالمة ، وهذا الالهام تجيش به تيارات عاصفة من الحب ، والجمال والطبيعة ، والألم .

والألم دائما هو النبع الثورى الذى يغذى تجربة الشاعر بأحلى الأنغام ، وبأجمل صور الإلهام .

ليس شعر الصيرفى صورة مكرورة من شعر شاعر آخر ، إنه صورة مستقلة ، نابضة بالحياة ، موحية وملهمة ، صورة فى غاية الطرافة والغرابة والتفرد . . فصوره وأخيلته ومضامينه وتجاربه ، كلها من فيض نفسه ووجدانه وذاته .

والصيرفى يقف دائما يتأمل الكون بعين محدقة ، إنه يمل التقليد ، ويأبى إلا أن يأتى دائما بجديد ، ومن ثم حمل شعره كل جمال الإبداع والخلق الفنى المتجدد .

وفى «شهر زاد» يصوغ الصيرفى من قصتها ملحمة شعرية ، تحمل طابع الشعر الإنسانى العالى .

ونحن نقرأ فيها للشاعر :

أنا أروى لك فى كل مساء
ما روى بعض الرواة القدماء
قصة ليس لها ظل انتهاء
سأداوى فيك جرح الكبرياء
سترى البسمة تعلو شفتيك
وترى الرحمة تندى من يديك
وترى الأمواج إذ تسعى إليك
بدعاء ألك منها ، لا عليك
إنها حقاً قصة ليس لها ظل انتهاء ،

ومن شهر زاد صاغ العقل الرومانتيكى أعذب أناشيده ، وأجمل وأحلى أنغامه ، التى هتف بها الناس ، وغناها المكدودون فى كل مكان .

وفى « الليلة الثانية بعد الألف » من « شهر زاد » يقول الشاعر على لسان « شهر زاد » :

رفرف الأمن على هذى المدينة
وسرت فى ليلها روح السكينة
لا انتقام ، لا اغتصاب ، لا ضغينة
فرحت مثلى وقد كانت حزينة

وهذه هى رؤيا الشاعر الرومانسى الأبوللى ، حسن كامل الصيرفى ، الرؤيا التى لا يملك « شهريار » معها إلا أن يصيح :

أنت فى حلم ، ولكنى أنا
لم تذق عيناى بعد الوسنا
ما الذى فى ليلة بد لنا
هل أنا أنت ، وهل أنت أنا ؟

إن هذه الحيرة ، وهذا الفكر الحالم المتألق ، هما سمة أصيلة فى الصيرفى ويا كم يأتينا الصيرفى فى شعره بالجديد كل الجديد .

لن نذكر لك تجارب الشاعر التى أوحت إليه بفنه ، والتى صاغ منها أحلى أناشيده .

ولن نذكر لك عاطفة الشاعر الحارة فى كل بيت من شعره ، هذه العاطفة التى جعلته يتعجب لقسوة الصخرة ، والماء حولها ثائر ، والموج عليها متلاطم .

لن نذكر لك تخيره لكل حرف وكل كلة ، وكل صورة ، وكل بيت من شعره . .

ولن نذكر لك كيف صاغ الصيرفى من موسيقاه وتجربته مما أجمل إلهاماته ، وأبدع إيماءاته وابداعاته[1] .

---

(١) راجع عن الصيرفى :
— مجلة أبولو (١٩٣٢ — ١٩٣٤)
— كتابى مذاهب الأدب (١٩٥٣) ص ٢٢٥ ومابعدها .

إن الصيرفى فى دقة تركيزه ، فى قوة إمساكه بعصا التعبير القوى العميق ، فى شرود خيـــاله ، فى حرارة عاطفته ، فى كل جانب من جوانب شاعريته المتألقة المضيئـة ، ليحمل دائماً لواء الأصالة والتجديد والإبداع .

• • •

— مدرسة شعراء أبولو د . محمد سعد فشوان ،

— جماعة أبولو ـــ د . عبد العزيز دسوقى .

— رائد الشعر الحديث ـــ محمد عبد المنعم خفاجى .

— الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ـ مصطفى عبد اللطيف السحرتى ـ

— وكتبا أخرى عديدة ، وعديداً من المقالات والدراسات كتبت عنه فى مناسبات متعددة ، وصدر كتاب عنه بعنوان الصيرفى وتيارات التجديد فى شعره تأليف د . محمد سعد فشوان .

الهمشرى شاعر القرية المهجورة

١٩٠٨ — ١٩٣٨

حياة الهمشرى الشاعر الشاب ابن الثلاثين ربيعا (١٩٠٨ — ١٩٣٨م) من شعراء أبوللو المجودين والذين طاوت شهرتهم فى كل أفق، وقد أصدر الشاعر صالح جودت ديوانه، كما كتب دراسة له، وكتب الدكتور الناقد عبد العزيز شرف كتابين عنـه، أولهما بعنوان «الهمشرى شاعر القرية المهجورة» وهو تفسير جديد لشعره وشاعريته. والثانى بعنوان: الرؤيا الإبداعية فى شعر الهمشرى.

ودراسة الشاعر هو مضمون هذا الكتاب الجديد، الممتع، وفيه يؤكد أن شعر الهمشرى رؤيا إبداعية وإنسانية سامية، وعميقة فى الوقت نفسه، مما لايمكن أن يقارن إلا بإنسانية العقاد أو شلى.

والكتاب يحمل فى طياته روح ناقد أصيل، وهو يحلل شخصية شاعر يترجم له، ويدرس عبقرية إبداعه وفنه، حتى ليمكن أن نقول: إنه ينهض بجناحين، هما: عمق الباحث وتحليل الناقد.. وتلك سمة أعطت لهـذه الدراسة بعدا كبيرا من الأصالة والجدية، وشمول النظرة النقدية..

وفى القسم الأول من الكتاب:

يتحدث المؤلف عن الهمشرى بين العقاد وشلى، حيث يعرض للميراث الشعرى الحديث ومدارسه العديدة:

* مدرسة البعث أو الإحياء أو الكلاسيكية الجديدة.

* مدرسة التجديد الرومانسية النزعة ، وهى فى رأى المؤلف مدرسة الديوان .

* جماعة أبولو .

ويقرر المؤلف أن الهمشرى انضم إلى جماعة أبولو هو وأصدقاؤه فى فجرهم وفجرها (ص ١٩) .

ويؤكد أن الهمشرى استهواه شعراء الطبيعة فى الشعر الانجليزى ، وهم الذين تؤثرهم مدرسة العقاد (ص ٢٧) ، وفى القمـة منهم : وردزورث ـ كيتس ـ شلى ..

وكان التيار القومى فى الأدب المصرى الحديث أثراً من آثار روح الرومانسية التى سادت مدرسة التجديد (ص ٦٩) ، والتى كان مذهبها فى التجديد الشعرى مذهبا إنسانيا مصريا عربيا (ص ٧١) ، وفى ذلك مايفسر اتجاه الشاعر الهمشرى نحو مدرسة العقاد (ص ٧٢) .

وفى القسم الثانى من الكتاب :

عرض المؤلف لقصيدة القرية المهجورة التى ترجمها الهمشرى من الشعر الانجليزى ، وهى من إبداع أوليفر جولد سميث (١٨٠٨ — ١٨٧٤ م) ، كما ترجمها أبو شادى ، ثم أخـيرا زاخر غبريال ، وعرض الدكتور لتأثر الهمشرى بهذه القصيدة ، تأثرا عميقا ..

كما عرض لملحمة شاطىء الأعراف للهمشرى التى تزيد على الثلاثمائة بيت ..

ولقصيدته (عاصفة فى سكون الليل) ، ولكل إبداعات الهمشرى وروائعه وخوالده . .

والهمشرى شديد الاحساس بالقرية المجهورة باعتبارها نموذجا إنسانيا، يميز البعـد الاجتماعى فى الرؤيا المصرية عند الشاعر ، كما أنه يترجم عن شخصية مصر وأثر الطبيعة المصرية والقرية المصرية فى الشعر الحديث عامة ، وفى شعر الهمشرى خاصة . . وكم كان الهمشرى يردد قوله : « كم يكون فى هذا الريف من مخترع عظيم وفيلسوف حكيم وشاعر متقن ملهم ، وموسيقى ماهر ، وزعيم ينفخ فى أمته روح الوطنية لو أنهم نالوا حظا من المدنية يفتح آفاق حياتهم ويدفعهم وراء أمثلتهم العليا » . .

والشعر عند الهمشرى مثله عند شلى والعقاد وظيفة اجتماعية شاملة يتسع لكل شىء . .

ويؤكد ناقدنا فى كتابه حقائق كثيرة ، يمكن أن تحتمل الرأى والرأى الآخر ، من مثل :

١ — أن جماعة أبوللو لم تكن مدرسة ذات فلسفة شعرية محدودة ، ونزعة فنية واضحة واتجاه شعرى معين بالمعنى المفهوم للمدارس الشعرية والأدبية ، كما كان صالح جودت يقول أيضا .

وهذا يمكن موازنته بالرأى الآخر الذى يقول إن الجماعة مدرسة شعرية حقيقية ، وهذا هو رأى السحرتى وأبو شادى وبعض الدارسين ، وبخاصة مؤلف هذا الكتاب .

٢ — الهمشرى كان فى لقاء مستمر مع مدرسة الديوان (ص ٦٩) .

واتجاهه كان نحو مدرسة العقاد (ص ٧٢) ، بل إن جماعة أبولو كان ينضوى تحت لوائها جناح عقادى ، منهم شاعرنا الهمشرى ..

ويذكرنا هذا برأى آخر يؤكد أن الأبولليين كانوا مستقلين فى شخصيتهم ومذهبهم الشعرى .

٣ — تقسيم المدارس المذكورة يمكن أن يحتمل الرأى الآخر ..

لقد عاش الهمشرى حياته القصيرة مع الطبيعة والنخيل والقرية ، وانضوى تحت لواء أبوللو كمدرسة للتجديد والابداع الشعرى ، ومات فى عمر الزهور ، ولكنه مات وهو يرتدى أردية الخلود .. رحمه الله رحمة واسعة .

اسماعيل سرى الدهشان

١٢ سبتمبر ١٨٨٤ — ٦ فبراير ١٩٥٠

شاعر من أبوللو ، رفعته عبقريته الشعرية إلى مكان كبير حتى عد من أعلام الشعر ، وكان يجيد الفرنسية إجادة تامة ، ويترجم عنها روائع الشعر الفرنسى إلى اللغة العربية .

وعائلات الدهشان منتشرة فى أنحاء مصر ، وهم حسنيون ، والظن أنهم يجمعهم أصل واحد .

وعاشت عائلة شاعرنا بين ميت أبى الحسين مركز سمنود ثم أجا حاليا ، وسمنود .

حصل على الابتدائية الفرنسية عام ١٩٠٥ ، وعمل مدرسا ثم صار شريكا فى مدرسة خاصة ، ثم عمل وكيلا لمكتب بريد أبو كبير عام ١٩٠٦ ، فمعاونا لبريد طنطا عام ١٩٠٩ ، ثم وكيلا لمكتب بريد أبى المطامير عام ١٩١١ ، ثم نقل لمكتب الإسكندرية ، حيث تألقت شاعريته ، واختير عضوا فى جمعية المواساة ، ونادى الموسيقى العربية الذى ترجم للفرقة التمثيلية فيه (ليالى الفريدى موسيه) (١٨١٠ — ١٨٥٧) شعرا ، وقد كتب فيه بهذه المناسبة شاعر النيل حافظ إبراهيم شعرا فقال :

لك القلم الذى راض المعانى
فأبرزها وقد لبست حلاها
جلوت به (ليالى الفريدى) فطالعها الوجود كما جلاها

وفى الإسكندرية اتصل بالأمير عمر طوسون وصار شاعره .

ولم يلبث أن نقل وكيلا للبريد فى الصعيد عام ١٩١٨ وتوفيت أمه صغيرا ، وتوفى أخوه عام ١٩١٩ ، ولرعاية أسرته نقل إلى بريد سمنود ، وفيها أنشأ ناديا للأدب .

واختير عضوا فى رابطة الأدب الجديد التى أنشأها ورأسها د . أحمد زكى أبو شادى عام ١٩٢٩ ، ولخلاف إلى شادى مع الأعضاء تركها حينا ، ثم عاد لرياستها ، ونقل مقرها إلى المحفل الماسونى ، الذى كان يشرف على الثقافة فيه الدكتور على العنانى ، ثم نقلها أبو شادى إلى عمارة تيرنج ، وانضم إليها الشاعر عبد الله عفيفى ،

كما اختير عضوا بنادى الثقافة ، وفى مجلس إدارة جماعة أبوللو ، وفى اللجنة التنفيذية للجماعة ، ونشر شعره فى مجلتها (١٩٣٢ — ١٩٣٤) ، كما نشر شعرا كثيرا فى مجلة نشر الفضائل الإسلامية (١٩٣٣—١٩٣٨) .

ونقل وكيلا لبريد الجيزة ، ومفتشا مساعدا لبريد الزقازيق . . ثم ترك الخدمة عام ١٩٣٩ وعاد إلى بلدته سمنود .

طبع له ديوان (أنت وأنا) الذى ترجم شعرا من شعر الشاعر الفرنسى جيرالدى ، كما طبعت له الهيئة العامة للكتاب ديوانه (بين الجد والجيد) .

صدر له جزءان من ديوانه (ديوان الدهشان) .

ترك دواوين عدة مخطوطة منها :

— ملحمة شعرية عن الخليفة عثمان بن عفان .

— ملحمة شعرية عن الخليفة عمر بن عبد العزيز .

— « « إسلامية في السيرة النبوية الشريفة .

— ديوان شعر صوفى .

— ديوان من الشعر الاجتماعى والوطني .

— « فى المدائح النبوية .

— « أغانى بيليتس الشاعرة الاغريقية .

— قصة نثرية درامية عنوانها (هاجر) .

— مسرحية نثرية موضوعها تعدد الزوجات .

— قصص الأنبياء (شعرا) .

— ترجمة قصائد من ديوان هوجو (شعرا) .

— ترجمة البحيرة للامرتين (شعرا) .

— ترجمة الكوميديا الإلهية لدانتي (١٢٦٥ – ١٣٢١) .

— كتاب فى العروض والقوافى .

وغير ذلك :

أهدى مكتبته الحافلة لمعهد سمنود الدينى قبل وفاته ، توفى فى ٦ فبراير ١٩٥٠

وكتب عامر محمد بحيرى الشاعر الأبوللى الشهير يقول فى مقدمة « ديوان المجد والجيد » للشاعر الدهشان الذى طبع على نفقة المجلس الأعلى للفنون والآداب :

الشاعر إسماعيل سري الدهشان هو أحد رواد الحركة الشعرية في المرحلة الهامة من تاريخنا الأدبي ، التي كان في طليعتها شوقي وحافظ ومطران ومحرم ونسيم وغيرهم . . وهو من الشعراء المكافحين الذين وصلوا بجدهم إلى مرتبة معترف بها بين أقرانهم هؤلاء . . وإن لم تنل أسماؤهم ما ناله الأولون من ذيوع ، وشهرة . . ولكننا نجد اسم الدهشان يظهر ، في المنتديات والجمعيات الأدبية والثقافية منذ أوائل العشرينات من هذا القرن . عندما استقر به المقام في القاهرة . بعد أن تنقل — كموظف في البريد — بين طنطا والمنصورة والاسكندرية ، وبني سويف وغيرها . . وتتوج جهود الدهشان الأدبية ، باختياره عضواً بمجلس إدارة جماعة ابولو الشعرية ، التي رأسها أمير الشعراء أحمد شوقي في أكتوبر ١٩٣٢ جلسة واحدة ثم انتقل إلى رحمة الله . فتم انتخاب خليل مطران رئيساً لها ، والدكتور علي العناني وكيلا . . كما انتخب الدهشان عضوا بالمجلس في المحل الشاغر (أنظر مجلة أبولو — عدد نوفمبر ١٩٣٢) . ولما كان الشاعر ضليعاً في اللغة الفرنسية والأدب الفرنسي ، فقد رأينا له من الآثار الشعرية الجميلة ، في هذا العدد الثالث وحده من أبولو ، حصيلة طيبة هي :

١ — ليالي الفريد دي موسيه ، مع نبذة عن تاريخ الشعر الفرنسي .

٢ — مقطوعة بعنوان « ما صنعت الآن فيها » لمدام مارساين ديسبور فالمور .

وهي تعريب لقطعة عن الفرنسية أيضا يقول في مطلعها :

كان لي عندك قلب   وأنا قلبك عندي
بدلا قلب بقلب   عوضاً ، سعد بسعد . .

٣ — خاف الفلالة ، قصيدة من الشعر الوصفى .

٤ — الفرفور والنحلة والوردة للشاعر الفرنسى أرنولت (١٧٩٦ — ١٨٧٤) وهى ترجمة أيضا لمقطوعة للسنة الثالثة الابتدائية .

أما ليالى ألفريد دى موسيه ، فهى ملحمة طويلة ، تبلغ أبياتها فى الترجمة العربية للدهشان أكثر من ستمائة بيت . . وهى مقسمة إلى أربع ليال : ليلة مايو ، وليلة أغسطس ، وليلة أكتوبر ، وليلة ديسمبر . . ويجرى الحوار فيها بين شخصيتين هما : آلهة الشعر ، والشاعر . . وبعد أن ينتهى بينهما هذا الحوار الطويل ، تظهر فى نهاية الليلة الأخيرة شخصية ثالثة هى شخصية الطيف . . وهو طيف « الوحدة » .

فى أول ليلة ، وهى ليلة مايو . . يبدأ الحديث بين الشاعر وآلهة الشعر . . هكذا . . آلهة الشعر :

أيها الشاعر خذ قيثارتك وأنلني قبـــلة المستمتع
زهرة النسرين فجراً أصبحت تفتح الأكمام عنـد المطلع
والربيـع ابن مساء واحـد فيـه هبت نسمات للوضـع
رصدت فى الروض أطيار الربى فى انتظار الصبح لما تهجع
وثوت فى العشب حين اخضوضرت
صفحة الروضة مثـــوى المولع
أيها الشاعر خذ قيثارتك وأنلنى قبلة المستمتع !
ويجيب الشاعر فيقول :

لقد أوحش الوادى بتلك الدجنة تخفت مطاف الطيف فى ليل وحشتى

هنـاك له ظـــل بأرجاء غابة   طفا الظل إذ يعقد من جوف خضرة
له قدم تجتث أعشاب روضة   فيبنا لغريب الوهم يدعو لخيفتي
يلوح ويخفى ، يا لذعرى ولهفتي

ويمضى الحوار الجميـل قدماً ، بين الشاعر وآلهة الشعر ، فى الليالى الأربـع . . حتى تـكون الليلة الأخيرة ، ليلة ديسمبر . . حيث يصيب الشاعر الأرق وهو فى غرفته ، وإذا به يرى شبحا لصبى حزين يلبس ثوباً أسود . . وهو يشبهه كأخيه ، فيخاطبه الشاعر خطابا طويلا ، يسميه فيـه بالأخ ، وبطيف الشباب . .

وفى النهاية يرد عليه الطيف قائلا :

أخى مهلا ، أبوك أبى   ولست ملاكك الحارس
أعيش ولا أرى صحـبى   ولست بحظك العابس

* * *

الشاعر محمد مصطفى حمام

١٨ من أغسطس ١٩٠٦ — ٢٣ مارس ١٩٦٤

فقدنا شاعراً طالما اهتزت له الجماهير ، وأنصتت له ولروائعه الآذان ، وسحرت بطبعه وبلاغته وسحره كل الأذواق . . شاعراً غنى للحياة وللوطن وللعروبة والأيام تضع الشوك فى طريقه . . ولكنه كان ملء الحياة ، وملء السمع والبصر ، وملء أندية الأدب والصحافة ، لم تتخل عنه بسمته وبشاشته فى يوم من الأيام ، ولم يفارقه إيمانه فى زحمة الخطوب والآلام .

كان الشاعر الخالد محمد مصطفى حمام يرتجل الشعر ارتجالا ، والشعر عنده هو العذوبة والبساطة والطلاقة الفنية التى لا حد لجمالها وسحرها . . وكان الشعر عنده التزاماً بالقيم الرفيعة ، وبالعقيدة الخالدة ، وبالهدى المحمدى العظيم ، وكما يقول :

والشعر إن تكن العقيدة أصله ... فهو الجنى والورس والريحان
كن شاعراً وانطق بهدى محمد ... يغز المشاعر صوتك الرنان(١)

والشعر عنده التزام بالعمودية ، ومحافظة على الموسيقى وروح الشعر والتراث ، ومن ثم خاطب الذين حاربوا العمودية فى قوة وإصرار ، يقول من قصيدته « الشعر ولغة القرآن » :

ثاروا على الشعر إذ خافوا قوافيه
وأنكروا منه أنماطاً وأوزانا

(١) من قصيدته « محمد إقبال » ص ٤٨ من الديوان .

وسموا العجز تجديداً ومقــدرة وصوروا المسخ والتشويه إتقانا

وقد نظم الشاعر قصائده فى الوطنية وفى الإسلاميات وفى العروبة ، وفى الرثاء ، والاجتماع ، والاخوانيات. وغير ذلك . ولا يمثل ديوانه المطبوع إلا جزءاً صغيراً من شعره .

والشاعر محمد مصطفى حمام يبارك وطنه فى جهاده ونضاله فى كل مناسبة ، ويبارك وحدة العروبة ، بل والوحدة الإسلامية فى أوسع نطاقها ، ويبارك السلام ويدعو إليه ، يقول : من قصيدته « السلام » :

يا جزيل العطف والانعام هب لنا العيش فى ظلال السلام
رب إن السلام من أسمائك والرضا والأمان من آلائك
إنما السلم خــير ما نرتجيــه إنما الحرب شر ما نتقيــه
رب هيء لنــا الحيــاة أمانا وأقم حولنــا سياج السلام

وهو يؤمن بحضارة الشرق ، ويكفر بحضارة الغرب . . وفى قصيدته « الدين والدائن - ص ٩٥ من الديوان - يصف حياته مع الفقر والديون وصفاً رائعاً ، وفى قصيدته « ثم اهتديت » - ص ٢١٢ من الديوان - وقصيدته « علمتنى الحياة » - ص ١٤٩ - يتحدث عن تجاربه فى الحياة حديثاً عميقاً له خطره ووزنه . وفى القصيدة الأخيرة يقول :

علمتنى الحيــاة أن حيــاتى إنما كانت امتحاناً طــويلا
« « أنى إن عشت لنفسى أعش حقــيراً ذليــلا
« « أنى مهمــا أتعــلم فلا أزال جهولا

ومواهب حمام فى الصحافة وفى المقالة الصحفية وفى الأدب والمقالة

النقدية ، وفى الفكاهة والمرح ، وفى الرواية والحفظ للتراث . . مواهب جليلة لا حد لروعتها وعظمتها .

وكان حمام إذا تحدث فى الأندية الأدبية التى كان يرتادها لم يستطع أحد أن يزاحمه أو ينافسه . . وكان بمحصوله الكبير من الرواية والحفظ لأوابد التراث ، وخوالد القصائد ، وأماثيل عيون الأدب ، أوحد زمانه ، وفريد عصره .

وقد عاش فى فترة عاش فيها معه أعلام الشعر ورواده الكبار . ومع ذلك بقى شعره ، وبقى اسمه لامعاً مشرقاً وسط الأسماء اللامعة الكبيرة . . لأنه كان ابن الموهبة وابن العبقرية ، وابن الأصالة الفنية فى أروع صورها وأكبر حدودها .

وماذا نقول عن الشاعر حمام ، وقد مثل فى طفولته وفى شبابه ، وفى رجولته ، كل أدوار التفوق الذهنى والأدبى والفكرى . . ؟

فماذا أقول عن شاعر ، أحب كل أدباء مصر ، وكل أدباء العرب ، أن يروه وأن يسمعوه ، وأن يجلسوا فى مجلسه ، وسعوا إليه ، وسعى إليهم ، فعرفوا فيه وجه مصر الشاعرة ، ووجه القاهرة الأصيل ، وما أدراك ما القاهرة ؟ وعرفوا فيه وجه العروبة العريق النبيل؟

لكم سهرت معا فى أعلى منتديات الأدب ومجالسه ، فكان ساحراً ، كما كان شاعراً ، وكما كان ناثراً ، وكما كان راوية يسحر برواياته المأثورة عقول السامعين ، ويخلب ألبابهم .

وديوانه مطبوع فى القاهرة وفى جدة وشعره المفقود كثير .

وكتب د. عبد العزيز شرف فى الأهرام بمناسبة ظهور ديوان حمام يقول : إن قصيدة حمام فى رثاء السياسى الراحل إبراهيم دسوقى أباظة فى ٢٣ يناير ١٩٥٣ ، والتي جعل عنوانها « أبو الشعراء » هى مثل من أمثلة الوفاء ، الوفاء الذى يعتبر مفتاحا لشخصية الشاعر والذى سأل ربه أن يلهمه إياه دائما . . قال حمام :

أقسمت بعدك لا أبكى على أحد
وهان عندى أعز الأهل والولد

كم نكبة دهمتني كنت أهزمها
بالصبر حتى دهتنى نكبة الأبد

فجيعتي فيك لا وهمى ألم بها
لما مرضت ولا مرت على خلدى

وقد أكون على بعض الوفاء إذا
ما أطفأت بصرى أو أحرقت كبدى

يا نفحة من رحاب الله مرسلة
للناس أحرزت منها حصة الأسد

* * *

محمود أبو الوفا

١٩٠١ — ٢٧ يناير ١٩٧٩

— ١ —

عاش الشاعر أبو الوفا حياته للحرية وللانسان يذيب فى شعره همومه وكل مالاقاه فى حياته من حرمان .

يقول الشاعر محمود أبو الوفا فى ديوانه «أشواق» الصادر عام ١٩٤١ :

تحرر تحرر ما لعيشك قيمــة
إذا أنت لم تجعله عيشاً محرراً
وما قيمة الدنيا إذا أنت عشتها
وما لك إلا أن تطيع وتؤمرا
أحبك يا إنسان أعلى من الذرى
وأقرب منهــا للسماء وأطهــرا
تحرر وحبب كل من قد رأيته
بما قد رآه فيك أن يتحــررا

فتراه يهتف فى شعره بالحرية ، ويغنى لها ، ويدعو إليها ، منذ شبابه الباكر ، ومنذ اعتلى منبر الأزهر فى نضارة صباه خطيباً من خطباء الشعب فى ثورة ١٩١٩ !!

ويقول فى قصيدته الرمزية « الأسد السجين » :

أهذا الليث ذو البطش الشديد

يسام الضيم فى القفص الحديدى
عجبت لمنطق العصر الجديد
أجل يا منطق العصر المجيد
ألا يا ليث لست أقول صبرا
فقد جربت هذا الصبر دهرا
فلم ينفع وزاد العيش مرا
ولكن إن قدرت وكنت حرا
فحطم كل هاتيك القيود

إنه يحب الحرية ومن أجلها كره كل القيود وحاربها ، حتى ليقول من قصيدته (أريد) من ديوان « أشواق » :

أريد العيش مثل الطير حراً
طليقاً لا تغلله القيود
أريد أفك عن نفسى قيوداً
يقاد بها على الخسف العبيد
أريد لهذه الدنيا سلاماً
أريد الحب فى الدنيا يسود

وفى قصيدته من الأعماق التى نشرتها المقتطف عام ١٩٣٠ ، ونشرت فى ديوانه « أنفاس محترقة » الصادر عام ١٩٣٢ يقول :

أصبحت من خوف القيود
أخاف وسوسة القلائد

يا قلب حسبي إن أمت
في الحب أنك فيــه خالد

وهكذا كان الشاعر في الثلاثينات والأربعينات يتحدث عن الحرية والحب كما كان يتحدث عن الإخاء والسلام والعدالة الاجتماعية في الإسلام، ففي نشيده (القرآن) يقول :

ليس في الإسلام من معنى السلام
أن نقر الظـلم أو نستسلما
حين يرضى مسلم أن يستضام
فهو لا يحسب فينــــا مسلما

وفي نشيده (الزكاة) يقول ؟

أحق على الأغنياء
رعاية الفقراء
حتى يقوم البناء
على أساس الإخاء

وفي قصيدته (تسمعون الآن) من ديوانه « أنفاس محترقة » يقول : في تهكم وسخرية ؟

تسمعون الآن شكوى الفقراء
دائماً يشكون ظلم الأغنيـاء
ما الذي تشكونه يا جهلاء
عندنا الراديو وسهرات المساء
وليالي أم كلثــوم الوضـاء
ليلة واحدة فيها الغنــــاء

عن غـذاء وكساء ودواء
بل عن السودان أيضاً والجلاء

وما أحلى حديث هذا الشاعر الإنسان الثائر عن القيم الرفيعة ، الشاعر الذى ارتفع على آلامه ، وهزم مصائبه ، وتابع بثورته الروحية العارمة دعوته إلى المثالية وإلى الإيمان بطاقة الانسان ، وبقدوته على مواجهة الأيام .

ومنذ كسرت ساق الشاعر عام ١٩١٤ ، وهو يذوب آهاته فى شعره ، ويعلن الثورة على حياته وعلى من حوله ، فنسمعه يقول :

أحب أضحك للدنيا فيمنعني
أن عاقبتني على بعض ابتساماتى

لقد أشعل الشاعر الثورة فى قلبه ، ثم أشعلها فى قلوب الناس ، ومن أجل ذلك ثار على كل الأغلال والأصفاد ، أغلال الحياة ، وأغلال الفن ، فهو يكره الصنعة ، وهو يكره الزيف ، وهو شاعر البساطة والموسيقى وعذوبة التعبير ، وجمال الصورة : ودقة الخيال . . وهو يكره أسلوب التعبير المتفاصح المعقد ، فيهجره ، إلى الأسلوب العصرى الرقيق ، الذى تتذوقه الناس وتحبه الجماهير .

وديواناه أو ملحمتاه ـ النشيد وعنوان النشيد ـ عصارة تجاربه ومثله ، وفيهما يجمع بين الواقعية و المثالية ، ففى النشيد يبث القوة فى النفس ، ويدعو إلى الطموح والاعتداد ، وإلى وجود إنسان جديد سماه (إنسان الفصل الخامس) يحمل أعباء الحياة المادية والروحية معاً ليكون دائماً هو خليفة الله فى الأرض؟

وعنوان النشيد ملحمة شعرية ممزوجة بتأمل فلسفى ، وهى اتجاه موضوعى يبشر بالحرية والاختيار والاستقلال والثقة بالإنسان وبطاقاته الكامنة العجيبة .

وقد قامت على فلسفة ملحمة إنسان الفصل الخامس دار الرياضة النفسية بمدينة المقطم عام ١٩٥٥ وهى جمعية تربوية كانت تدعو إلى التربية الروحية .

— ٢ —

لقد خلف الشاعر محمود أبو الوفا ابن الدقهلية أربعة عشر ديواناً مطبوعاً ، وديواناً مخطوطاً ، وبعض تحقيقات لكتب من التراث ، وبعض القصص والمحاضرات والمقالات .

وكتب عنه أعلام النقاد والأدباء والكتاب فى شتى أنحاء العالم العربى ، ولفيف من أدباء المهجر ، ومن المستشرقين .

وكان علماً من أعلام الشعر العربى المعاصر ، بعد شوقى ، حافظ على جميع القيم الفنية الرفيعة لشعرنا العربى فى مجال الإبداع والتجديد ، محافظته على عمود القصيدة .

وقد نظم الشعر النفسى والتأملى والوطنى ونظم الأغنية الدينية والقومية والانسانية والغزلية . وشهر بها حتى صار من روادها .

وقد كرمه الشعراء عام ١٩٣٢ ، وأسهم شوقى أمير الشعراء فى تكريمه بقصيدة يقول فيها :

البلبل الغرد الذى هز الربى
وشجى الغصون وحرك الأوراقا

خلف البهاء على القريض وكأسه
نسقى بعذب نسيبه العشاقا
سباق غايات البيان جرى بلا
ساق ، فكيف إذا استرد للساقا

ومات الشاعر الذى طالما شكى الحرمان بعد أن كرمته الدولة فمنحته جائزة الجدارة وشقة جديدة فى مدينة نصر ، وبعد أن استرد أنفاسه من مسيرة الثمانية والسبعين عاماً العجاف . . مات وكأنه يردد شعره :

يارب أنت خلقتنى
وكما تشاء خلقتنى
صورتنى فى صورتى
وأنا كما صورتنى
أتراك كنت أتيت بى
ما لم تكن لتحبنى

ويهتف بقوله :

إذا ضم الثرى جسدى وراحوا
وخلونى رهينا فى التراب
فإنى سوف ألقى الله ربى
بقلبى وجبى للكتاب

— ٣ —

ومحمود أبو الوفا شاعر له منزلته في الشعر المعاصر في مصر والعالم العربي على مدى ثلاثة أجيال ، وقد عاش حياته الحافلة . في ظلال ثلاث ثورات ثورة ١٩١٩ التي غذاها بشعره الثائر في شبابه الباكر ، وثورة يوليو ١٩٥٢ التي لباها في شيخوخته المثمرة النافعة فأكرمته وكرمته ، وثورة ١٥ مايو ١٩٧١ م التي حياها في كهولته الحكيمة المجربة للناس والأيام والحياة .

أحب الشعر للشعر وأحبه وأحب الجيد منه في جميع العصور من جميع المذاهب ، ومن أي الألوان والأغراض ، محافظا على عمود الشعر العربي ، ممتزا بالقيم الفنية الرفيعة ، في مجالي الإبداع الشعري والعبقرية التعبيرية .

قرأ لكل المتقدمين والمتأخرين والعصريين والمعاصرين ، مؤمنا بروح التأثر ، نابذا قيود التقليد والالتزام والتبعية .

وحرص الشاعر في شعره على نزعة إنسانية فريدة ، قوامها الحب والأمل في سعادة الإنسان ، نلحظ ذلك . في قصيدته الايمان . . التي كتبها عام ١٩٣٠م ، وقصيدة (أمواج) وقد نظمها عام ١٩٥١م وملحمته المشهورة (عنوان النشيد) التي نشرت عام ١٩٥١ م أيضا ، وقصيدته النشيد . وقد كتبها عام ١٩٥٢ ، وفيها الدعوة إلى الحب والانسانية والشفافية . وقد أجمل أبو الوفا هذه الفلسفة في بيت من شعره :

حسبي إذا الحب أضناني فمت هـوى

إن يذكروني قالوا كان إنسانا

ومن أجل ذلك عرفه الناس شاعرا يغني بقصائده في غابات البرازيل والأرجنتين كما يغني به في هضاب الجزيرة العربية وصحاريها . وتتناهى شهرته إلى ديار الشام وإلى دنيا العرب من الخليج إلى المحيط ، ويترجم شعره إلى اللغات الأوربية ، كل ذلك لأنه شاعر القيم الفنية الرفيعة ، وشاعر الموسيقى الحلوة العذبة ، وشاعر الحب والانسانية والإنسان والداعى إلى الاخاء والحرية .

وقد ارتفع الشاعر محمود أبو الوفا على آلامه ، وصعد بعصاميته وموهبته إلى مجال المجودين . والمجددين : ونظم الشعر النفسى والأغنية الانسانيـــة والدينية والقومية والغزلية التى برز فيها حتى ليعتبر رائدا من روادها كما نظم الشعر الوطنى والتأملى ، وشعره مرآة لنفسه وحياته ، فهو يكشف عن نفسه الحرة المتحررة ويعبر بصدق عن واقعه النفسى .

وأبرز سماته الأباء وحرية التفكير وحب الصداقة — ويدور حول هذه السمات ديوانه عنوان « النشيد » الذى أراد منه بث القوة فى النفس وتجديد الفهم ونشر الطموح والاعتداد والدعوة إلى وجود إنسان جديد سماه فى قصيدته الطويلة (النشيد) إنسان الفصل الخامس .

وفى ملحمة عنوان النشيد روح إيجابية صاعدة جديدة واتجاه موضوعى يبشر بالحرية والاختيار والاستعلاء والثقة بالانسان وبطاقاته الكامنة العجيبة فى الدعوة إلى القوة .

ويعتمد فى أسلوبه التعبيرى على حيوية اللفظ وعلى الموسيقى والعناية بالصور الجميلة التى تتجلى فى طموح العزة والتى تنظر إلى الضعفاء حيث لاتقرن القوة بالقوة .

— ٣ —

والشاعر محمود مصطفى أبو الوفا — وشهرته : محمود أبو الوفا .

من مواليد عام ١٩٠١ م[1] — بقرية الانشاصية من قرى مركز أجا دقهلية ، عاش عصاميا يبنى نفسه بنفسه ودرس علوم العربية والدين فى معهد دمياط وبترت ساقه عام ١٩١٤ وفيها توفى والده ، ثم جاء إلى القاهرة وتردد على حلقات الأزهر وتتلمذ على شيوخها ولم يلبث ان صار أحد خطباء الأزهر فى ثورة عام ١٩١٩ وفرغ أبو الوفا للشعر وعاش له ونبغ فيه .

وسافر فى يونيو ١٩٣٢ م إلى باريس وإيطاليا للعلاج بعد أن بترت ساقه وصار يعتمد على عصاه وذلك على حساب الحكومة المصرية .

وكرمه الشعراء والأدباء فى مايو ١٩٣٢ م . فأقاموا له حفلا كبيرا ، وكانت لجنة تكريمه مؤلفه من داود بركات رئيس تحرير الأهرام ، أحمد زكى باشا شيخ العروبة ، والعمروسى بك أول نقيب للمعلمين ، وإبراهيم زكى مدير التعليم بوزارة الأوقاف ، ويوسف أحمد كبير مفتش الآثار ، وفؤاد صروف رئيس تحرير المقتطف ، والدكتور زكى مبارك ، اليعقوبى شاعر فلسطين ، الدكتور / أحمد زكى أبو شادى ، وتولى سكرتيرية اللجنة

---

(١) فى كتاب الأدب العربى الحديث ومدارسه ص ٣٠٣ جـ ٢ أن مولده فى ٢٤/٢/١٩٠٠

الأديب الأستاذ كامل كيلانى ، واشترك أمير الشعراء أحمد شوقى فى حفل تكريمه بقصيدة جاء فيها :

البلبل الغـــرد الذى هز الربى
وشجى الغصون وحرك الأوراقا
خلف البهــاء على القريض وكأسـه
فسقى بعـذب نسيبـه المشـاقا
سباق غايات البيــان جـرى على
ساق فكيف إذا استرد الساقا

وكان شوقى قـد أوصى بأن لا ينشر شعره بعـد وفاته إلا بمراجعة محمود أبو الوفا اطمئنانا من هذا الشاعر العظيم إلى ذوق أبى الوفا المرهف ، ومقدرته الأدبية الفائقة . وقام الشاعر فى الثلاثينات بتأليف أناشيد شعرية لوزارة التربية والتعليم (المعارف أنذاك) ، وعمل محررا لباب المكتبة فى مجلة المقتطف العتيدة ، كما عمل محققـا فى القسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، ومحققا بلجنة التأليف والترجمة والنشر حيث حقق لها بعض كتب التراث .

وكذلك أشرف لشركة مطبعة مصر على ما تنشره من كتب التراث والأدب فى الفترة من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٥٩ م .

وأبو الوفا من مؤسسى رابطة الأدب الجـديد — وانضم لجماعـة أبولو الشعرية .

وقد قامت على ملحمة إنسان الفصل الخامس جمعية دار الرياضة النفسية المبنية على أسس نظرية إنسان الفصل الخامس عام ١٩٥٥م بمدينـة المقطم ، وهى جمعية تربوية تدعو للتربية الروحية .

وقد حصل الشاعر على وسام الاستحقاق عن الدرجة الأولى للفنون والعلوم عام ١٩٦٧م .

وقد غنى بشعره : محمد عبد الوهاب ، وزكريا أحمد ، والشيخ على محمود ، وسواهم ..«وأغنية» «عندما يأتى المساء» مشهورة .

وللشاعر أبو الوفا دواوين شعرية رديدة ، هى :

١ — ديوان الحرية (١٩١٩) - مجموعة قصائد وخطب وطنية ألقيت على الجماهير فى الأزهر الشريف خلال ثورة ١٩١٩ م . وقد طبع ووزع هذا الديوان سرا .

٢ — أنفاس محترقة طبعه أولى ١٩٣٢ م - مطبعة دار الهلال .

٣ — « « « ثانية ١٩٣٢م مع إضافات - ١٩٥٠م - مطبعة مصر .

٤ — ديوان الأعشاب - ١٩٣٤ - مطبعة الوفاء بالقاهرة .

٥ — ديوان أشواق - ١٩٤١ - مطبعة مصر .

٦ — عنوان النشيد - ١٩٥١ م - مطبعة مصر - ملحمة شعرية ممزوجة بتأمل فلسفى .

شرح فيها الشاعر مفاهيمه حول القوة والحياة والدين والايمان والتعليم والسلوك ، والحب ، والعمل والثورة .

٧ — إنسان الفصل الخامس - ١٩٥٤م - مطبعة مصر - يتضمن هذا الكتاب ملحمة: عنوان النشيد وملحمة النشيد التى وسم فيها الشاعر شخصية

الانسان القادر على الحياة وسط المتضادات المختلفة ، والساعى إلى تحمل أعباء الحياة المادية والروحية مما ليكون دائما هو الانسان خليفة الله فى الأرض .

٨ — ديوان شعرى — ١٩٦١م — دار المعارف بمصر — يتضمن قصائد فى الوطنيات والقومية والغزل ، وفلسفة الحياة ، والغنائيات ، إلى جانب بعض المسرحيات الشعرية .

٩ — ديوان شعرى ١٩٧٣م — مطبعة — وزارة الأوقاف المصرية — وهو مجموعة مختارة من القصائد قدم لها وزير الأوقاف المصرية آنذاك وهو الدكتور عبد الحليم محمود :

١٠ — أشعارى فى الحب : — طبع دار المعارف .

١١ — ديوان أناشيد دينية ١٩٣٧ م — مطبعة مصر — مطبعة أولى :

١٢ — « « « مع الحانها الموسيقية فى طبعتين ١٩٥٤ م — مطبعة مصر .

١٣ — ديوان أناشيد دينية عسكرية ١٩٣٩ م مطبعة مصر .

١٤ — « « « وطنية ١٩٥٦ م — مطابع دار الكتاب العربى بمصر .

١٥ — أناشيد للأطفال فى موضوعات اختارتها لجنة من وزارة التربية والتعليم — وطبعت فى كتاب المحفوظات المختارة الذى صدر للأستاذين :

عباس حسن ، وأحمد عباس عام ١٩٣٤ . .

وفى تحقيق التراث لأبى الوفا تحقيقات عديدة ، وهى :

١ ـــ ديوان الهذليين ـ القسم الثانى ـ ١٩٤٨ ـ مطبعة دار الكتب المصرية .

٢ ـــ ديوان الهذليين ـــ القسم الثالث ـــ ١٩٥٠ م مطبعة دار الكتب المصرية .

٣ ـــ ديوان الشوقيات الجزء الثالث ١٩٣٣ م دار التأليف والترجمة والنشر .

٤ ـــ جمال المرأة فى القصيدة اليتيمة ١٩٣٢ م ـ مطبعة وادى الملوك ،

وفى القصة له :

١ ـــ قصة مملكة النساء ١٩٥٠ .

٢ ـــ قصة الصداقة للجميع أو التلاميذ الثلاثة ١٩٥٠ م

٣ ـــ هؤلاء أبنائى ـ تحت الطبع ، وهو يمثل فلسفة الشاعر فى الحياة من خلال سيرته الذاتية .

وله مقالات ومحاضرات عدة ، منها :

١ ـــ فى يناير ١٩٣٥ م فاز الشاعر بالجائزة الأولى فى مسابقة شعرية نظمتها الإذاعة المصرية واشترك فيها أكثر من خمسمائة شاعرا وأصبح الشاعر بمقتضى هذه المسابقة مذيعا بالقسم الأدبى للاذاعة المصرية (١٩٣٥ـ ١٩٤٠م) حيث أذاع فى تلك الفترة نحو ثلاثين محاضرة فى الأدب ـ كما قدم برنامجا جديدا بعنوان شوارع القاهرة .

٢ — تعريف ومقدمة لرواية الكاتب الفرنسى أناتول فرانس وعنوانها .

«جريمة سلفستر» دى بونار — ١٩٣١ — المطبعة العصرية .

٣ - مقالات أدبية ونقدية نشرت فى مجالات : المقتطف — قافلة الزيت . — السياسة الأسبوعية .

— ٦ —

وقد تناول أعمال الشاعر بالنقد والدراسة كبار النقاد والباحثين ومن بينهم .

١ — أحمد زكى شيخ العروبة . . . راجع مجلة الأخاء ١٩٣٤ .

٢ — د / محمد حسين هيكل باشا (راجع افتتاحية جريدة البيان القومية ٢/٤/١٩٣٣ م .

٣ د / طه حسين راجع جريدة الوادى ١٩٣٥ م ، وحديث الأربعاء الجزء الثالث :

٤ — د / على العنانى — راجع البلاغ ١٩٣٥ م .

٥ — مصطفى صادق الرافعى — راجع الجزء الثالث من وحى القلم .

٦ — د / محمد مندور — الحلقة الثالثة من كتابة الشعر المصرى بعد شوقى .

٧ — عباس محمود العقاد — راجع صحيفة الأساس يناير ١٩٥٢ م ، ومجلة قافلة الزيت .

٨ ــ البشبيشى ـ راجع البلاغ عام ١٩٥٧ م .

٩ ــ حسن القاياتى عبقرية أبو الوفا الأهرام ١٩٣٢ .

١٠ د / أحمد زكى أبوشادى فى مقالات عدة نشرها فى مختلف المجلات .

١١ ــ إبراهيم عبد القادر المازنى ـ البلاغ ١٩٣٦ م

١٢ ــ فؤاد صروف ـ رئيس تحرير المقتطف ـ وهو الذى قدم الطبعة الأولى من ديوان الشاعر « أنفاس محترقة » عام ١٩٣٢ م .

١٣ ــ مصطفى عبد اللطيف السحرتى فى كتابه ، شعراء مجددون .

١٤ ــ د / محمد عبد المنعم خفاجى فى كتابه ، الشعر العربى الحديث ومدارسه ، وفى كتاب « مواكب الحياة » .

١٥ ــ د / شوقى ضيف فى كتابه ، دراسات فى الأدب العربى المعاصر فى مصر .

١٧ ــ د / ماهر حسن فهمى .

١٨ ــ الأستاذ / سيد قطب ـ الأهرام ـ مجلة الفكر المصرية ١٩٣٤م .

١٩ ــ الأستاذ / كامل كيلانى .

٢٠ ــ الأستاذ / كامل الشناوى .

٢١ ــ وديع فلسطين فى مجلة الأديب البيروتية (عدد ١٩٥٢/٦/٢١ م :

٢٢ ــ الأديب العراقى وحيد الدين بهاء الدين فى كتابه (شخصيات معاصرة) ٩

٢٣ ــ الأستاذ / شوقى أمين .

٢٤ــ الأستاذ / عباس خضر .

٢٥ــ الأستاذ / محمد زكى عبد القادر :

٢٦ــ الأديب / حليم مترى ــ جريدة الوادى .

٢٧ــ الأستاذ أحمد أبو العز سكرتير أمير الشعراء فى كتابه « اثنا عشر عاما فى صحبة أمير الشعراء أحمد شوقى » .

٢٨ــ أحمد زيتون فى كتابه « إنسان الفصل الخامس » .

٢٩ــ إبراهيم العريض من أدباء البحرين فى كتابه « الشعر وقضيته » وفى بعض كتبه .

٣٠ــ الشاعر المهجرى ميخائيل نعيمه .

٣١ــ المستشرى الانجليزى آربرى .

٣٢ــ « الأسبانى د . خو ن وتنيه فى كتابه (الأدب العربى) .

٣٣ــ « المجرى د . عبد الكريم جرمانوس (« «) .

٣٤ــ « الفرنسى لويز ما گيرن فى مجلة الأبحاث الإسلامية بباريس .

ويضيق المقام هنا عن الاستشهاد بآراء كل من هؤلاء فى الشاعر محمود أبو الوفا ومنزلته فى الشعر العربى الحديث .

وقد كرم الشاعر محمود أبو الوفا شعراء عديدون ، منهم :

١ ــ أمير الشعراء أحمد شوقى فى قصيدته فى الشاعر وقد ألقيت فى مهرجان رابطة الأدب الجديد لتكريم أبى الوفا فى عام ١٩٣٢ .

٢ — الشاعر محمد عبد الغني حسن – في قصيدة له في الشاعر منشورة في ديوان .

« سائر على الدرب »

٣ — الشاعر محمد مصطفى الماحي – في قصيدة له منشورة في ديوان الماحي .

٤ — الشاعر جورج صيدح – في قصيدة له في أبي الوفاء – نشرت في مجلة العالم العربي التي تصدر بالأرجنتين . في ١٩٦٨/٥/٨

وقد توفي الشاعر أبو الوفا في ٢٧ يناير ١٩٧٩

* * *

الشاعر محمد عبد الغنى حسن

١٩٠٧ — ٢٢ يناير ١٩٨٥

— ١ —

ودعنا وودع الحياة الشاعر محمد عبد الغنى حسن شاعر الأهرام ، وذلك فى الثانى والعشرين من يناير عام ١٩٨٠ ، وبوداعه طويت صفحة مملوءة بالموهبة والشاعرية والأصالة والإبداع .

وكان يصف محمد عبد الغنى حسن شعره بقوله من ديوانه المشهور من وراء الأفق :

تلك الأغانى من وراء الأفق
أصداء نفسى فى الفضاء المطلق
رددتها فى الصبح أو فى الغسق
فهى زهرى فى الربيع المورق
وهى جمرى فى اللهب المحرق
وخفق قلبى فى الشباب الريق
وتعزياتى فى المشيب المحدق
حين يولى للغروب مشرقى
وحين يمضى ما مضى وما بقى

وحين تقرأ ذلك تشعر حقا بأنك أمام شاعر موهوب .

وقد بدأت رحلة الشاعر مع الشعر بعد أن اجتاز مرحلة الطفولة ، وقرأ من التراث دواوين الشعراء القدامى ، كما قرأ دواوين الشعراء المحدثين ، وأخذ ينظم الشعر في مختلف الأغراض ، حتى صار اسمه يتردد في كل حفل ، وكل مناسبة ، وكانت الأهرام تنشر له في صفحاتها الكثير من القصائد ، ولقبته عام ١٩٢٩ بشاعر الأهرام ، فكان لذلك صدى عميق في نفوس الجماهير ، وكانت قصائده يحلى بها صدر الأهرام . .

وقد عاصر الشاعر محمد عبد الغنى حسن أعلام الشعر المعاصر ومدارسه ، وتياراته ، وشهد الكثير من مواسمه ومهرجاناته ومناسباته المختلفة ، وعاش حياته بين شعره هو وشعر الشعراء في القديم والحديث ، وكانت مؤلفاته أكثرها عن الشعراء ، ومن هذه المؤلفات : جوانب مضيئة من الشعر العربي ، في صحبة الشعراء ، الشعر العربي في المهجر ، تميم بن المعز الفاطمي ، الشعر في العصر الفاطمي . إلى دواوينه الكثيرة : من وراء الأفق ، من نبع الحياة ، ماض من العمر ، من وحي النبوة ، سائر على الدرب . ومؤلفاته تنم عن ثقافة كبيرة ، واطلاع واسع ، وإلمام بشتى المصادر والمراجع ، ومن بينها : الأمثال العربية ـ التراجم والسير ، ملامح المجمع العربي ، غرائب من الرحلات ، تيجان تهاوت ، أعلام من الشرق والغرب ، بطل السند ، عبد الله فكرى ، حياة مي ، معرض الأدب والتاريخ ، الخطب والمواعظ ، ابن الرومي ، بين السطور ، ومن الكتب التي حققها : حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ، وغيرها . .

— ٢ —

ولد الشاعر بمدينة المنصورة عام ١٩٠٧ ، وتلقى ثقافته العالية فى مدرسة دار العلوم ، وتخرج منها عام ١٩٣٢ ، ثم سافر فى بعثة إلى انجلترا عام ١٩٣٢ لدراسة التربية وعلم النفس ، وكان موفدا من قبل وزارة المعارف ودرس فى انجلترا فى جامعة اكسترا ، وعاد من البعثة عام ١٩٣٦ فعمل مدرسا بمدرسة المنصورة الثانوية ، ثم نقل إلى مدرسة الخديوى إسماعيل عام ١٩٣٨ ثم عمل مديرا للاذاعة المدرسية عام ١٩٤٦ ثم مدرسا بكلية البوليس من عام ١٩٤٧ ، وأشرف على الشعبة الأدبية فى الجامعه الشعبية عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، ودرس النقد بالمعهد العالى للتمثيل عام ١٩٤٦ .
وفى عام ١٩٥٤ نقل من كلية البوليس إلى وزارة التربية والتعليم مديرا مساعدا للشئون العامة ، ثم نقل عام ١٩٥٥ مفتشا عاما للغة العربية بالمدارس الأجنبية .

وأحيل إلى المعاش ، وعمل رئيسا لتحرير مجلة الناشر المصرى ، ومجلة بريد الكتاب ، وأشرف على قسم النقد فى مجلة الكتاب التى كانت تصدر عن دار المعارف بالقاهرة ، واكتسب خبرة واسعة فى فن المكتبات والكتب . .

وقد نشر مقالاته الأدبية فى مختلف الصحف والمجلات الأدبية ، ومن بينها الأهرام ، الأديب ، الرسالة ، الثقافة ، مجلة المجمع اللغوى فى دمشق . مجلة مجمع اللغه العربية بالقاهرة ، وسواها .

— ٣ —

كتب أنطون الجميل عن الشاعر محمد عبد الغني حسن في مقدمة ديوانه « من وراء الأفق » يقول :

« أما شعر عبد الغني حسن فقد تميز بالسهولة منذ أخذ يقرض الشعر، سهولة في الاهتداء إلى المعاني المشرقة وسهولة في اهتداء المعاني إلى الألفاظ المنسجمة، ولعله في ذلك يستوحي طبيعة مصر السهلة، ونيلها المنساب في يسر وهدوء، تلقى إلهامه من جمال النيل فجاء شعره سهل القافيـة، عذب الألفاظ، حلو الديباجة، كأمواه هذا النهر المنسابة في مجراه ومنعطفاته. إنه لا يبحث من وراء الأفق عن معان وأفكار يبث فيها الخيال، شأن الكثيرين من الشعراء[١] .

وكتب الأستاذ وديع فلسطين عن ديوانه « من وراء الأفـق » يقول[٢] :

« هذا شاعر يتوخى استخدام اللفظ السهل، والمعنى القريب، فلا يعمد إلى التعقيد، أو يحمل القارئ شطط الجري وراء معنى مستتر، يصوغ عباراته وألفاظه صوغاً ميسراً[٣] . . . ويبنوه بقصائده العاطفية، وبشعره في الطبيعة »[٣] .

---

(١) ص ٦ – ١٠ ديوان من الأفق – دار المعارف ١٩٤٧

(٢) مجلة المقتطف، عدد نوفمبر ١٩٤٧ – ص ٣٤٧

(٣) ٥٦/٢ رائد الشعر الحديث – خفاجي – ط ١٩٩٥ القاهرة.

ويقول د. أحمد زكى أبو شادى رائد مدرسة أبوللو الشعرية :

« يمثل هذا الشاعر الرقة المصرية المأثورة فى جميع شعره ، ولا أعرف شاعراً مصرياً ينافسه فى حلاوة موسيقاه ، إلى درجة كبيرة ، سوى الشاعر السكندرى ، عثمان حلمى ، صاحب « نسمات السحر » والملم الأول لايليا أبى ماضى حين أقامته بالاسكندرية ، وديباجة الشاعر تمتاز بالأناقة إلى جانب الصفاء والعذوبة . »

وفى الثانى والعشرين من يناير ١٩٨٥ فقدنا شاعراً كبيراً من شعراء مدرسة البعث والأصالة والتراث والعمودية ، فقدنا شاعر الأهرام محمد عبد الغنى حسن ابن المنصورة ، وعضو مجمع اللغة العربية والعالم والناقد والأديب ، وصاحب عشرات الكتب والدواوين الشعرية ، وصاحب الأسلوب الرصين الضارب بعرق كبير فى البلاغة وجمال الصياغة وحلاوة الأداء .

وقد احتفى الأهرام بشعره منذ كان طالباً وكان ينشره له فى صدر صفحاته ولقبه بشاعر الأهرام منذ عام ١٩٢٩م ، وهو شاعر موهوب مبدع يبلغ به الطبع الشعرى إلى قمة الكلاسيكية المجددة مع روحه المصرية الأصيلة .

نوه الدكتور أبو شادى به ممثلا للرقة المصرية المأثورة فى جميع شعره مع حلاوة موسيقاه وأناقة ديباجته وصفائها وعذوبتها . ونوه الناقد السحرتى بقدرته على موائمة صياغته الشعرية لموضوع القصيدة ، ونوه أنطون الجميل بسهولة شعره معانى وألفاظاً مما استوحاه من طبيعة مصر السهلة ونيلها المنساب فى يسر وهدوء . وذكر وديع فلسطين ميزته فى لفظه السهل ومعناه القريب وفتنته بالطبيعة .

فى المولد النبوى يقول الشاعر فى مطلع قصيدة له :

من هؤلاء الصامتون تكلموا

من هؤلاء المحجمون ؟ تقدموا

القائمون الأرض بعد محمد

أضحوا وهم فى كل أرض مغنم

ويحيي ثوار مصر من قصيدته خطوات الأحرار فيقول :

أيها الأحرار فى خطواتكم

نغم من الصوت القوى الخالد

وما أصدق ما قال :

نسج الهم لجسمى كفنا قبل أن ينسج موتى كفنى

وإذا انتقلنا إلى طاقته الشعرية ، وجدناه غنيا بها حيثما يتجاوب مع الطبيعة ، ولذلك تمنيت عليه أن يحفل بهذا الجانب من شعره وشاعرنا يمثل فى شعره مبلغ تأثره بالبيئة . .

وفى عام ١٩٥٠ أصدر الشاعر ديوانه « من نبع الحياة » ، ومن قصائده الجيدة حقا : قصيدته « شجون »[1] ويخاطب بها صديقا له اسمه سيد ،

---

(١) نشرت بالبلاغ الأسبوعى أعام ١٩٢٨ ، وهى فى ديوان «نبع الحياة» ص ٢٧ ، ٣٦٧ ، الشعر والتجديد - خفاجى .

ويقول فيها :

هـدأة الليـل وما أعذبهـا
ذكرتنى بالأسى والحـــزن

لك يا (سيد) ليـل هـادىء
وليـالى ذوات الشجـــن

فى حديث الليـل تلقى منة
وحديث الليـل قد يؤلمنى

أرأيت البؤس يبرى أضلعـا
انظر إلى الدميـة إن لم ترنى

أرأيت الهـم يهمى أدمعـا
إن فى دمعى صوب المزن

أرأيت الزهـر لما لعبت
صفـرة الموت بزهـر السوسن

نسج الهـم لجسمى كفنا
قبـل أن ينسج موتى كفنى

شهـد الله ولا أكتمه
لم يكن ذنبى إلا أننى

إن فى المنصورة اليـوم فتى
نازح الدار غريب الوطن

لا ينام الليل من لوعته من لأهل البؤس بالنوم الهني ؟

كم أمور طرب الناس لها
جددت شجوى وهاجت حزنى

أنا يبكينى الذى يضحكهم
ولقد يبكى الذى يضحكنى

بى هم لا أرى مصدره وأرى آثاره تتبعني

هو سر كشفه أعجزنى وهو لغز حله حيرنى

لم يرق لى العيش فى منصورتى
لا ولا طاب بمصر سكني

كان لى بالأمس ماض حافل
فانظروا الآن الذى يحضرنى

ليت لى فى الناس من يرجع لى
زمن الصفو الذى فارقني

قد رحمت الناس فى بؤسهم
وأنا الساعة من يرحمني

وشعره العاطفى والوطنى والدينى وشعره فى الطبيعة ، وشعره الوجدانى ، حافل بصورة جميلة ، من العاطفة والخيال والموسيقى وعذوبة التعبير .

إن محمد عبد الغنى حسن شاعر غنائى موهوب ، فى طليعة الشعراء المعاصرين من مدرسة البعث والأحياء والأصالة والعمودية والموهبة ،

وهو الموسيقى فى شعره ، وموهبته الفنية ، كل ذلك من خصائص شعره ، ويبلغ به الطبع الشعرى إلى قمة الكلاسيكية المتحررة الجددة كما ورثنا أصولها عن أعلام الشعر العربى القديم والحديث ، من أمثال : البحترى والشريف الرضى ، وشوقى ، وغيرهم .

وروحه المصرية الأصيلة ، حتى فى تعابيره وأسلوبه وموهبته المطبوعة التى تحسب فطرتها الشاعرة سهولة شديدة ، لأثر الطبع والبساطة وحب الصدق فى التعبير . . كل ذلك يعد من مفاخر شعره ، وسماته المميزة الأصيلة .

فى قصيدته « القرية النائمة » التى يعدها السحرتى فلتة من فلتات الشاعر يصف الشاعر قرية ردنج الانجليزية ، وقد استقبل فيها نفحات الفجر وهو يضىء على شاطىء نهر التاميز ، وما يلابس بزوغ النهار من أحداث صاخبة ، وفيها نلمح أسلوبا مترسلا ، وموسيقى حلوة وصياغة توائم التجربة التى يصفها ، وانظر إليه وهو يقول :

مال السكون على البطاح وهيمنا
والسكون فى أحلامه إلا أنا

والنهر وسنان الخرير كأنه
غرقان فى الأحلام غاف فى المنى

وكأن تمتمة النسيم بشطه
سور يرتلها المسبح موهنا

ثم يقول منها :

النهـــر عاد إلى الحيـــاة وجرجرت
فيـــه السفائن من هناك ومن هنا
ومشت بشطيه الجمـــوع نشيطة
من بعـــد ما مالت مساء للـــونى
وسمعت ثرثرة الحيـــــاة بمائه
ورأيت فيـــه العـــالم المتمدينـــا
ومشى بمسمعى الضجيج كأنه
صوت النذير على هـــدوئى أعلنـــا
وأفاق من رؤياه كل مهـــوم
وصحا على أحـــلامه إلا أنا

— ٤ —

وهكذا نرى الشاعر محمد عبد الغني حسن متألقا كعادته فى كل ما نظم ، كما كان متألقا فى كل ما كتب .

لقـد كان لغويا مع اللغويين ، ومؤرخا مع المؤرخين ، وناقدا مع الناقدين ، وكان شاعرا فى قمة الشعراء المعاصرين .

والسمة الأولى المميزة للشاعر محمد عبد الغني حسن أنه كان موسوعى الثقافة ، جاحظى المعرفة ، إنسانى النزعة :

ولقد كان جهاده كما كانت جهوده ، من خلال المجمع العلمى العربى فى دمشق ، ومجمع اللغة العربية فى القاهرة ، عملا ضخما ، وكفاحا متواصلا من أجل رفعة اللغة العربية بالقاهرة واستقبل فيه استقبالا حافلا ، وقد قدمه إلى الأعضاء د . أحمد الحوفى ، تقديما رائعا ، رحمهما الله . .

لقد كانت حياة الشاعر كلها مع الإلهام ، يتلقى منه فى صوره العديدة سواء كانت الطبيعة أم الكون ، أم وجدان الشاعر وتجربته الدفينة والإبداع والخيال والخيال والموهبة والصورة الشعرية ، وعظمة التعبير عن التجربة :

ومع ذلك فحياة الشاعر آلام وأحزان ، وهو والأديب بعامة ممن قيل عنهما : إنهما يعيشان مع الحرمان ، وإن كلا منهما ممن أدركته حرفة الأدب : فكل شيء فى الحياة له وزن فنى ، ووزن أدبى ، ووزن مادى أيضا ، ولكن الأدب والشعر فى مجتمعاتنا . قل أن يكون له نصيب من الوزن المادى ، مع طول ما يبذله كل من الشاعر والأديب من جهد وعمل من أجل الإبداع والخلق الفني الرفيع :

— ٥ —

وقد أخرج شاعر الأهرام ، الشاعر المبدع ، محمد عبد الغنى حسن قبل وفاته كتابا بعنوان « فى صحبة الشعر والشعراء » ، حيث صدر فى أكثر من ثلاثين وثلاثمائة صفحة ، حافلة بأعمق الأحاديث عن الشعر والشعراء .

والكتاب دلالة واضحة على حياة شاعر أصيل ، وعلى طول مصاحبته

للشعر والشعراء ، التي قد تزيد على نصف قرن ، حفل بأكثر من عشرة دواوين ، صدرت له من إبداعه ، وحفل بأكثر من عشر كتب صدرت له عن الشعر والشعراء ، وحفل بعشرات الكتب التى صدرت له فى مختلف فروع الأدب والمعرفة والتاريخ والسير ».

وقد سبق هذا الكتاب كتاب آخر له هو « جوانب مضيئة من الشعر العربى » الذى أضاف رصيدا ضخما إلى مكتبة الشاعر الغنية بالجديد .

وفى كتاب « فى صحبة الشعر والشعراء » يحدثنا محمد عبد الغنى حسن عن أطراف الموضوعات المتصلة بالشعر ، وعن أكثرها إمتاعا للقارئ وتشويقا للباحث ، إفادة للدارس ، ومن بين موضوعات الكتاب :

— الله فى الشعر العربى القديم .
— الشعر فى رمضان .
— العواصم العربية فى الشعر العربى .
— الفكاهة فى الشعر الغربى .
— مجالى الطبيعة فى شعر مطران .
— ملامح وسمات فى شعر شوقى .
— مواقف للشعراء والأدباء عند عرفات ومنى .
— مع الربيع وشعراء الربيع .
— أبو العلاء والأشعار المكذوبة عليه .

— الشاعرة عائشة التيمورية .

— الحب فى أدب المهجر .

ومن بحوث الكتاب : المراثى النبوية وشعراؤها .

وشاعرنا محمد عبد الغني حسن لا يقف عند الأدب القديم وحده ، ولا عند الأدب الحديث وحده ، وإنما يطوف بالأدب فى شتى عصوره ، ويتحدث فى الكتاب عن ظواهر الشعر وتياراته التي غلبت عليه فى مختلف أطواره .

ومن بحوث الأدب والشعر القديم فى الكتاب :

— أبو نواس وراء القضبان .

— مع الشريف المرتضى فى كتاب « الشهاب » .

— روح النقد عند ابن هشام .

ويمتاز تناول الشاعر محمد عبد الغنى حسن لموضوعات كتابه بالعمق ، وسعة المصادر ، وشمول الفكرة ، وطرافة البحث ، وبالخروج دائما من موضوعه بجديد .

وقد عرف محمد عبد الغنى حسن بأسلوبه الرصين الصافى بعرق فى البلاغة وروعة الصياغة ، وحلاوة الأداء .

يتحدث المؤلف عن أطباء شعراء أدباء من العراق ، فيفيض فى الحديث عن أعلام لا نعرف عنهم إلا القليل ، من مثل :

— ابن الشبل البغدادى .

— البديع الأسطر لابى .

— هبة الله بن صاعد البغدادى المعروف بابن التلميذ .

— ابن الصائغ المعروف بالعقترى .

ويحدثنا عن أربعة شعراء واديبين رحلوا فى سن الشباب ، فلا ينسى أن يذكر لنا شعراء ماتوا فى سن الشباب من أعلام الشعر الانجليزى ، وهم : كيتس (١٧٩٥ — ١٨٢١) ، وشيلى (١٧٩٢ — ١٨٢٢) ، واللورد بيرون (١٧٨٨ — ١٨٢٤) ، وعن شعراء فرنسيين ماتوا شبابا من من مثل الفرد دى موسيه ، وعن شعراء عرب كذلك اختطفهم الموت فى سن الشباب ، من مثل . طرفة بن العبد ! وأبى تمام ، وأبى فراس ، وابن هانى ، وفخرى أبو السعود ، وفوزى المعلوف ، ومحمد تيمور ، والتيجانى يوسف بشير ، والشابى ، والهمشرى . ثم يتناول فى هذا الموضوع كاتبين ، وأربعة شعراء بالحديث والدراسة ، وهم :

— أديب اسحاق .

— خليل اليازجى .

— نجيب الحداد .

— أحمد شاكر الكرمى المتوفى عام ١٩٢٧ ، وهو من أدباء فلسطين .

— عبد الباسط الصوفى .

ـــ عبد القادر رشيد الناصري .

وثقافة المؤلف الواسعة تعطينا أدق الصور لحياة هؤلاء الشعراء والأدباء .

والكتاب من شاعر أحب الشعر ، وعاش معه ، وتذوقه ، وقرأ عن الشعراء وأحبهم ، وصادقهم ، وعكف على مصادر الأدب والشعر القديمة والحديثة ، طيلة حياته ، قارئا وكاتبا ومؤلفا « مما جعله يخرج لنا أكثر من ستين كتابا ، تفيض بأطراف ألوان المعرفة والثقافة والأدب والشعر .

* * *

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

٢٣ ديسمبر ١٩٠٢ م — ١٩ مايو ١٩٨٣

— ١ —

السحرتى هذه الشخصية الفريدة بين أدبائنا المعاصرين ، والذى رحل عن حياتنا منذ أكثر من عام ، والذى خلف وراءه ذكريات خالدات لايمحوها الزمن هو أديب من أدبائنا النوادر الذين جمعوا إلى الشخصية الجذابة النبوغ الأدبى . . وهب نفسه للأدب وخدمته خدمة صادقة على امتداد نصف قرن أو يزيد .

كان مثالا إنسانيا حيا على الأخوة الانسانية والتعاون الأدبى ، والروح المتوقدة لخير الأدب والأدباء ، والفكر المتوثب من أجل خدمة كل قضية شريفة ، تعود على الاسلام والعروبة والوطن والانسانية عامة بالخير ، ولقد بدأ حياته الأدبية بعد النضج ، وجال قلمه فى المجالات الأدبية والصحف اليومية والاقليمية ، ودبج المقالات النقدية والاجتماعية والسياسية ، كما دبج تراجم العظماء وكبار الأدباء من غربيين ومصريين وعرب .

والسحرتى فى حقبة من عمره ، نظم الشعر ، وأخرج ديوانا جديدا أسماه : « أزهار الذكرى » ذكرى عشر سنوات قضاها فى بلده الصغير الجميل « ميت غمر » وتقع هذه الحقبة بين عامى ١٩٣٤ و ١٩٤٣ .

ويقول د . أحمد ذكى أبو شادى فى تقديمه لهذا الديوان فى شعر السحرتى

هو شاعر مفكر ذو غاية رفيعة فى شعره ، هى الانسانية التى يؤمن بحقها الأول عليه إيمانا عميقا ، وثانى مانلمسه فى شعره إقباله على الطبيعة فى حب وهيام شديدين ، ثم روح الاصلاح الاجتماعى الذى يتناوله تناولا شعريا جميلا ، ثم شعر الحب الممزوج بالروح الفلسفية الصادقة الحرارة ، وما فى شعره من قدرة وصفية قرينة لطاقته الشعرية الممتازة ، وهو موسيقى الطبع فى كل ماينظم ، على تباين شعره ، إنه شاعر رومانطيقى ، أحب الطبيعة والريف حباً خالصاً ، فاندمج فى روحيهما ، وعبر عنهما بشعر عذب صادق فى طلاقة جميلة لاتحمل تنافراً لفظياً ولا يشينها خلل موسيقى ، ولا تأسرها قيود صناعية ، ولاتنزل بها رغبة لارضاء الجماهير ، وليس السحرتى ممن يحترم مبدأ الفن للفن ، ولكنه يؤمن بأن الفن للحياة فى أسمى معانيها . . إنه ليس له وثبات ناجى ولارمزيات الصيرفى ، ولاغنيائيات صالح جودت ، ولا وجدانيات الشابى ، ولا وصفيات الشوباشى ، ولا ديباجة السنوسى أو الجهنى ، ولاترسل عثمان حلمى ، ولكن له أسلوبه الموسيقى المتحرر ، وصوفيته الساذجة الحلوة وريفياته الجميلة ، وعواطفه الانسانية الحارة ، وطاقته الشعرية النابغة ، وله قبل ذلك وبعده فنه الذى يعتز به ويدعو إلى الاعتراف به بين شعراء المدرسة الحديثة الموهوبين ، وكيف لايكون ذلك وهو الجامع ماجمع بين الطلاقة البديعة والخيال الرائع والموسيقى المستحدثة فى نظام هو نظامه لايقلد فيه أحداً ، وإن تجاوب مع أقرانه من أعلام النهضة الشعرية فى العالم العربى ، وهذا التجاوب الشامل علامة من علامات الشاعرية القوية ، كما أن احتفاظه بشخصيته علامة أخرى من علاماتها القوية ، وحسبك أن نفترض حرماننا من نماذج هذا الشعر الحديث ، فتشعر بالفراغ الذى تشغله شخصية السحرتى الشاعر ، وإن أبى عليها إلا التواضع أو التوارى ، كأنما ذلك من أصول فنه العميق .

ثم هجر ميدان الشعر وتحول إلى ميدان النقد، والبحث الأدبى، وصار علماً من أعلام هذا الميدان، بما اتسم به من ثقافة واسعة وحيدة نادرة، وخلق كريم.

وكتابات السحرتى من نبع شخصيته الناضجة، وإنسانيته العميقة، وذهنه الناضج، وروحه الثائر النفاذة. وخلقه الشريف، وإيثاره على نفسه كل عزيز عليه .. وقارئ أدبه يلمس فيه صورة من هذه الشخصية. ونفحة من مثله العالية فى حب الجمال، وحب الطبيعة، وحب الخير. وحب الحرية والديمقراطية العالية، وليس أوصف للسحرتى من قول «الدكتور أحمد زكى أبو شادى» عنه فى تصديره لكتابه «أدب الطبيعة».

«ليس مصطفى عبد اللطيف السحرتى إلا الأديب الانسانى بأوفى معانيه وهو بفطرته الموهوبة شاعر الطبيعة المطبوع فى جمالها ومعانيها إلى أبعد ماتلهمه الشاعرية الصحيحة، وهو رجل مكتمل الأخلاق، ناضج الاحساس متزن التفكير، يدين بالانسانية فى صميم وجدانه وينبض فؤاده بنبضات هذا الكون العظيم»

توثقت علاقتى بالسحرتى أربعين عاماً، أى منذ عام ١٩٤٢، فعرفت فيه إنساناً طيب السيرة والسريرة، إنساناً هادئ النفس، دمث الخلق، حلو الحديث، إذا لاقيناه فتحت نفسه فى نفوسنا، وأفاض روح المرح والفرحة والأمن فى قلوبنا.

كان إنساناً يعرف الزمالة الحقيقية، ويعرف كيف يعامل الناس معاملة رقيقة، ويغفر لهم زلاتهم، ويهتم بشئونهم اهتمامه بنفسه، فهو إنسان يؤمن بالفرحة والسعادة والأمل الوردى، أو بمعنى آخر إنسان يعرف فن الحياة.

ويقع قارىء ديوانه « أزهار الذكرى » على شواهد من هذه النزعة المتفائلة من قصائده ، ونذكر على سبيل المثال قصيدته « الفرحة » التى جاء فيها :

فمالى لا أسير بلا قيود … وأبسم فى غدوى أو رواحى
وأنسى الهم إن الهم ثقل … يهدد فى المساء وفى الصباح
وأمرح مثل عصفور سعيد … وألتمس المنى فى أندى صباح
فما الدنيا سوى جذل وأنس … ولذات جنين من الكفاح
وليس يدوم للانسان شىء … سوى البسمات واللهو المباح
وللبسمات سحر أى سحر … ووحى مشرق فى القلب ضاحى

— ٣ —

هذا هو العلاج الروحى المقوى الذى عالج السحرتى به دواءه ، وشفى به كثير من المتصلين به ، الدواء الذى استخلصه من تجاريب الحياة الجادة المريرة وتغلب به عليها ، فاذا طاف به طائف من الهم أو الكدر نحاه بروحه المرحة ، وفلسفته الرواقية التى لا تأبه بالهموم والآلام ، وفى قصيدته « الوحدة » و « المرح » و « شفاء الروح » و « ضحكة » يكشف لنا عن مطاردته للهموم باللواذ إلى الطبيعة واللواذ إلى نفسه القوية ، وفلسفته الرواقية ، فيقول مثلا فى قصيدته « ضحكة » :

سأضحك للوجود بملء قلبى … وأهتف للطبيعة حلو هتف
وأهزأ بالهموم وإن توالت … فتنقشع الهموم سحاب صيف
وأرسل ضحكتى فى الجو تسرى … فيحضنها الأثير كخير ألف

— ٤ —

وحياة السحرتى ، التى عرفنا لمحات منها يدل على أنه رجل عجيب ، يختلف عن الناس ويسمو على بيئته ، ويميل إلى أن يعيش عيشة فكرية وروحية خالصة ، ولم يقبس من وراثته وبيئته إلا ما أتى مع هذا النزوع .

فقد تقوت محبة الطبيعة لديه فى موطنه « ميت غمر » وهو بلد رومانتيكى جميل ، تحيط به مياه النيل من جهاته الأربع ، وتحف به الحدائق والحقول ، وورث عن والده الحاج عبد اللطيف السحرتى وكان من كبار تجار هــذا البلد : الصراحة والذكاء والميل إلى الفكاهة ، وعن والدته الطيبة والتواضع ورقة الحاشية ، وتفرد فى أسرته بالعزوف عن المادة ، لما وقر فى روحه من شفافية ، ولهذا كان أكبر من بيئته ووراثته .

وكان ميلاده فى الثالث والعشرين من ديسمبر عام ١٩٠٢ .. وفى جميع مراحل دراسته من ابتدائية وثانوية وعالية ، كان ميله إلى الناحية الأدبية بارزا ، وتأثره بأساتذة اللغة العربية والأدب تأثرا قويا . ويحدثنا السحرتى عن هذه الناحية من حياته فيقول :

« تلقيت » أول تعليمى « بالكتاب » وحفظت به بعض سور القرآن ، ثم أتممت دروسى الابتدائية بمدرسة ميت غمر ، ونلت الابتدائية عام ١٩١٦م وكنت مغرما باللغة العربية والانجليزية والتاريخ ، وأذكر بحنان عميق أستاذى الشيخ مصطفى الزفتاوى ، ونماذج الانشاء التى كان يمليها علينا ونحفظها عن ظهر قلب ، وأعدها بذرة أولى فى تحبيب العربية إلى نفسى » ، وتلقيت تعليمى الثانوى بمدرسة كشك بزفتى ، ومدرسة الأقباط بميت غمر حيث نلت شهادة الكفاءة وأكملت دراستى الثانوية ، حيث نلت البكالوريا

عام ١٩٢٢ ، ولا أذكر من أثر الأساتذة في نفسي في هذه المرحلة إلا أستاذ اللغة الانجليزية بمدرسة الأقباط مصطفى الباقيني ، وأعزو الفضل في إجادتي لهذه اللغة إلى الأستاذ الضايع ، ولا أنسى فضل أستاذين كبيرين كانا بمدرسة الزقازيق ، وهما الأستاذ مصطفى عامر أستاذ الجغرافيا ، وأحمد العدوى أستاذ التاريخ في ذلك الوقت وما كان يفيضان علي وعلى زملائي من مودة ، وما كان يطرقان في أثناء دروسهما من موضوعات اجتماعية وفكرية يثيران بها شوقنا إلى البحث ، ويزرعان بها في نفوسنا بذور الحرية الفكرية ، « وعند انتهائي من المرحلة الثانوية ، وقفت مترددا بين الالتحاق بمدرسة المعلمين أو الحقوق ، وانتهيت إلى إيثار الثانية ، حيث نلت إجازة الحقوق عام ١٩٢٦ . وظل شوقي إلى الأدب متوهجا بنفسي في غضون دراستي القانونية ، وكان وقتي موزعا بين الأدب والقانون ، فكنت أبدأ بمطالعاتي الادبيه لافتح شهيتي إلى الدروس القانونية ، واستساغه مادتها الجافة » .

— ٥ —

وما كاد السحرتي ينتهي من دراسته القانونية بالقاهرة حتى أحس بصدوفه عن المحاماة ، ويوجد حلا ظاهريا في الذهاب إلى باريس لنيل دكتوراه الحقوق ، ولكنه ما كاد يستمع إلى الدروس حتى اجتواها ، وأنصرف عنها إلى الادب فالتحق بجامعة السربون عام ١٩٢٦ أيضا ، كما التحق بكلية الدراسات العالية لدراسة الصحافة ، وانفق باقي وقته بالمكتبه الاهليه ، والاختلاف إلى المحاضرات العامه التي كانت تلقى في المعاهد المختلفة الامسيات ، ولكنه لم يستمر طويلا بباريس ، إذ عاد

بعد أشهر إلى القاهرة ، واشتغل بالمحاماة ستة عشر عاما ١٩٤٢ ، وتعد الفترة القصيرة التى قضاها فى باريس نقطة تحول فكرية فى حياته ، وفى توسيع آفاق معارفه ، وتقوية إيمانه بالحرية والديمقراطية الحقة .

يقول السحرتى : فى جو باريس امتلأت رئتاى بنسيم الحرية ، وتأيد إيمانى بالديمقراطية ، وأحببت باريس الأدبية التى فاضت حساسيتها على نفسى وأثار ذكاؤها ذهنى .

وقد سجل أثر باريس فى سبع مقالات طوال كتبها عنها بمجلة السياسة الأسبوعية فى ٦ مارس ١٩٢٩ إلى عدد ٢٥ أبريل ١٩٢٩ وهى مقالات نابهة تليق بأن تضم فى كتاب مفرد . وسجل الهامات باريس فى عدة بحوث طويلة كتبها بجريدة وادى النيل فى نوفمبر ١٩٢٨ والشرق الجديد — يناير ١٩٢٩ ، والبلاغ يوليو ١٩٣٠ ، وهذه المقالات جديرة بأن يضمها كتاب مستقل .

ولا ينسى السحرتى أثر هذه الرحلة فى حياته فيقول : لقد لا أكون مغاليا إذا قلت : إن رحلتى على الباخرة من الاسكندرية إلى مرسيليا هى أجمل رحلة فى حياتى ، وآثرها إلى قلبى ، لما امتلأت به عيناى من مشاهد خلابة . ولست أنسى ما حييت لقائى على الباخرة بتاجر هندى مثقف — كان يبيع الماس فى باريس ، فقد كان يروى لى فى هذه الرحلة تاريخ الهند وأعمال رجالها العظام ، وبخاصة الزعيم الروحى غاندى .

ويقول السحرتى : « إن غاندى أثر فى توجيهى تأثيرا كبيرا فى حقبة من حياتى ، فلقد تجاوبت روحى معه تجاوبا قويا . واتخذت شخصيته مثالا

لى فى كثير من أعمالى ، وبلغ من تأثرى بتعاليمه أنى كنت أقضى يوما من أيام الأسبوع صائما ومعتكفا عن الناس ، للتأمل والمطالعة وكذلك شخصية « سعد زغلول » الجـذابة ، وبلاغته الساحرة ، واتجاهاته الديمقراطية الوطنية مما أثر فى نفسى أعظم التأثير » .

ونذكر من هذه المقالات :

١ — الروماتيزم ولامارتين (٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٧) .

٢ — الصحافة فى البلاد المتمدينة (١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٧) :

٣ — العبقرية والعبقريون (٢٨ أبريل سنة ١٩٢٨) .

٤ — الحزبيةوالوطنية .

٥ — أثر الخير فى الجمال والفن (٥ مايو سنة ١٩٢٨) .

٦ — أسباب الحرب الكبرى ونتائجها (١٦ يونيو سنة ١٩٢٨) .

٧ — الإ[illegible]ام فى مصر أسبابه وعلاجه (سبتمبر سنة ١٩٢٨) .

٨ — الأدب القومى (١١ اكتوبر سنة ١٩٣٠) .

٩ — الخيال وأثره فى الحياة (١٤ أبريل سنة ١٩٤٣) .

ويعد السحرتى من خيرة كتاب التراجم ، فقد كتب ترجمات فنية موفقة بالسياسة الأسبوعية ، وغيرها من المجلات ، وهى جديرة بكتاب منفرد، ومن هذه التراجم: سقراط بمجلةالسياسة الأسبوعية فى ٧ يناير سنة ١٩٢٨ وترجمة الأديب الألمانى جوته — ونشرت بالسياسة الأسبوعية ، فى ١٠ ديسمبر ١٩٢٧ ، وترجمة بديعة للشاعر الفارسى « السعـدى الشيرازى » ونشرت بالسياسة الأسبوعية ، وترجمة تولستوى « بمجلة السياسة الأسبوعية

فى ١٨ مايو سنة ١٩٢٩ ، وترجمة للأديب الفرنسى « روسو » بالسياسة الأسبوعية فى ٤ أغسطس ١٩٢٨ ، والشاعر الامريكى الجهير « هويتمان » بالسياسة الاسبوعية فى ٢ فبراير سنة ١٩٢٩ والصحافى المصرى الجرىء « أمين الرافعى »وهى منشورة بالسياسة الاسبوعية فى ٣ يناير سنة ١٩٣١ ، كما نشر ترجمة بمجلة « الطلبة المصريين »عن شكسبير فى ١٩ يناير سنة١٩٢٨ وترجمة أخرى لغاندى ، وترجمة لطاغور بالمجلة السابقة فى ٤ فبراير سنة١٩٢٨ وكتب مقالا منصلا بجـــريدة البلاغ عن « المنفلوطى » فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ، وبمجلة الرسالة عن شخصية ابن خلدون فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٤ ، كما تناول غير هذه الشخصيات الاثنتى عشرة ،شخصيات أخرى لا يتسع المجال لذكرها .

— ٧ —

ولم تقف جهود السحرتى على عمله الخاص بالمحاماة ، ولا على أعماله الأدبية ، بل إنه أسهم أسهاما إيجابيا فى الحركة الوطنية فى مصر ، وكان مثالا للوطنى النزيه ، المجرد من الغايات ، والمترفع عن التحزب والتعصبات ويزخر له بنو وطنه المحبة والتقدير كلما جرى اسمه على الأفواه ،ويذكرون له خطبه الوطنية المهذبة ، الداعية إلى الأصلاح والحــق والعدل والحرية ، كما يذكرون له جهوده الثقافية والاجتماعية الإيجابية فى إقليمه ، وجهاده فى رفع معنوية الجماهير ، وإيقاظ أرواحهم وتنقيتها ، ونذكر من هذه الجهود تـكوين جمعية اجتماعية فريدة لتعليم المشردين ، وأبناء الفقراء ، بعض الحرف والصناعات ، وإنشاء فصول ليلية بالمدارس الإلزامية لتعليم العمال والـكبار السن القراءة والـكتابة ،واسهاماته الفعلية فى معاونة المتعففين

من الفقرا والعاجزين عن العمل ، وتحريره جريدة الاقليم « الوقت » لتنوير الناس وتوجيههم توجيهاً طيباً ؛ وقد كان يملأ قلمه صفحات هذه الجريدة وقد اطلعنا على بعض من أعدادها فاذا بنا نعجب من هذا الجهد القلمي الدائب لتثقيف أبناء إقليمه ، ففي العدد ٤٦٢ المؤرخ ٢٧ يوليو ١٩٣٩ نجد مقالا بعنوان « بين الجمود والتجديد » ، ومقالا آخر « في المرآة » بقلم م — لطفي وهو الاسم القلمي الذي استعاره لبعض مقالاته ، وكل عدد وقفنا له عليه كان يحوى أكثر من مقالين ، ولحنين أو ثلاث متناثرة في كل عدد .

— ٨ —

ولقد تخللت الفترة التي قضاها بالمحاماة فترة تعد من أخصب الفترات في حياته الأدبية ، إذ اتصل في أوائل عام ١٩٣٤ بجماعة « ابولو » وتعرف إلى رائدها الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، وكان واسطة التعارف بينهما الشاعر عبد العزيز عتيق مدير إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم فيما بعد ، كما تعرف على أدبائها وشعرائها ، وعلى رأسهم على محمود طه ، وناجي ، والصيرفي ، وزكي مبارك ، وصالح جودت ومختار الوكيل ، ومحمود حسن إسماعيل ، والسحراوي . . وغيرهم من أدباء الحركة الابتداعية في مصر .

وكانت صداقته لأبي شادي من أكرم الصداقات التي عرفت بين الأدباء ، كانت هذه الصداقة مضرب المثل في المحبة والوفاء ، وفي ذلك يقول السحرتي : « كانت صداقتنا صداقة نقية عاملة ، صداقة فكرية وروحية معاً . وكانت آراؤه في ذلك الحين مصدر الهام زاخر لي ، كما كانت كتاباته

النثريه المركزة من العوامل القوية التى جذبتني إليه . ولم أكن بنزعتى الواقعية أميل إلى الشعر الخيالى ، ولكنه حببني إلى الشعر ، وأوحى إلى تأليفه ، حتى تمكنت فى عام ١٩٤٣ من إخراج ديوان « أزهار الذكرى » الذى جمع أكثر شعرى من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٤٣ » . واذكر بالامتنان تصديره النبيل الجامع لهذا الديوان بفيض روحه الكريمة الوفية ، والذى جاء فيه عن الديوان :

« وأنا إذ أتناول شعره بالعرض إنما أمازج نفسه الحلوة وفكره الناضج وطبعه النبيل ومواهبه المتألقة : التى طالما جذبتنى إليه فنهلت من عذوبتها وقبست من إشراقها » ، حقاً لقد تأثرت فى يفوعتى وصدر شبابى بأدب المنفلوطى وأسلوبه ، كما تأثرت بعده برواد الأدب وأعلامه فى الجيل الماضى وعلى رأسهم الدكتور طه والدكتور هيكل وغيرهما ، ولكن أحداً منهم لم يؤثر فى تأثير الدكتور أبى شادى » .

وفى أفياء جماعة أبولو تجلت طاقة السحرتى الأدبيـة ، فكتب فى أبولو ورأس تحرير مجلة الإمام ، كما أسهم هو والدكتور إسماعيل أدهم فى تحرير مجلة أدبى ، التى اقتصرت على أدب أبى شادى وأدب أصدقائه الحميمين ، كما أخرج فى عام ١٩٣٧ كتابه المدرسى البديع « أدب الطبيعة » وقد صدره الدكتور أبو شادى بمقدمة جاء فيها : « إن أدب الطبيعة » : هو من صميم الأدب العالى ، وهو كتاب أخلاق رفيـع ، وسجل ثمين للوجود الحى ، وهو تعريف ممتاز بالشعر المصرى ، وعرض جميـل لآداب مأثورة عند العرب والانجليز والفرنسيين والأمريكان قديما وحديثا ،

إلى جانب روائع الأدب المصرى القديم ، وصفحات الكتاب على وفرتها تضم أكثر مما تبدى ، لأن الأسلوب المركز الذى اشتهر به المؤلف هو خير ما قل ودل ، وهو مع ذلك بعيد كل البعد عن الإبهام أو التعقيد » ، وفى مجلة الإمام جال قلمه جولات موفقة وكتب مقالات نابهة ، ونذكر من هذه المقالات : ثلاث مقالات اكتبها فى نقد وتحليل كتاب « ابن الرومى » للعقاد ومقالة عن « البارودى » فى عدد خاص أخرجة ، ومما يستحق التنويه بحثه الفياض عن « سعد » وقد صدر به عدد خاص من الإمام فى ست وعشرين صفحة . وهو من أمتع البحوث التى ظهرت عن سعد زغلول . ولم تقف جهود السحرتى فى هذه الفترة على الكتابة فى مجلات أبولو ، بل دبج مقالات فى المجلات المصرية ، ومن بينها : مجلة الرسالة ، ومجلة « الأدب الحى » التى كان يصدرها الأستاذ إبراهيم المصرى ، ومجلة الأسبوع الأدبية التي كان يصدرها فرنسيس دوس ومجلة «أبو الهول» ومجلة السفير التى كانت تصدر بالاسكندرية .. وغيرها من المجلات .

— ٩ —

وفى أواخر عام ١٩٤٢ ضاق السحرتى بحياة الريف ، ولم يجد كثيراً من اللذة فى المحاماه ، فالتحق بالعمل الحكومى بالعاصمة فى أوائل عام ١٩٤٣ وكيلا بقسم الدعاية والنشر بوزارة الرقابة لكى يجد فى جو العاصمة مجالا لدراساته الأدبية وقراءاته . ولكنه ما كاد يدخل الوظيفة حتى شعر من أول يوم ، أنه وضع نفسه باختياره فى سجن ، وفى ذلك يقول السحرتى : لقد شعرت بعد طلاقتى فى الريف ، بأنى وضعت اللجام فى فمى ، وخلفت من ورائى ذكريات سعيدة ، وهجرت أعمالا خيرة لا أستطيع إثباتها فى

فى العاصمة ، وحشوت الرماد على تراث يمكن أن ينمو ويزدهر لولا مفارقة البلدة الصغيرة » . ولقد وقعنا له على قصيدة لم تنشر يعرب فيها عن لواعج نفسه وضيقه فى بداية اشتغاله بالحكومة ، ويقول فيها :

أقصيت نفسى عن فضاء واسع
وحبستها فى أضيق الجدران
وشعرت أنى قد أضعت طلاقتى
وهى الملاذ الحر للانسان
فرجعت أعذل هذه الروح التى
هامت بمصر وأضرمت تحنانى
أشبعت بغيتها بهجرة موطنى
وأتيت أنشد فرحة الوجدان
فاذا الهناء الآل فى هذا الورى
وإذا الحقيقة مرة لجنانى

ولم يعرف فضل السحرتى فى عمله الحكومى ، مع إخلاصه وتفانيه فى عمله ، وشجاعته فى إبداء رأيه فقد نقل إلى وزارة التجارة بعد إلغاء وزارة الوقاية ، واشتغل بالقسم التشريعى بها بالتحقيقات ، ثم ضم أخيراً إلى النيابة الادارية ، حيث اشتغل رئيساً لقسم النيابة بوزارة العدل . ثم نقل إلى وزارة الثقافة مديراً عاما لإدارة الثقافة فيها ، والمعروف أن الوظيفة لم تقيده بأغلالها ولا روتينها ، فقد كان لا يزال كالعهد به ، الانسان الحر والأديب المترفع الزاهد عما يجرى وراءه الموظفون عادة من التماس الحظوة ، أو الجرى وراء ترقية ، وفى كل مكان يحل به ينشر

من حوله جوا من المرح ، والزمالة الحقيقية التي لا يعرفها الرؤساء إلا نادرا .
وقد كان ما يبذله في عمله الحكومي من جهد ولغوب ، يتكىء على نفسه عاملا في الحقل الأدبي ، ولا غاية له إلا إنتاج صنائع أدبية ثابتة ، ولبنات قوية في بنـــاء الأدب ، غير ناظر إطلاقا إلى أي غنم مادي من وراء عمله الأدبي .

وعمل مع صديقه الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي في جمعية الأدباء التي أنست عام ١٩٤٥، وبعد هجرة أبي شادي إلى أمريكا في إبريل عام ١٩٤٦ للأدب والنقد .

ويتوج جهوده الأدبية في هذه الفترة كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ، والذي أخرجه في عام ١٩٤٨ ، ويعد من المراجع القيمة في في دراسة النقد الأدبي المعاصر .

ويذكر له جهوده البناءة في قيام ودعم رابطة الأدب الحديث ، وما كان يلقيـــه في ندواتها من محاضرات مدروسة ، ونذكر منه محاضرته عن « فن القصة القصيرة » و « فن الشعر » و « فن النقد الأدبي » و « فن الصحافة » و « فن المسرحية » و «فن المقال الأدبي » و «الأصالة الفكرية» و « الجموح الفني » وغيرها من المحاضرات التي لا يتسع المجال لذكرها ، وتؤلف كتابا ضخما .

ولم تقف جهود السحرتي عند التأليف والمحاضرة ، ولكنه كان يكتب بين حين وآخر في المجلات الأدبية الشهيرة ، وقد خص المقتطف من قبل

بمقالات نابهة ، كما جال قلمه فى مجلة الميزان والأديب المصرى فى عام ١٩٤٩ ، ونشر طائفة من المقالات فى مجلة « الأديب البيروتية » وغيرها من المجلات ، ونذكر بخاصة اربع مقالات كتبها بالمقتطف عن « فن المراجعة والتعقيب » ، وهى مقالات رائدة فى هذه الناحية ، كما نذكر له بحثه الطويل المنشور عن « خليل مطران » ويعد من أمتع البحوث فى دراسة هذا الشاعر العظيم . ومما كتبه فى الأديب البيروتية دراسات عن شخصيات الشعراء : ناجى ، وأبو شادى ، ومحمود أبو الوفا ، والتيجانى ، والشابى ، وهى دراسات سيكولوجية فريدة فى بابها ، وقد ضمها كتاب « شعراء مجددون » .

وكان السحرتى فى كهولته عازفا عن نشر إنتاجه الأدبى ، يؤثر إيداعه سجلاته الأدبية والسيكولوجية ، وما تزال مخطوطة ، ومن هذه البحوث نذكر بحثه عن « الأصالة الفكرية » الذى نشر منه كلة فى مجلة « ليالى الأدب » التى أخرجتها رابطة الأدب الحديث فى عام ١٩٥٦ ، وبحثه عن « سيكولوجية الشخصية » و « سيكولوجية الحب » وبحثه عن « فن الكتابة » وغيرها من البحوث ، وكثيرا ما يقول : « نحن لا تزال نقف على عتبة المحراب ، فلنقف فى خشوع وسكون وابتهال ! » .

— ١١ —

وبعد فلحجوة أبي شادي وجه السحرتي جهوده إلى النقد الأدبي ، وهو يرى أن مهمة الناقد مهمة شاقة عسيرة ، ومسئولية خطيرة أمام نفسه وفنه ومجتمعه ، وهو في ذلك يقول في صدر كتابه « الشعر المعاصر » : « إن النقد الأدبي من أعسر الأمور وأشقها لأنه يتطلب ثقافة واسعة ، وموهبة فنية عالية ، وتنبها وجدانيا مرهفا وروحا سمحا متجردا عن آثار الميل والهوى » .

ويقول بعد ذلك في الكتاب ذاته يصور منهجه في النقد : « النقد الأدبي اليوم قضية مركبة عويصة تحتاج إلى قضاة عدول صارمين في الحق ، ولا يساغ النقد بدفعة من دفعات العاطفة . أو نزوة من نزوات النفس ، أو حظوة من حظوات الهوى ، ولا بلمحة من لمحات الذكاء ، بل لابد من ضمير حي ، وبراءة من الميل ، وتجاوب مع روح المنقود ، واقتران بآثاره اقتران مودة . والرجوع إلى جوه وبيئته وشخصيته ، ودراية ذكية بالأصول النقدية ، وبأحدث مذاهب النقد المعاصرة ، فإذا تعذر التجرذ النفسي وعزت الزمالة ، واستحال التكيف بالجو الذى شدا فيه الأثر الأدبي المنقود وترعرع ، وتجوهلت شخصية المنقود ، وقلبت الزكاة بالقواعد النقدية ، فلن يصح نقد ، ولن ينصف منقود[1] ، والنقد التأثري الجمالي

(١) كتاب الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٥

هو الغالب على فكره النقدى ، وأن أخضع ذلك كله لمنطق المذهب البنى فى النقد .

والسحرتى فى نقده الأدبى يحرص على الاعتدال والاتزان فى الحكم ، مع الميل إلى التجديد ، واختير السحرتى محاضرا لطلبة معهد الدراسات العربية العالى فى النقد ، كما أختير عضوا فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب فترة طويلة ، ثم عضوا فى هيئة تحرير مجلة الثقافة التى صدرت من وزارة الثقافة فى أكتوبر عام ١٩٧٣ .

— ١٢ —

وقد صدرت للسحرتى كتب رائدة ، منها :

١ — الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث .

وقد صدر عام ١٩٤٨ عن المقتطف ثم صدر عام ١٩٨٤ عن دار تهامة فى جدة بمقدمة قيمة ونفيسة وضافيه للناقد الكبير عبد الله عبد الجبار .

٢ — شعراء مجددون .

٣ — شعر اليوم .

٤ — أدب الطبيعة .

٥ — الفن الأدبى .

٦ — النقد الأدبى .

٧ — شعراء معاصرون — بالاشتراك مع الأديب العراقي الكبير هلال ناجي .

٨ — الرصافي الشاعر بالاشتراك مع الدكتور خفاجي والأديب العراقي الأستاذ قاسم خططا .

٩ — أيديولوجية عربية جديدة .

١٠ — دراسات نقدية — نشرته الهيئة المصرية للكتاب أوائل عام ١٩٧٤ .

١١ — دراسات نقدية في النثر — صدر عن الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٧٩ .

١٢ — الأصالة الأدبية — وقد صدر عن مكتبة الانجلو المصرية بعد وفاته .

١٣ — ديوانه أزهار الذكرى معروف .

وبعد : فهذا هو السحرتي وهذه هي جهوده النقدية والأدبية الرائدة ، التي تعد مثالا فريدا لعمل بناء مثمر في نهضتنا الأدبية المعاصرة ، لقد مات وترك وراءه سيرة عطرة ، وأعمالا خالدة لن تموت .

وقد تناول النقاد والكتاب شخصية السحرتي وأدبه بالدراسة ، فأصدرت « رابطة الأدب الحديث » عن أدبه كتابا حافلا بعنوان « دراسات في النقد المعاصر » . .

وفى كتاب « مدرسة أبولو » للدكتور محمد سعد نشوان ، وهو من مطبوعات دار المعارف المصرية ، فصل عن السحرتى .

كما تناوله د . محمد مندور فى كتابه : « الشعر المصرى بعد شوقى » . .

وهناك العديد من الدراسات التى كتبت عنه فى حياته وبعد وفاته ، وما أجدرها بأن تجمع فى كتاب .

• • •

الدكتور كيلانى حسن سند

١٩٢٥ — أول نوفمبر ١٩٧٩

مات الشاعر الدكتور كيلانى حسن سند فى نوفمبر ١٩٧٩ م . . وفقدنا بموته الإلهام الشعرى الرفيع ، والموهبة الشاعرة الفنية المعطاء ، والإبداع الفنى ، الذى لانهاية لعذوبته وجماله وسحره ..

إنه لقليل النظراء فى حلاوة موسيقاه ، ووهج فنــه ، وجمال الهامه ، وبلاغة صياغته ، ورعشات صوره . .

وهل يمكن أن يجود الزمن بمثل عبقرية هـذا الانسان ، هذا الشاعر ، هذا الفنان المبدع حقاً . .

وأشهد أنى لم أقرأ شعراً له إلا وملـكتنى هزة الاعجاب ، بهذا النغم الشعرى النشوان ، وبهذا العطاء السحرى الفينان ، وبتلك الروعة والطاقة الابداعية الملهمة ، بل بذلك المنجم الماسى الثرى ، الذى طالما نفحنا ثراء وعطاء وجمالا دون حدود .

ولقد أنجبت أسيوط شاعرنا كيلانى حسن سند ، والشاعر محمود حسن اسماعيل ، والشاعر فوزى العنتيل ، والشاعر بكر موسى . . وهؤلاء ممن أعرفهم ، وممن نشأوا فى القرية ، وعاشوا فى المدينة ، وممن تلقوا ثقافتهم الأولى فى المعهد الدينى فى أسيوط ، وممن كانت موسيقاهم مع اختلاف درجاتها حلوة وجميلة . .

وقد خلف لنا دواوين أربعة مطبوعة :

* قصائد فى القتال وقد صدر عام ١٩٥٧ .
* فى العاصفة الذى صدر عام ١٩٦٢ .
* قبل ماتسقط الأمطار وقد صدر عام ١٩٦٨ .
* فى انتظار المطر الصادر عام ١٩٧٧ .

وقد أصدر الشاعر فى حياته عدة دراسات :

* تجارب شعرية .
* ذو الرمة ، الذى صدر فى سلسلة أعلام العرب ، ولا أذكر رسالته المخطوطة للدكتوراه ، وموضوعها « حازم القرطاجني شاعراً » .

وله عدة كتب جامعية ، كتبها لطلابه فى كلية التربية بالفيوم .

ولقد حصل على الدكتوراه فى الأدب والنقد من كلية اللغة عام ١٩٧٤ بمرتبة الشرف الأولى .

وحسبي هنا أن أتحــــدث عن شعره وشاعريته ، وتجاربه الشعرية الانسانية العالية .

ولنقرأ للشاعر قصيدته الأولى فى ديوانه الثالث ، « قبل ما تسقط الأمطار » وعنوانها « الكلمات » وفيها يقول :

يا كلمات سفيني العجفاء

أقسم أنى ماقصرت

سرت ، جريت ، مشيت على الشوك

مشيت ماقصرت

ما وفوت ضياء العينين
ماوفرت
لسكن الطرقات المكتظة بالأحجار
ما تركت لى أن أختار
وأنا قلبى كالعصفور ، وزندى
لا يصمد وسط التيار
مع الأشرار
ماذا يصنع من لا يصعد غير جبال
الغار
إذا ما انهار أمام الشوك أو الأحجار
يطأطئ حين تهب الريح ، ويصمـــــد
فى وجه الأعصار
يا كلماتى ، ياخيمات تحمـــينى من
وهج الصيف أو الأمطار
مما يرفع رأسى زهوا
أنى ما سطرت الاحرف لغوا
مادنست طريق الشعب
ماطرزتك حول وشاح كى يتقلده
جبـــــار
يقهقه حين يشاهد روما وســـط النار
كنت أريدك بســتاناً إن جاء المتعب

يأكل ، يشرب ، يغفو ، ينسى أحلام
الغرباء
خبز للجوعى ، ودواء للمـــــــرضى ،
وغطاء للمقرور ، ومسندة من ريش
نعـــام
للايتـــام
كنت أريد .. لو كانت تتحقق لو
ولـكن مما سيعزى القلب :—
خطا ؟ الاحباب ، خطا من يسلك
هذا الدرب

أرأيت السحر والنشـــوة ، والموسيقى والاحلام ، والانسانية كيف تتدفق من ألحان هذه القصيدة الجميلة ، المعبرة عن فـكر ثرى ، ومضمون غنى ، بألوان من الصياغة الفريدة الجديدة ؟ . .

القصيدة تلخص فـكر الشاعر ورؤاه ، وحرصة الدائب على شرف القلم وصدق الـكلمة .

وليس هذا المضمون بجديد على الشاعر ، إننا سنلمسه فى ديوانه الاول قصائد فى القنال ، وهو يعبر عن نضال المصرى الذى سخره المستعمرون لحفر القنال ، تعبيراً لم يكن يملك فيه ذاتية الصياغة ، ولا حرية النغم ، حتى لنجد له مثل قوله :

سيبكى العيال
فتصرخ أمهم فى انفعال ؟

أبوكم ، وخبزكم ، والإدام وكل
الرجال ..
مضوا مرغمين لخفـــــر القنال

ونلمسه فى ديوانه الثانى « فى العاصفة » فى مثـــل قصيدته الأولى « الطريق الشائك » ، التى يقول فيها :

يا كم عبرنا قنطرة
وأبحراً رهيبة أمواجها مزمجرة
وكم صعدنا قمة عالية ، مسورة
نبحث عن أغنية صغيرة ، عن
جـــوهرة
وزادنا على الطريق ورق ومحبرة
وأمنيات فى الصــــدور غضة
مخضوضرة
يا أخوة سيقبلون والليالى مقدرة
ويسلكون دربنا مواكباً مستبشرة
طريقهم ممهدة وأرضهم محررة
فلم يروا إنا غرسنا واحة معطرة
سوى بذور لم تزل نائمة مخدرة
وبعض نجمات صغار فى الطريق نيرة
فلتذكروا أنا عبرنا ألف قنطرة
وقنطــــرة

ونلمسه فى ديوانه الآخـير « فى انتظار المطر » . . يقول من قصيدته « أغنية » : -

أن تدر طرفك تبصر من حوالينـا
حيارى
وردوا النهر وعادوا منـــه بالهم
سكارى
آه لو تجعل يوما لهم الحب مناراً
ونغني ، بالربا الخضراء لا نبقى
صحارى
ربما نصنع شيئاً قبل ماأن نتـوارى

وفى قصيدته « الخريف والحب » يقول :

لقد غنيت للشاكى ، وللباكى ،
وللمقهور كى يقوى
ومن يشقى بلا جـــدوى
وقلت لهم إذا ما جاء عيدهم الذى
أهوى
سأسكرهم بقيثارى
وأتركه لهم ذكرى لـكى يرثوه من
بعـــدى
لـكى أذكر
أنا أعرف لا أنـكر

ذاك النغم الشمرى الإنسانى الرفيع هو فكر الشاعر طول حياته من بدئها لختامها لقد حمل قلمه فى يديه ، وسار طول عمره فى هجير الحياة يغنى للحرية ، للانسان ، للوطن ، للشعب .

يقول فى ديوانه (فى العاصفة) من قصيدته « يا رياح الخريف » :

تتــوالى الهموم من كل فج
مشرعات على جسر السلاح
وأنـا أغــزل الكآبة شعراء
هو شكوى مواجعى وجراحى
أتغنى بـــــه فيخضر نبت
من حـــوالى تشب أقاحى
وأرانى نفضت عنى غبــارى
ثم واصلت رحلتى وكفاحى
يا طريق الحياة لا الشوك يثنينى
لا ولا الصخر سوف يثني طماحى
سوف أشـدو فيملأ النور قلبى
ثم أمشى على رنين صــداحى
إنني السابق المبشر بالفجــر
فمــن يستطيع وأد صباحى ؟

والحب هو الشمار الأبدى الذى رفعه الشاعر أمامه ، وهو يغني للحياة وللحرية . .

يقول في ديوانه (في العاصفة) من قصيدته « العودة » :

أحبابي غابوا ، أحبابي من سنة
ما طرقوا بابي
غابوا ، مامروا، ماسألوا ، ماتركوا
لي أي جواب
كانوا كنجوم من حولي لفتهم أردية
سحاب
أحبابي غابوا ، أحبابي ، فكساني
الليل بجلباب
وطريقي ممتلئ شوكا ، وصخوراً
تنهش أعصابي
حتى وكرمتنا يبست ، قد صارت
حزمة أحطاب
أترى سنعود كما كنا نتساقى
الفرح بأكواب
نمشي فالخضرة تكتنفت ، آلاف
حقول وروابي
وأعود فأسمع دقات ، دقات
أصابع بالباب
فكأن جداول من طلل رشت
بالفرحة أعتابي

وفى ديوانه الأخير يقول من قصيدة « عصفور الحب » :

عصفور الحب الثرثار
أرهقنى ، أتعبنى ، شتت من ذهنى
الأفكار
أرجعت طفلا يتأرجح بين غصون
الأشجار
أنسانى عمرى ، تجربتى ، أنسانى
معنى أن أختار
أقسم بالحـــب وبالموسيقى ،
بالأشعار
أقسم بالماء الجارى ، كالفضة فى
الأنهار
أقسم لن يرجع بعد اليوم ، فقلت
له : يا مكار
ستعود إذا خلع الورد القمصان ،
وفك عن العطر الأزرار
ستعود مع الأطيار
مع النسمة حـــين توشوش آذان
الأزهار
حين يعود الناس اثنين ، اثنين
وكل حديثهما أشعار

لكنى سأقص الريش ، أعريك
والقيك أمام الريح ، وتحت الأمطار
فتبسم مبتهجا يتحدى
سأعود ولو تلقينى فى النار

إن هذا الجمال الفنى فى الحوار ، فى الصور ، فى الصياغة ، فى الرقة والعذوبة ، فى الإنسانيه ، فى الحب . . لا تجده إلا عند شاعرنا الخالد .

وانظر إليه يقول من قصيدته « دعوة » فى الديوان نفسه :

سأدعو عليك
بحج الفراش إلى وجنتيك .
وحين يمر به النحل يحكى له
عنك عار آه لديك فيأتيك فى لهفة
العاشقين ليرتشف الشهد من
شفتيك .

سأدعو عليك
إذا النوم عشش فى مقلتيك .
ترين المحبين قد قبلوا يديك ،
وقد قبلوا قدميك وقالوا : دمانا
التى قد سفكت على وجنتيك
فى راحتيك
سأدعو عليك

يهب النسيم الشقى يبعثر
شعرك عن كتفيك
سأدعو عليك
إذا العيد جاء ولم تأتني، سوف
أدعو عليك بأن تمرحى فى ربيع
الشباب ، وقلبى يمرح بين يديك

أرأيتم أحلى أو أجمل من هذه الدعوة ، التي يدعو بها الشاعر على حبيبته ، إنها دعوة الحب والحنان ، والقلب الذى نام بأحلام الجمال . .

ولا يقف الشاعر شعره على الحرية ، والوطنية وحدهما ، ولا على الحب والأحباب وحدهما ، بل تراه يطيل الحديث فى دواوينه عن نفسه وذاته وحياته .

ماتت أمه ، ولفه أبوه بعطفه وتحت جناحه ، ثم طوى أبوه عنه ظله ، وصور الشاعر ذلك كله ، فى قصيدته الجميلة « الطير الغريب » فى ديوانه : (فى العاصفة) . . وقد وازنت بينها وبين قصيدة لنزار قبانى فى وفاة أبيه وذلك فى كتابى(١) « الشعر الحديث ومدارسه » . .

ولكن كيف يزوى الأب ظله عن ابنه الصغير . . ذلك ما شرحه الشاعر فى قصيدته الأخرى « جنة الحب » فى الديوان نفسه ، التى يقول منها :

---

(١) ج ٢ ص ٨٠ الشعر الحديث ومدارسه .

قد كان أبى ملكى وحـــدى
وأنا قد كنت له وحـــده
سنوات مرت كنشوان وإذا بالجنة
مـــودة
لفحها نار ، تفين ، قد أفرغ فى الجنة
حقـــده

كالفرخ الأزغب مرتاعا ، فى العش ، وقد أصبح وحده ، قد صرت فاحساس يتيم ، احساس بالغربة بعده . .

ويغاضب الشاعر الحيـاة فى القرية ، ويودع أباه ، ويتركه إلى القاهرة . .

ويذكر ذلك فى قصيدته « وداعا يا أبى » من ديوانه الأخير (فى انتظار المطر) ؟

وبعد سنوات يرحل أبوه عن الدنيا ، فيرثيه بقصيدته (ثم افترقنا » من الديوان الثانى (فى العاصفة) . . . وفيها يقول :

أبتى ودموعى فى خـــدى
وجراحـــك ما زالت عنـــدى
فى الحـلم أراك تخاصمنى
تتركنى فى الغـربة وحـــدى
فأحس الشـوك بأعمـــاق
وبـكى النـــار على جـلدى

أبتى . . ما زلت أرددهـا
فأحس لها طعم الشهـد
أتراك ستغفـر لى أنى
بالأمس فصمت عرى الود
وهجرتـك إذ أمى ماتت
وشعرت بآلام الفقـد
فبدت بسمائى أجنحـة
سـود ، أجنحـة من حقـد
صبغت دنيـاى فـلم أبصر
فى الورد سوى شوك الورد
قـد مات وأصبـح جثمانا
سيوارى بـتراب اللحـد
فشعرت ببركان الذكـرى
يتمـدد وحشا فى قيـدى
ونمت فى صـدرى زهرات
قـد كانت أغـلى ما عنـدى

وتمضى المحنة وتبتسم الحيـاة للشاعر ، ويعيش يغنى لآماله وأحلام صباه . . وإذاهو فى محنة جديدة ، محنة يرى نفسه فيها وحيدا بعد ما كان قد ركن إلى ظل يأوى إليه فى الحياة . . وتحدث عن ذلك طويلا فى العديد من قصائده ، فى ديوانه الثالث « قبل ما تسقط الأمطار » . . ومنها قصيدته « فلتبعدى عنى » :

وفى ديوانه الأخير قصيدة بعنوان « مرثية فى ساعة الضعف » يرثى فيها الشاعر نفسه ، لما رأى صفحات كفاحه الطويل لم يقرأها أحد ، وأحلامه بعد هذا الكفاح لم تصل به إلى غاية .

ثم حالف الشاعر المرض فى أخريات حياته ، حتى جاءه أجله ، وانتهت صفحة حياته . فغادر الدنيا إلى غير عودة . . وذلك فى اليوم الأول من نوفمبر عام ١٩٧٩ م — الحادى عشر من ذى الحجة عام ١٣٩٩ هـ — عن أربعة وخمسين عاما ميلادية ، وإذا كان ميلاده عام ١٩٢٥ م فى قرية أبو محمد مركز أبو تيج — ولربما يكون الشاعر قد صور هذه المرحلة الأخيرة من حياته ، مع المرض ، الذى استمر عامين فى ديوانه الذى لم ينشر بعد ، والذى سيكون ضوءاً جديداً لجوانب مجهولة من حياة الشاعر الأخيرة .

ولنترك ذلك كله إلى قصيدته :

« إنسان بلا أسطورة » من ديوانه (فى العاصفة) ، حيث صور الشاعر حياته فيها بلا مبالغة ، بل بصدق وبساطة وجمال . . يقول الشاعر لفتاته :

بين البيوت بيتنا هناك حيث أنظر
جدرانه طينية ، والطوب فيها أخضر
وببابه جميزة ، كانت هناك ، لا تثمر
وإن دخلت بيتنا لن تجـــدى ما يبهر
لـكننا أفراحنـــا كثـــيرة لا تحصر
الليـــل لا ننامه نظـــل فيه نسهـــر
وكلمـــة بسيطة تجعلنـا نـكركر

ومثل كل المتعبين فى غـد نفكر
صديقتى أما أنا فآدمى خـير
عار ، بلا أسطورة وهمية تحير
حينا أحس أننى من الحياة أكبر
وبعض حين ذرة ضئيلة أو أصغر
صديقتي الوداع ، إنى ها هنا أنتظر
تلك التى من طينتي لا شىء فيها
أنكر

وطيلة حياته كان طموح الشاعر أكثر مما تحتمله قواه .. كان يسعى إلى المجد وكان يظن أن المجـد بعيد عنه ، وما علم أنه حين احترق بنار الحرمان ، سعى إليه المجد من كل مكان ، مجد الشعر ، لا مجد السلطان .. يقول لحبيبته من قصيدته « إليها » من ديوانه (فى العاصفة) :

إليك يا سر قلبى كل أغنية
عصرتها من دمى المشبوب كالنار
إليك دمعة قلب ليس يشغله
عنك التقرب من دار إلى دار
يلاحق الخطو خلف المجد يطلبه
ودونه الدهر ، ليث الغابة الضارى
وكل ما يتمنى منك بارقة
من الرجاء تنير الليل للسارى

وفى شعر الشاعر روائع من الشعر الإنسانى الساحر ، الذى لا نجـد له

مثيلا عند الشعراء المعاصرين ، كقصيدة « صباح » فى ديوانه الأخير ، وصباح هى الطفلة الصغيرة التى تفرح بفرح الشاعر وابتسامته للحياة ، ويضيق النطاق عن الاستشهاد بها ، وبكثير من القصائد التى أشرنا إليها . . .وتبدو كذلك إنسانية الشاعر فى قصائد كثيرة ، غنى فيها للحياة وللانسان وللفلاح وللعامل ، وللطفل وللمحروم ، وللشعب . . كما تبدو فى قصيدته « الحب » فى ديوانه الثانى (العاصفة) ، وفيها يقول :

كن مثلما شاء النـدى ‏ ‏ مثـــل الصباح الأشقر
كالطـير فى أفراحـــه ‏ ‏ غنـى لـكل البشـر
غن لهـم ، ارث لهـم ‏ ‏ قلوبهم من حجـــر
وافتتح لهـم نافـــذة ‏ ‏ فى قلبك المخضوضـر
فالحب أى منجـــم ‏ ‏ فى قلب إنسانى ثـرى
لون الضحى من لونه ‏ ‏ والعطر بين الزهـر
أخى الحيـــاة غنوة ‏ ‏ بالحب ، حب البشـــر

هذا إلى شعر الشاعر فى الوطن والوطنية ، وهو كثير ، كقصيدته « العبور » فى ديوانه الأخير ، وقصيدته « مرثية لبطل » فى الديوان نفسه .

وما أروع « الشاعر كيلانى حسن سند » فى موسيقاه ، فى صوره ، أخيلته ، فى صياغته ، فى مضمونه ،

يخال الفجر صبيا فيقول فى ديوانه الثالث :

وجـاء الفجر صبيا أشقر ‏ ‏ طليقا ، يدق على الأبواب

ويجعل الربيع كذلك صبيا فيقول فى ديوانه الثانى :

وفجأة قد مر ظل فالتفت إذ

صبى ورد الربيـــع بوجنته

وشـــعره الذهب النقـــى

وهو يستعمل الـكثير من الـكلمات والأساليب الدارجة الفصيحة فى خفـــة روح ، وحلاوة تعبير ، ومهارة صانع فنان .. يقول :

من كل جرى عملاق ، ممشوق ، كعمود الزان ويقول :

أسقيه إذا جـــاع دمائى

أطعمه من حبـــة عينى

وقد رأينا كيف استعمل الشاعر كلمة (مكار) فى شعره .. فى لطف وجمال لاحد لهما ! ؟

وظاهرة فنية أخرى واضحة فى شعر الشاعر « كيلانى حسن سند » ، وهى بلاغة التـكرار فى شعره ، الذى يجعل منه فى القصيدة مثل القفلة فى الموشحة .

ويبدو ذلك فى قصيدته « دعوة » التى سبق أن ذكرناها ، وكذلك فى قصائده :

* الخريف والحب (ص ٤٠ من الديوان الأخير) .

* مرثية حب (ص ٧٨ الديوان نفسه) .

* أمل (ص ٣٠ فى العاصفة) .

ولقد كتبت من قبل عن «ديوانه فى العاصفة» مقالا نشر فى مجلة الأزهر حيث ذكرت أن فلسفة الشاعر فى هذا الديوان تدور حول أمور ثلاثة :

١ — الشعر يقوم بدور الفن فى الحياة ، وأثره فى مستقبل البشر كبير .

٢ — الإيمان بالخير وبالحب ، حب الحياة ، وحب البشر ، وحب الإنسانية .

٣ — التفاؤل والابتسام للحياة .

وقلت : إن فن الشاعر يتميز بخصائص عدة :

١ — حلاوة موسيقى الشاعر .

٢ — كثرة الصور فى شعره .

٣ — بلاغة التكرار فى شعره .

٤ — بعده عن التقرير والخطابية فى شعره .

٥ — بساطة الأسلوب والتعبير .

وبعد . . فماذا نقول عن الشاعر « الدكتور كيلانى حسن سند » الذى كان يملك موهبة فنية ساحرة ، وموسيقى عذبة نادرة ، والذى امتزج الفن والشعر بأعماق نفسه وطوايا جوانحه . . والذى صار حديثا وذكرى وقصة سوف تتلى على مدى الأيام ، ذكر الشاعر العظيم ، وحديث الشعر الرفيع الذى يقول عنه فى قصيدته « يا شعر » ديوانه الثانى (فى العاصفة) :

يا شعر ، يا لحن القلوب ، ويا نشيد الحائرين
يا غنوة طفحت بها كأس الصبابة والحنين
يا رعشة القلب الجريح ، وياصدى الروح الحزين
يا موجة غسلت جراحات الفؤاد من الأنين
ويا وحى ليلى والحياة يلفهما حولى السكون
يا دفقة الشوق الحبيس وصرخة الأمل السجين
يا مشعلا بيدى يضىء لى الطريق فيستبين
لولاك يا شعرى للذت من المواجع بالمنون

وفى قصيدته (زوابع) من ديوانه الثالث يقول :

يا شعر ما أنت إلا زوابع فى دمائى
أهتز منها كأنى دوامة فى هــواء
ليــلى غلاف صفيــق مطرز بالشقاء
غــرد لنمشى إلى مروج وماء
وفطلق الفجر نهرا يزيل ليـل الشقاء

ومضى الشاعر وودع الشعر والحياة ، بعد أن ترك منجما ذهبيا من القصيدة تثرى به الأجيال .

ومضى خلف شعره يضىء للناس طريقهم فى الحياة ، فيسعد المحرومون ، وينعم المعذبون ، ويفرج البائسون .

وقبل أن يرحل الشاعر عنا بأكثر من عشر سنوات كانت له أمنية ،

أن يرقد رقدته الأخيرة فى واد بعيد فى ظلال الصمت والعزلة ، حتى لنقرأ له وهو يقول من قصيدته « أمنية » فى ديوانه الثالث :

طويت شراعى المكدود من سعى وترحالى
وهأنذا أود أنام ، أن ألقى بأحمالى
بواد منزو فى الصمت ، واد بين أدغال
سوى عصفورة ثكلى تغنى عشها الخالى
وغير الريح حين تهب تكسونى بسربال

وكان ما تمناه الشاعر ، فدفن فى واد منزو بين الصمت والسكون والأدغال والريح التى تثير التراب ، والعصفورة الثكلى التى تدوب أنينا فى عشها الخالى .

ومشى الناس يقولون : هنا دفن شاعر ..

* * *

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

٢٢ يوليو ١٩١٥ – ..

— ١ —

كتبت عنه مجلة الأزهر عدد مارس عام ١٩٨٣ تقول :

شاعر وناقد وكاتب ودارس للأدب والثقافة والتراث العربى على أوسع مدى ، وأكبر نطاق . .

والخفاجى أزهرى معاصر ، نشأ فى بيئة الأزهر العلمية .

طاف بالعالم الإسلامى من الهند إلى المغرب ، وكتب موسوعات علمية ، تنوء بالعصبة أولى القوة من العلماء ، وكان لسان صدق لمصر وللأزهر فى كل مكان ، وعرفته بيئات المستشرقين ودوائر الجامعات فى المغرب والشرق ، وكتبوا إليه فى كثير من أمور الثقافة والعلم والدراسات العليا ورسائل طلابها لبحوثهم وفى شئون الأساتذة ومشكلات الدراسة .

ولقبه المعاصرون « سيوطى » العصر حيناً ، وبـ « ابن الأزهر الوفى » حيناً آخر .

والخفاجى أزهرى الثقافة والمعرفة ، أزهرى الروح والفكر . . كتبت عنه وله مختلف الصحف والمجلات فى مصر والعالم العربى والإسلامى ، وصدر عنه أكثر من عشرة كتب ما بين صغير وكبير ، ونشرت عنه أكثر من مائة ترجمة ، فى مختلف المصادر والمراجع المعاصرة ، وله صلة وثيقة برجال

الفكر والأدب والعلم واللغة فى العالم العربى، ومثل مصر والأزهر فى مؤتمرات كثيرة منها المهرجان الألفى لابن زيدون فى الرباط عام ١٩٧٥، ومنها مؤتمر الأدب العربى فى مباد ابالهند عام ١٩٨١ . ومنها كذلك المهرجان الثقافى والأدبى فى الخرطوم عام ١٩٧٥

وقد عمل أستاذاً فى جامعة محمد بن على السنوسى الإسلامية فى ليبيا قبل ثورة الفاتح من سبتمبر، كما عمل كذلك فى جامعة ابن سعود الإسلامية بالرياض، وفى جامعة الخرطوم، وجامعة أم درمان، وغيرها من الجامعات العربية .

وأشرف على مئات من رسائل الماجستير والدكتوراه لطلاب من مصر ومختلف أنحاء العالم العربى والإسلامى .

وآخر ما كتب عنه ما نشرته مجلة « آفاق ثقافية » التى تصدر عن جامعة الكويت (عدد نوفمبر ١٩٨٢) فقد نشرت تحقيقا ضخما عن حياته وكتبه ومؤلفاته وأعماله العلمية والأدبية .

وآخر كتاب صدر عنه هو « مواكب الحياة » فى ثلاثة أجزاء، يحكى قصة حياته من ألفها إلى يائها، وهو من أمهات كتب السيرة الذاتية التى صدرت فى الأدب العربى فى العصر الحديث .

— ٢ —

وكانت كتابات العلماء وبحوثهم ومقولاتهم عن الأمور المعروفة فى الكتابة الإسلامية ، من مثل : الصبر ـ الصلاة ـ الزكاة ـ الصوم ، الحج ـ الصدق ـ الأمانة . :

وكتب الخفاجى منذ عام ١٩٣٩ حتى اليوم فى الشئون الإسلامية بفكر جديد ، سواء فى مقالاته : أم فى مؤلفاته » .

ـــ كتب عن «الحضارة الإسلامية» ، وصدر له كتاب ضخم بعنوان: « الإسلام والحضارة الإنسانية » .

وكتب عن الإسلام وحقوق الإنسان ، وصدر له كتاب بهذا العنوان أيضاً عام ١٩٥١ ، وأعيد طبعه عام ١٩٨٣ ، وهو على وشك الصدور ـ وكتب عن العدل الالهى مقالة نشرت فى مجلة الأزهر عام ١٩٤٩ كان لها دوى كبير .

ـــ وكتب عن الاسلام دين السلام والحرية مقالا نشر فى جريدة الأهرام عام ١٩٤٠ ، ثم نشر فى جريدة العرب التى كانت تصدر بباريس عام ١٩٤٢ ، ونشرته آنذاك مجلات وصحف كثيرة .

إلى غير ذلك من الموضوعات الجديدة ، ومن بينها : الاسلام والشيوعية ـــ الديمقراطية فى الاسلام ـــ الأسرة فى الاسلام ـــ الاقتصاد الاسلامى وله كتاب بعنوان : «الاسلام ونظريته الاقتصادية» .

وفى مجال الدراسات الاسلامية : كتب الدكتور الخفاجى أكثر عن

عشرة آلاف مقالة نشرت فى مختلف الصحف والمجلات فى العالم الاسلامى، وأذيع بعضها من إذاعة مصر والاذاعات العربية ، وصدر له مالا يقل عن مائة كتاب فى الاسلاميات من بينها — عدا ما ذكرناه :

— تفسير القرآن الحكيم فى ثلاثة عشر جزءاً .

— الاسلام وحقوق الانسان .

— « ونظرية الاقتصادية .

— « وارث الحضارات .

— « والحضارة الانسانية .

— شرح صحيح البخارى فى عشرة أجزاء .

— الاسلام دين الانسانية الخالد .

— « رسالة الإصلاح والحرية .

— « والشيوعية .

— الأدب فى التراث الصوفى .

— دراسات فى التصوف الاسلامى .

— التراث الروحى .

— مأثورات نبوية .

— شرح مختارات من أحاديث رسول الله ﷺ من كتاب الزبيدى (التجريد الصريح)— ستة أجزاء . . .

إلى ما سوى ذلك من الكتب الاسلامية .

— ٣ —

والخفاجى فى الأدب ودراساته مؤلفات ضخمة تزيد على المائة كتاب، تعد أكبر موسوعة أدبية صدرت فى العصر الحديث ، ومن بينها :

(١) دراسات للعصور الأدبية تبلغ أكثر من أربعين كتاباً ضخماً ، منها :

الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى .

» » عصر صدر الاسلام .

» بعد ظهور الإسلام .

» فى عصر بنى أمية .

» فى العصر العباسى .

» فى العصر العباسى الثانى .

» بعد سقوط بغداد .

» فى مصر فى عصر المماليك والعصر العثمانى .

قصة الأدب فى مصر (٥ أجزاء) .

» فى الأندلس (٥ أجزاء) .

» المهجرى (جزءان) .

» فى الحجاز .

» فى ليبيا — (٣ أجزاء) .

» المعاصر (أربعة أجزاء) .

الأدب المقارن — جزءان .
الأدب الحديث ومدارسه (جزءان).
دراسات فى الأدب المعاصر .
إلى ما سوى ذلك .

(ب) تراجم أدبية تبلغ نحو الخمسين كتابا ، من بينها :
أبو دلف — عبقرى من يتبع .
أبو عثمان الجاحظ .
ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان .
رائد الشعر الحديث(جزءان) .
أعلام الشعر الجاهلى .
الشعراء الجاهليون .
الأصالة والتجديد فى روائع الشعر العربى .
أعلام الشعر فى عصر بنى أمية (جزءان) .
أعلام الأدب العربى .
أدباء الشرق (سبعة أجزاء) .
الرصافى الشاعر — بالاشتراك .
الشابى وأبولو . . بالاشتراك مع الدكتور شرف، والأستاذ الذواوى .
محمد غزالى . . والشخصية العربية . . بالاشتراك مع الزميلين السابقين .
العقاد صحفيا وأديبا . . بالاشتراك مع د . شرف .
أبو شادى بعد ثلاثين عاما . . « « « «

(ج) دراسات فى النقــد الأدبى ، وتبلغ نحو العشرين كتابا ومن بينها :

كتاب أصول النقد .

النقد الحديث ومذاهبه .

من أجل نظرية جديدة فى النقد (تحت الطبع) .

فصول فى النقد .

موقف النقاد من الشعر الجاهلى .

مذاهب الأدب الخ .

الفكر النقدى والأدبى فى القرن الرابع .

(د) دراسات فى نصوص الأدب ، وتبلغ نحو الخمسين كتابا من بينها :

دراسات فى الأدب المعاصر .

دراسات فى الأدب العربى .

بلاغة العرب .

صور من الأدب الحديث (أربعة أجزاء) .

من روائع الأدب العربى الخ .

(هـ) دراسات فى اللغة والبلاغة ، ومن بينها :

شرح لابن عقيل فى ثلاثة أجزاء .

وشرح للايضاح فى البلاغة فى ستة أجزاء .

(و) دراسات تاريخية ، وتبلغ نحو الثلاثين كتابا ومن بينها :
الأزهر فى ألف عام (٣ أجزاء) .
مواكب الحرية فى مصر الإسلامية .
مواكب النبوة .
مشاهد من السيرة .
السيرة النبوية .
سيرة رسول الله (أربعة أجزاء) — الخ .
الدولة الخفاجية فى التاريخ .
الخفاجيون فى التاريخ .
بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى — ٩ أجزاء .
(ز) تحقيقات لكتب من التراث ، تبلغ نحو المائة كتاب من بينها :
شرح مقامات الحريرى للشريشى (أربعة أجزاء) .
إعجاز القرآن للباقلانى .
قواعد الشعر لثعلب .
فحولة الشعراء للأصمعى .
طبقات النحويين البصريين للسيرافى .
فصيح ثعلب فى اللغة .
البديع لابن المعتز .
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسى (جزءان) .
أسرار البلاغة — ودلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجانى الخ .
تحقيق الكتاب الإيضاح فى البلاغة للقزوينى — فى ستة أجزاء .

شرح البخارى — ١٠ أجزاء .
« ديوان الإمام الشافعى .
« « « على .

— ٤ —

والخفاجى من أسرة عربية فى القديم ، هى بنو خفاجة ، وله فى تاريخ هذه الأسرة العربية كتاب بعنوان « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى — فى أكثر من عشرين جزءاً صدر منه تسعة أجزاء — وكتاب عنوانه « الدولة الخفاجية فى التاريخ» .

وله كتاب آخر بعنوان : الخفاجيون فى التاريخ .

وانتماء الخفاجى لأسرته العربية جعله يؤلف فى تاريخ أسرته مجموعات كبيرة ، وانتماؤه للأزهر الشريف جعله يكتب كتابه «الأزهر فى ألف عام» ، وانتماؤه لمصر جعله يكتب قصة «الأدب فى مصر» ، وكتاب «التراث الروحى للتصوف الإسلامى فى مصر» وكتاب «مواكب الحرية فى مصر الإسلامية» وغير ذلك .

وللخفاجى أكثر من عشرة آلاف مقالة منشورة على مدى خمس وخمسين عاما فى مختلف الصحف والمجلات فى شتى أنحاء العالم العربى والإسلامى .

وله فى مختلف المناسبات القومية والوطنية والاسلامية شعر يروى ويخلد على طول الزمان .

ومن شعره قصيدته فى ذكرى إقبال شاعر الاسلام وفيها يقول :

خالد أنت عـــلى مر الزمان
خالد فى كل جيـــل ومكان

فيلسوف الشرق ، يا رمز عـلا
وجـــلال دائم فى كل آن

شاعر الإســلام ، من أيقظنــا
من سبات ، من أسى ، مما نعانى

حـــرر الشرق وأعلى شأنه
وبه فى الدهـــر عـز المشرقان

حـلم أجيـال توالت جاء (إقبـ
ـبال) حلماً للزمان الوسنـان

جاء بالبعـث وما أعظمـه
أمـلا كان يرى فى النسيان

وأتى (إقبـــال) كم بشرنا
بحضـارات شعـوب القـرآن

لم ترقـه مـدنيـات نأت
عن سبيـل الروح ، عن أسمى المعانى

كان (إقبـال) الأب الروحى للنـ
ـهضة الحـرة فى (باكستان)

حطم الأغـلال فى الوجـدان بالـ
أدب الحى ، بإعجـاز البيـان

بأنا شيد من الشعر مشت
بيننا ثائرة كالبركان

هيـه (إقبال) ومهما صنعت
يد أعـداء الهدى بالإنسان

لن نعود القهقرى ، لن نرتمى
فرقا من أجل تحطيم الكيان

ستظل الراية الكبرى بأيـ ـدى مغاوير ، كماة ، فرسان
ستظل الفكرة العظمى تضى ء لنا كل طريق للأمان
ستعود الدولة الكبرى لنا وسنبنى غـدنا بالايمان
أيها الخالد أديت رسا لتك الحرة حر الوجدان
ولكم كافحت ، كم ناضلت ، من
أجـل حـرية كل الأوطـان
لم تمالىء أحدا ، لم تسترح
أبدا من يد جند الشيطان
أنت ما هادنت يوما خائنا
أنت ما صافحت أيدى الطغيان
وصنعت الأمس أحلام غد
رائع الطلعة ، زاهى البنيان
وغد نحن سنبنيه غـداً
مشرقا ، حـر المنى للانسان
وسنحيـاه ليبقى بيننـا
بسمة المجـد على ثغـر الزمان

وبمناسبة مرور ربع قرن على وفاة د. محمد حسين هيكل كتب قصيدة جاء فيها :

أنت فينا خـالد أبداً أمس واليوم ، أجل ، والغدا

وستبقى بيننـــــا نغماً ساحراً ، ننشده ، مسعـــدا
نذكر الفكر الذى نسجت منـــه يمناك لنا بردا
نذكر المجد الذى رفعت منه كفاك لنــــا عمدا
نذكر الماضى الذى عشته أملا صعبا ولحن فـــدى
وعبرت الشوك للمجد ، جز ت إليـــه فدفدا ، فدفدا
نذكر العصر الذى خضته لقضايا العصر كنت الصدى
والحرية مصر وأحرارها كنت لهـــــا الموردا
أنت ما أروع ما خضت مع ترك الحـــــرية المفتدى
مصر كم أحببتها ومـــدد ت لهـــا فى النائبات يدا
كنت بالرأى لها فى دبا جى الليـــالى أبدا فرقدا
ولك الرأى الذى لم تحـــا ب به فى موقف أحـــــدا
أنت عشت الحكم لم تك تؤ ثر فيه الأهـــل والولدا
كيف كانت مصر ؟ كيف بنى جيلك الليل نجـــوم هدى
ليعيد الشمس فى أفقهـــا ونرى أمجادنا الجـــددا
ربما تأتى الليالى بمــا يبـــــر الحلم به الخلدا
ليس فى الدنيا محال وما يعجز الساعة يأتى غدا
رائد الجيـــل بنيت لمصر العلا والمجــــد والسؤددا
كنت فى أحزانها منجدا كنت فى أفراحها مسعدا
كل ما دبجـــه فكرك الـ ـسنير الحـــر هنـــا خلدا
(هيكل) الحرية انطلقت مصر تحيـــا يومها الرغدا
مصر تحيـــا حرة لم يعـــد نيلهـــا التبرى مستعبدا

شعبك الحر تراه هو الـ ـحاكم ، الآمر ، والسيدا
شعبك الحر بنى وسيبـ ـنى عزيزاً يومه والغدا
وطنى الحـــر وحلم أبى ومنى جــدى الذى رقدا
وهو ما أمجده وطنــا وهو ما أكرمــه بلدا
كرم المسجد والمعهـــدا وأعز الذكر والمنتدى
رائد القصة ، شدت لهـــا فى ذرى آدابنا مقعـــدا
ولهـــــا أنت بنيت مفا خرها فى الضاد ، والمحتدا
وكتبت السيرة الفـذة الـ ـروح والفكر لها سجدا
صغت الفاظك من فضة والمعانى صغتها عسجدا
رائد التجديد ، قم شاهد الـ ـعصر والنيل الذى صمدا
وامسح الدمع وكل الجرا ح ، وحى الوطن الأمجدا
رائد العصر ، قم اشهد حمـا ك وأحــلامك والسؤددا
عهـد حسنى اشهده مؤتلقا وحماك اشهده متحـــدا
أنت فينــا خالد أبدا أمس ، واليوم ، وطول المدى

وفى الذكرى الأولى للناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى كتب قصيدة طويلة جاء منها :

ليلة الذكرى أم هو المهرجان وقف العصر حولهـا والزمان
وانتهى المجد والخلود إليهــا وبها ضج بالدوى المـكان
وعليها من الجــــلال رواء لا يسامى ، وعبقرى حسان
(مصطفى) فيها شامخ مثل ما كا ن ، وهــذا ناجى ، وذا حسان
وأبو شادى ، والرفاق الأبوللـ ـيون جاءوا ، وهم بشوقى ازدانوا

وُعتيق ، وَصالح ، وعلى محـــود طه ، وبينهم خــــلان
وَيحييهـــم حافظ والرصافى والزهاوى ، وحولهم مطران
وامرؤ القيس شاهد ، وجرير والنواسى ، نائم يقظـــــان
والمعـــرى الحكيم والمتنبى وابن زيدون وابن هانى عيان
(والسحرتى) من بينهم مجد عصر عبقرى ، فــذ الرؤى ، إنسان
شاعر كاتب خلاصة جيـــل وله فى النقـــد المبرز شان
وإذا قال ، قلت : جاحظ مصر إى ، أو التوحيدى ، أو سحبان
عاش حرا ، ومات حرا شجاعاً قوله الدر خالصا ، والجنـــان

(السحرتى) الصديق ، والأخ ، والنبل
ومجـــد مخلد ، وبيـــان
قد فقدناه وهو بالروح يفـــدى
وتولتنـــا بعـــده الأشجان
كم أضاء الشموع دهرا لجيل
لم ينلهم حين احـــتذوه الأوان
يا أخى الراحـــل الكريم سلام
لك فى الخـــلد البشر والرضوان
يا صديقى شقيق نفسى وروحى
زمنى مذ ودعتنا أحـــزان
كنت نجما أضاء عصراً كبيراً
لكن العصر خلقـــه الكفران
لم يؤد الزمان حقـــك يوما
طبعك الحـــرب للنهى يازمان

وقصيدته « المنصورة » مشهورة ، فيها يقول :

في يديها على المدى الصولجان ولهـا قام المجـد والمهرجان
خشع الدهر في حماها ، وأصغت لعـلاها الدنيا ، ودان الزمان
وأكاليل النصر في مفرقيها من بقايا هالاته لمعـان
شهدته ضفافها الخضر وازدا نت بلألاء سحره الشطئان
ولويس في القيد يحيـا أسيراً أين منه القصور والإيوان ؟
وصبيح قـد بات يحرسه ، والد هر غامت عيـونه والمكان
كم مشى الدهر ساجداً في رباها وانتهى الشعر عنـدها والبيان
طبع الحسن قبـلة في محيا ها ، وماست في شاطئيها الحسان
إيه (منصورتي) محطمة العـد وان طوبى لك المنى والجنـان
والربيع الجميـل وشاك بالور د ، وحيتك الزهور والأقحوان
وانحني النيل عند ساقك يجرى قاده الشوق والهوى اللهفان

إيه منصورتي مدينة أحـلا مي لأنت النشيد والألحـان
أنت فينا مهـد الجمال وعرس مـده للطبيعة الرحمن
حام قلبي عليك جـد مشوق أسها عنك أم غفا رضوان ؟
لست أغضي عيني عنك فإني بمغانيك هائم ولهـان
يشهد الله لم أغب عنك يوما كيف ينأى عن أيكه الكروان؟
أنا بالروح حاضر فأعيدى يا عصافير وارقصى يا قيان
وطن الشعر والهوى والأماني ملهمي أنت إن عصاني البيان
إيه منصورتي مراح شبابي طاربي نحوك الهوى النشوان

اروِ ماذا قد حقق الإنسان ... اروِ عنا ، ثم اروه يا زمان
كل ما حولى باسم وجميل ... وانتهى الماضى كله والهوان
كل مافوق الأرض حولى ضحو ... ك والموامى والريف والوديان
أمل ما أرى هنـــا وخيال ... وأنا فى الأحـــلام أم يقظان ؟
هدأ الموج والسفينة سارت ... فى أمان إذ قادها الربان
صاح بالبعث هاتف عبقرى ... ودوى فاستيقظ الوسنان
عادت الدنيا والحياة وأضحى ... لبني النيل فى الحضارة شأن
إنه الحاضر النبيل تحيــ ... ـيـه العلا والجدود والأوطان
لانتصار الإنسان والعربى الـ ... ـحر قد كان ذلك المهرجان

وكتب قصيدة عن الشهداء قال فيها :

شهداء الكنانة الأبطـــال ... أبداً نيلها بهم يختـــــال
العلى والخلود والمجد والنصر ... بأيديهم ، والمنى والجـــلال
شهداء النضال فى الحق صالوا ... وبهم قد عز الحمى والنضال
قد بنوا مجدنا وشادوا علانا ... شاد مجد البطولة الأبطال
يا حماة الأوطان صلت عليكم ... ثا كلات ، وسامت أطفـــال
شيعتـــكم مـــلائك الله صفـــا ... وهوت فى موج الوداع الجبال
سار فى الموكب المخــــلد جبريـ ... ـل وداعى الأذان فيـــه بلال
السموات والنجـــوم وتلك الـ ... شمس ترنو إليـــكمو والهلال
نحن لم نحن للحـــوادث رأسا ... نتحدى ودائمـــــا لا ننال
نرتدى الشمس بسمة ونوارى ... خلفها الجرح وهو دام عضال

أبداً لا يهـــزنا الزلزال … أبداً لا تثيرنا الأهوال
أبدا لن نبكى البطولة فينـــا … عدة المجـــد عزة واحتمال
أبدا لن نبكى الـكوا كب تهوى … لا يرد القضاء حزن ومال
أبدا لن نبـكى الجلال صريعاً … ليس للحزن عند حـــر مجال
كلما أطبقت علينـــا الدياجى … بسم الفجر أو أطـل الهلال
كلما غالت النوائب فينـــا … أملا زاهيـــــا نمت آمال
إن حزنّـا فإننـــا ماجزعنـــــا … سوف تأتى حال وتذهب حال
إن تخنـــا الدموع حرى فإنـــا … لم تخنا عقيـــــدة وخلال
غاية الزيف أن تباهى بصير … ثم تبـكى إذا دهاك الوبال
أيها القوم لن ينام على الضيـ … ـم عرين حمـــــاته الأشبال
حين يمشى ركب المسيرة قدماً … يحضن المجد مصر ، والآمال
يا شباب العرين لا تستكينوا … فبكم سارت فى الورى الأمثال
وثبوا الوثبة الـكبيرة يورق … أمل ذابل وتخصب رمال
فعليـكم من النضال جمـــــال … وعليـكم من الجلال ظلال
مصر ما خاب ظنها ، ماعراها … وهن فى صفوفها ، أو كلال
لا تظنوا أن الـكنانة بيت … شاده الوهم وابتناه الخيال
منجم ينبت البطولات مصر … وعرين يحمى حماه الرجال
لم تزل تحمل البطولات للدنـ … ـيا ، وتمشى فى ظلها الأجيال
لم تزل فى معازف المجد لحنـــا … ثائراً تنتشى به الأبطـــــال
إنها مصر كعبة الشرق والعر … ش الذى تزدهى به الأقيال
شهداء الوادى سلام عليـكم … أنتمو للحمى السنا والجمال

وفى ذكرى الشابى الخمسينية كتب قصيدة جاء فيها:

بزغت عبقرية شمـــــاء   وهنا كان البدء والانتهاء
(توزر) و(الشابية) اللحن فى أنـ   ـغامــــه تزهى تونس الخضراء
وهنا كان المهد والموطن الحـ   ـر وشعب له السنا والسناء
وهنا أحلام الصبا والشباب الـ   ـغض والدنيا والمنى البيضاء
يا أبا القاسم النبيل قم اشهـد   موكبا حوله الورى الك جاءوا
فنجوم الدنيا هنا وأبو القـا   سم فينا وسط النجوم ذكاء
يا أبا القاسم الذى هز كل الـ   ـناس ، فى رمسك الصغير السماء
لفك المجد بالخـلود وذكراك   بهـــا للشعب التليد انتماء
أيها الشاعر النبيـــل نناديـ   ـك ، وما أحلى للقلوب النداء
أيها العبقرى من هز وجـــدا   ن الجماهير شعره والحـــداء
وله فى دنيا العروبة ذكــــر   وله المجد فى الحمى والثناء
وعصاميا عاش الحياة طموحاً   رافع الرأس دأبه الكبرياء
وبآلام الشعب ســـار يغنى   يوقظ الشعب والدجى أنواء
كان للطغيان الرهيب أحابيـ   ـل ، وللناس ثورة ومضاء
وأغار يــــده الفصاح تثير الـ   ـشعب ، والشعب فى يديه اللواء
كان ما كان أيها الأصدقاء   كان ما كان أيها الأصفياء
شاعر غنى للحب فاهتزت الـ   ـدنيا ، وغنت لشعبه العلياء
والجماهير هتف وأبو القا   سم أشعاره بهن الغنــاء
يا أبا القاسم اصطفتك أبولو   وأبو شادى الفذ والشعراء

شعرك الثائر الجليـــل صداه سكرت فى أنغامه الأصداء

فلك المجـــد والحياة ، وللشعـ ـر بك اليوم دولة ولواء

والخفاجى ولد فى ٩ رمضان ١٣٣٣ هـ — ١٩١٥/٧/٢٢ م فى تلبانة من أعمال المنصورة .

ويحمل الشهادة العالية من كلية اللغـــة العربية — جامعة الأزهر سنة ١٩٤٠ م .

والعالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه الممتازة حرف أ) فى الآداب — من كلية اللغة — جامعة الأزهر سنة ١٩٤٦ م .

عمل أستاذاً فرئيس قسم الأدب فى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، فعميداً لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع أسيوط ، وعضواً فى لجنة فحص الانتاج العلمى لأعضاء هيئات التدريس فى جامعة الأزهر الشريف .

ولقد زار العديد من الدول الاسلامية ، وحاضر ودرس فيها ، وشارك فى مؤتمرات عقدت فى بعضها ، وتلاميذه فى أنحاء العالم كثيرون يرجعون إليه فى أعمالهم الاسلامية والثقافية والعلمية ، ويعتبرون مؤلفاته الاسلامية مصدراً أصيلا يدرسونها فى كثير من الجامعات الاسلامية ، ويصدرون عنها فى فتاويهم ودراساتهم الاسلامية .

وعلماء اللغة العربيـــة والدراسات بالإسلامية فى الجامعات الأجنبية ، وكذلك علماء الاستشراق ، يقدرون أعماله العلمية الإسلامية ويرجعون إليه فى كثير من المناسبات العلمية . . وهو أول من كتب عن القضايا المعاصرة من وجهة نظر الإسلام منذ خمسين عاماً حتى اليوم من مثل :

١ — حقوق الإنسان فى الإســـلام ، الذى كان أول من كتب فيها كتابا .

٢ — النظرية الاقتصادية فى الإسلام .

٣ — قضايا العمل والعمال فى الشريعة الإسلامية .

ومن زملائه فى مراحل الدراسة الأزهرية :

- الشيخ محمد متولى الشعراوى .

- « عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق .

- « محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر الأسبق .

- « جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الحالى .

- « محمد خاطر مفتى مصر الأسبق .

- الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر السابق .

- الدكتور الأستاذ بدوى عبد اللطيف رئيس جامعة الأزهر الأسبق .

- « الأستاذ محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر الحالى .

وقد شغل المناصب العلمية الآتية :

١ — أستاذ لغة عربية فى الليسيه فرانسيه بالقاهرة ١٩٤١ — ١٩٤٦

٢ — عضو هيئة التدريس فى كلية اللغة العربية بالقاهرة من عام ١٩٤٧ .

٣ — رئيس قسم الأدب والنقد فى كلية اللغة العربية عامى ١٩٧٢ - ١٩٧٣ م .

٤ — عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع أسيوط ١٩٧٤ - ١٩٧٨ م .

٥ — عضو مجلس جامعة الأزهر ١٩٧٤ - ١٩٧٨ م .

٦ — عضو مجلس الأزهر الأعلى ١٩٧٤ - ١٩٧٨ م .

٧ — عضوا فى لجان فحص الإنتاج العلمى لهيئات التدريس فى جامعة الأزهر .

٨ — أستاذا فى الدراسات العليا بكلية اللغة بالقاهرة ١٩٧٨ حتى اليوم .

٩ — أستاذا فى الدراسات العليا بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر .

١٠ ـ أستاذا منتدباً فى معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة منذ عام ١٩٨٢ م .

١١ ـ خبيرا فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة .

وعمل فى الهيئات والجمعيات الثقافية التالية :

١ ـ عضوا فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة وفى العديد من الهيئات الإسلامية .

٢ ـ عضوا فى المجالس القومية المتخصصة بالقاهرة من عام ١٩٨٠ حتى اليوم .

٣ ـ عضوا فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة من عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٨٤

٤ ـ رئيس مجلس الإدارة لرابطة الأدب الحديث بالقاهرة .

٥ ـ عضوا فى نادى القصيد بالقاهرة .

٦ ـ عضوا فى جمعية أبولو الجديدة بالقاهرة .

٧ ـ عضوا فى نادى القصة بالقاهرة .

٨ ـ مستشارا فى التحرير لمجلة عالم الفكر التى تصدرها الجمعية العامة للثقافة والفنون والإعلام بالقاهرة .

٩ ـ رئيس مجلس إدارة مجلة الحضارة التى تصدرها رابطة الأدب الحديث فى القاهرة .

١٠ ـ عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب فى القاهرة من عام ١٩٧٦

١١ ـ عضوا فى جمعية الأدباء فى القاهرة .

١٢ ـ عضو فى جمعية القصة .

وقد حصل على وسام العلوم من الطبقة الأولى من رئيس جمهورية مصر عام ١٩٨٣ م .

وأشرف الخفاجي على نحو مائة رسالة دكتوراه فى الأدب والنقد واللغة فى جامعة الأزهر .

كما أشرف على أكثر من عشرين ومائة رسالة ماجستير فى جامعة الأزهر ومعهد الدراسات الإسلامية .

واختير عضوا فى لجان مناقشة رسائل الدكتوراه والماجستير فى جامعة الأزهر وفى جامعة الإسكندرية وفى جامعة القاهرة — وبلغ عدد هذه الرسائل التي اشترك فى مناقشتها نحو المائة رسالة .

وقد اختير عضوا فى فحص الإنتاج العلمى لبعض أعضاء هيئات التدريس فى جامعة بغداد وجامعة الخرطوم وجامعات عربية أخرى .

واشترك فى عديد من المؤتمرات العلمية فى مصر وفى خارج مصر ، من بينها .

١ — مهرجان ذكرى ابن زيدون الألفية بالرباط عام ١٩٧٥

٢ — « الأدب والشعر فى الخرطوم عام ١٩٧٥

٣ — مؤتمر الأدب العربى الحديث بالهند عام ١٩٨٢ .

٤ — جميع مهرجانات الأدب التى عقدت فى القاهرة من عام ١٩٥٥ حتى اليوم .

٥ — مهرجان شوقى وحافظ بالقاهرة عام ١٩٨٢ الذى أقامته رابطة الأدب الحديث .

وعمل كذلك :

أستاذا بجامعة الإمام محمد بن على السنوسى بليبيا ١٩٦٣–١٩٦٦ .

وأستاذا بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ١٩٦٩–١٩٧٢ .

وأستاذا مشرفاً على امتحانات قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الخرطوم دور أغطس ١٩٧٥ م .

وقد أصدر عدة دواوين شعر وهى :

وتبلغ عشرة دواوين مر بينها :

١ ــ وحى العاطفة - ١٩٣٦

٢ - أحلام الشباب - ١٩٤٦

٣ ــ أحلام السراب - ١٩٤٩

٤ ــ نغم من الخلد - ١٩٧٣

٥ ــ صلوات على الضفاف - ١٩٨٤

٦ ــ أشواق الحياة - ١٩٨٤

وله دواوين مخطوطة عديدة منها .

١ ـــ نداء من السماء ـــ مخطوط .

٢ ـــ مسرحية شعرية عنوانها « نشيد الصحراء - ١٩٤٦

وله مالا يقل عن عشرين ألف مقالة منشورة فى مختلف الصحف والمجلات المصرية والعربية والثقافية ، خلال نصف قرن من عام ١٩٤٠ حتى اليوم .

وهو يحاضر فى الإذاعة والتليفزيون فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى .

وقد زار كثيراً من الدول الاسلامية وحاضر ودرس فيها ، وشارك فى مؤتمرات كثيرة ، وتلاميذه فى أنحاء العالم الاسلامى كثيرون .

يرجعون إليه في كل أعمالهم الاسلامية والثقافية والعلمية ويعتبرون مؤلفاته الاسلامية مصدراً أصيلا يدرسونها فى كثير من الجامعات الاسلامية ، ويصدرون عنها فى فتاويهم ودراساتهم الاسلامية .

وزار الهند عام ١٩٨٠ للاشتراك فى مؤتمر الأدب العربى الحديث فى جامعة ممبادا بالهند .

وعلماء الاستشراق وعلماء اللغة العربية والدراسات الاسلامية فى الجامعات الأجنبية تقدر أعماله العلمية والاسلامية وترجع إليه فى كثير من المناسبات العلمية .

وهو عضو فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وفى كثير من الهيئات الاسلامية .

وقد كتب فى جميع الشئون الاسلامية فى مختلف الصحف والمجلات ، وحاضر فى الاذاعة والتليفزيون فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى .

ومن أشهر أعماله الاسلامية تفسيره القرآن الكريم فى ٣ مجلداً بعنوان « تفسير القرآن الحكيم » .

وكذلك شرحه لصحيح البخارى بعنوان « شرح صحيح البخارى فى ١٠ مجلدات » .

ومؤلفاته فى السيرة النبوية الشريفة ، وفى التاريخ الإسلامى ، مشهورة .

وكان أول من كتب عن القضايا المعاصرة من وجهة نظر الإسلام من ٤٠ عاما حتى اليوم ، من مثل : حقوق الإنسان فى الإسلام ، التى كان أول من كتب فيها كتاباً مشهوراً ، ومن مثل : النظرية الاقتصادية فى الاسلام ، ومواكب الحرية فى مصر الاسلامية ، وغير ذلك .

وزار عام ١٩٨٠ الهنـد وقوبل من الشعب للسلم فى الهند ومن علمائه ومن أساتذة الجامعات الاسلامية فيها بحفاوة كبيرة ، وبلغ عدد المحتفين به فى بعض المؤتمرات هناك مالا يقل عن مائة ألف ، مما جعل الصحف الهنـدية الاسلامية تـكتب عن ذلك وتلقب الخفاجى « بشيخ علماء المسلمين » .

وقد عمل مستشارا ثقافيا للبعثة الصينية التعليمية فى القاهرة قبـل الحرب العالمية الثانية ، ومستشارا ثقافيا للبعثة السودانية التعليمية فى الأربعينات والخمسينات ، ومستشارا ثقافيا كذلك للبعثة التعليمية الليبية والمغربية فى الأربعينات ، وللبعثة الـكويتية كذلك .

وعمل فى الصحافة فى الأهرام والأساس والدستور والضياء فى الأربعينات ، وأخرج جريدة أسبوعية اسمها الشعب عام ١٩٥٣ ، واشترك فى إصدار مجلة ليالى الأدب وسلسلة كتاب البعث عن رابطة الأدب فى الخمسينات ، وهو رئيس مجلس إدارة مجلة الحضارة التي تصدر عن رابطة الأدب الحديث .

نادى بإنشاء مجمع للفقه الاسلامى وكـتب فى ذلك مقالات متعددة وتحقق أمله .

ونادى بإنشاء مسجد رسمى للدولة فى ميدان التحرير فى أوائل الثورة فأنشىء جامع عمر مكرم .

ونادى بإنشاء مكتبة للقرآن الـكريم ومكتبة للحديث النبوى الشريف ، فقامت وزارة الأوقاف بإنشاء مسجد الفتح فى ميدان رمسيس من أجل ذلك الغرض .

ونادى بإنشاء أكاديمية علمية وأكاديمية ثقافية ، وأكاديمية أدبية ، وبأن تـكون جامعاتنا تخصصية ، فيكون عندنا جامعة للآداب وأخرى للطب ، وأخرى للهندسة الخ .

وكتب الناقد د. عبد العزيز شرف عن الخفاجى شاعرا يقول (مجلة القدس عدد فبراير ١٩٨٥) :

الإنسان الذى كرمه كتابنا الكريم ، هو إنسان القرآن ، الذى يقول عنه الشاعر الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى :

اقرأ . . ويالك من شعار أعظم   اقرأ . . شريعة مرسل ومكرم
اقرأ . . يعلمك الذى بجلاله   قد علم الإنسان ما لم يعلم
اقرأ . . نداء رن فى أذن الوجو   د ، نداء عصر عبقرى ملهم
اقرأ وتهتز السماء يقولها   وحى من الله العزيز الأكرم
اقرأ . . وتبدأ رحلة الدنيا إلى   عصر الحضارة والكتاب المحكم
عصر من التوحيد جاء أوانه   خلفا من الزمن الشقى الأشأم
لبس الزمان به نهارا مشرقا   يا للنهار المشرق المتبسم
ملأ الحياة سناه نورا ساطعا   من بعد إقتام وليل مظلم
وتلفتت وثنية الأجيال فى   ذعر ، وكم راغت ولم تستسلم
وتفزع الأصنام ضل حماتهم   فزعوا لصوت هادر مترنم
ويرن صوت الوحى فى سمواته   مسترسلا ، وصداه بين الأنجم
الدين للرحمن جل جلاله   دين الرسالة والرسول المكرم
نزل الكتاب فلا إله سوى الإله   الخالق المتكبر المتحكم
لاشريك لاطغيان ، جاء محمد   جاء الهدى ، وأتى زمان المسلم
وتصيخ إنسانية الإنسان تسمع   صوت جبريل الرسول المعلم
وتعى الحوار ، تقول: سحر ما أعى   وتعود تنصت للحوار الأعظم
ياليلة البعث الجديد ، تحدثى   عن كل ماض فى العلا لم يهزم
ياليلة البعث الكبير معا إلى   النصر الكبير ، إلى الفخار الأكرم
طويت صحائفه ، وغاب صباحه   ومضت مفاخره بطول تقدم

وتحـــــدثنى ياليلتى عن حاضر بالهون ، بالألم المضاعف مفعم
والمسجد الأقصى هنـــاك وقدسنا باتا بمأدبة اللئــــــام اللوم

وهـذه القصيدة من الديوان الجديد للشاعر الأديب الـكبير المحقق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، تتألق فيه صفحة من صفحات فـكره المشرق ، وإبداعه المتألق ، الذى لازمه طيلة مسيرته الفـكرية والأبداعية، وأذكر أن أول معرفتى بأدب وفـكر الدكتور خفاجى بدأت به شاعرا مبدعا كبيرا منذ أصدر ديوانه الأول : « وحى العاطفة » وهو طالب يشق طريقه فى الجامعة الأزهرية ، وكنت حريصا بعد ذلك على متابعة إبداعه الشعرى المتميز الذى يعـــبر عن أصالة الشخصية العربية وقدرتها على مواجهة تحديات العصر ، بل وتحديات ما يسميه علماء اليوم : « صدمة المستقبل » .

ذلك أن الدكتور خفاجى لم يكتب الشعر إلا لتحقيق رسالته الإنسانية التى كرس لها كل طاقاته ومواهبه الابداعية الفـكرية التى سخرها الله تبارك وتعالى لقلمه ، فجاء هذا الشعر معبرا عن رسالته فى شكلها .

وعن فـكره الذى تحفل به مؤلفاته العديدة فى الأسلاميات والأدب والنقد والتاريخ . من أجل ذلك ، يجد القارىء منتاح شخصيته الشاعرية فى قصيدته الرائعة التى يضمها هذا الديوان والتى استهللنا بها هذا المقال .

حقا . . لقد ورث الخفاجى هـذه الرسالة الانسانية الـكبرى ، يدعو إليها كاتبا ومفـكرا وشاعرا ، من أجل أن يسود إنسان القرآن ، ليعلى كلمة الحق تبارك وتعالى ، ولينشر نور الله ، ونور العلم ونور الحضارة الانسانية ، فمن أجل ذلك يأسى كثيرا حينما يتأمل الحاضر من حوله ، بعد

أن طويت صحائف الماضي العظيم الذى لم يهزم ، ويواجه هذا الحاضر المؤلم ، بقدرة الاستجابة والتحدي التى يعبر عنها الخفاجى في شعره ، يقول:

لا ، لن ننام عن النضال ، عن الكفاح
عن التراث ، وكل فخر المسلم
وسوف نشعلها لظى متأججا
ونقول للبطل المدجج : أقدم
ونقول : كل التضحيات رخيصة
إن مات منا ألف ألف مقدم
قومى الألى استولوا على الدهر فتى
ومشوا إلى الآمال فوق الأنجم
ونسير نحن على كريم خطاهمو
بعزيمة مشبوبة لم تحجم
فجر الغد المنشود ، ذاك ضياؤه
أفديه ، بالروح النفيس ، وبالدم

ذلك هو إنسان القرآن ، الذى يعبر عنه شاعرنا العظيم ، الذى بدأ رحلته الشعرية فى الثلاثينيات ، مع أقرانه الذين بدأت الهاماتهم الإبداعية بكتابة الشعر : الخفاجى ، وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، والأستاذ الدكتور حسن جاد ، حيث أصدر ثلاثتهم دواوينهم الشعرية الأولى فى عام ١٩٣٦[١] ، ومضوا يحققون رسالة إنسان القرآن فى عالم الفكر والشعر ، فأثروا أدبنا الحديث بابداعهم وفكرهم الأصيل ، من أجل أن يكون إنسان العصر ، هو إنسان الإسلام العظيم ، الذى قال فيه الخفاجى :

مسلم فوق العلا جبهته   خاشع فى عزة المنتصر
مسلم يبنى الحضارات ، يهدم صرح الشرك ، صرح المنكر

---

(١) وهى: وحى العاطفة — بنات الفكر — زورق الشجون .

مؤمن علمه إيمانه قيم الدين العظيم الأكبر
ويمناه كتاب نير بالآيات الكتاب الغير

وفى هذا الديوان الجديد للدكتور خفاجى ، تتضح أبعاد الرؤيا الابداعية فى شعره ، حيث تتكشف لنا عن عناصر الاصالة ، والتجديد ، من خلال الشكل والمضمون على السواء . فى التعبير عن إنسان العصر ، وهمومه وقضاياه ، بل وعن أدق خلجاته النفسية . على نحو ما نقرأ فى قصيدته «أيام وأحلام» ، التي يقول منها :

مضت السنون ومرت الايام مرت كأن طيوفها أحلام
عشرون ، لابل أربعون ، تتابعت أنا والهوى وصدى الرؤى أوهام
وسمعت صوتا ما أعز صداه فى أذنى ، وعدت ، وعادت الايام
وكأن كل جوارحى النشوى تحد ثنى بما صنعت بنا الاعوام
أو أنت بالأمل الحياة ، ومن به سكرت بسحر حديثه الانام ؟
وأنا الذى ذرع السنين على المنى وبروحه على الاسى الالهام ؟
شفتاه تهزج بالحياة وقلبه فيه من اللهب الرهيب ضرام
أأنا الذى طوت الهموم شبابه عصفت به وبحلمه الآلام
بين الجوانح سر صوت هامس وعلى الشفاه من الخلود سلام

وهكذا يقدم لنا الشاعر صفحة أخرى من صفحات النفس الإنسانية ، وما يعتريها من آلام ، وما تهمس به من نجوى ، لايعلمها إلا من يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور . ولذلك حار فى أمرها علماء النفس ، كما عبر عن هذه الحيرة كبار الشعراء . على نحو ما يطالعنا به الدكتور خفاجى فى هذه القصيدة الانسانية الرقيقة . والتى تمس شغاف القلوب . لما تنطق به من صدق وإبداع فى التعبير والتصوير .

وتكشف الرؤيا الابداعية فى شعر الخفاجى، عن توظيف العناصر الفنية فى بناء القصيدة، لأداء المضمون إسلاميا أم كان تعبيراً عن مشاعره الأنسانية.

وتتكامل أبعاد هذه المضامين جميعا فى التعبير عن رؤيا الشاعر. حيث يرتبط الوطن فى رؤياه بعاطفة الحب كما يرتبط برؤياه الاسلامية، على نحو ما نجد فى قصائده التي تعبر عن أحلام وطنه والأمة. مثل قصيدة « وطني الحر »، وغيرها من القصائد الرائعة التى يضمها هـذا الديوان الجديد. والتى بدأت مع رحلته الشعرية فى مارس ١٩٣٦ حيث صدر ديوانه « وحى العاطفة » وقدم له الكاتب الوطني توفيق دياب صاحب جريدة « الجهاد ». وفى عام ١٩٤٩ حيث صدر ديوانه « أحلام الشباب ». وبعد أكثر من ثمانية عشر عاما — أصدر ديوانه « أحلام السراب »، وبعده بقليل صدر « نغم من الخلد »، ثم تلاه « صلوات على الضفاف ».

وتتولى رابطة الأدب الحديث نشر هذا الديوان « أشواق الحياة » وهو أحد سبعة دواوين مخطوطة.

وقد نشرت مختارات من شعر الخفاجى فى كتب كثيرة منها:

* الشعر والتجديد.
* مع الشعراء المعاصرين.
* بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى — الجزء الخامس.
* الخفاجيون فى التاريخ.
* من روائع الأدب.
* مواكب الحياة.

وهى من تأليف د. خفاجى.

كما نشرت مختارات له فى كتاب « من رواد الأدب المعاصر »

تأليف حليم مترى ، وكتاب « فصول من الفكر المعاصر ».

ونشرت له قصائد فى عديد من الكتب ، منها كتاب « قصائد فى النيل » الذى نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وكتاب : « صورة من الفكر المعاصر » تأليف الأستاذ فكرى أبو النصر ، وكتاب « من كفاحنا الفكرى » تأليف الأستاذ محمد رضوان أحمد .

وكتب عن شعر الخفاجى الكثير من النقاد ومنهم :

* الدكتور أحمد زكى أبو شادى .
* الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى .
* الأستاذ حليم مترى .
* الدكتور محمد أحمد العزب .
* الأستاذ الربيع الغزالى .
* الأستاذ روكس العزيزى .
* المستشرق المجرى د . عبدالكريم جرمانوس في كتاب له بالألمانية عن « الأدب العربى الحديث » .
* والأستاذ وديع فلسطين .
* « هلال ناجي .
* « عبد الله عبد الجبار .

وهذا الديوان « أشواق الحياة » الذى يتضمن ألوانا من الشعر الاسلامى والشعر الانسانى ، والشعر الوجدانى ، والعاطفى . يصدر جامعاً لقصائد عديدة مختلفة فى تاريخ نظمها ، ولكنها متحدة فى الروح والفكر والذاتية .

وتتضح الرؤيا المستقبلية التى أشرت إليها فى صدر هذا الحديث ، فى

قصيدته « الغد الباسم » التي كتبها في تحية القرن الخامس عشر ، حيث يقول معبرا عن أبعاد رؤياه المستقبلية التي تنبع في نهاية الأمر من رؤياه الأبداعية :

في حاضري أبني الغـدا   وتخـذته لي موعـدا
وذكرت أيامي وأحلامي   التي ذهبت سـدى
ونفضت آلامي تؤر   قني ، وصفقت بها يـدا
وغـدي ، وليس الأمس ، كا   ن ـ كما أرى لي مولدا

إلى أن يقول :

لولا الغـد المنشود كنـ   ـت كمن يسير إلى الردى
لولاه عشت على الأسى   أسف الفؤاد مسهـدا
جمع الزمان ، فكان ، كا   ن غدا ، وما أحلى غـدا
للدين ، الإسلام سوف   يجيء ، يقبل للهـدى
للمجـد ، للحلم الكبير   وما أجـل وأمجـدا
للنصر للآمال أحيـا   فيـه ، أحيا مسعدا
لحياتنا المثـلى يجيء   غـد ، ويخطر سؤددا

وفي هذه القصيدة ، وغيرها من القصائد ، تتكشف الرؤيا الأبداعية في شعر الخفاجي ، عن فلسفة التاريخ ، التي تكونت من سبره أغوار التاريخ الانساني . . . وتجاربه الانسانية عبر عنها في صور شعرية متألقة . وأصالة فكرية ، جعلت من القصيدة بناء فكريا وفنيا متكامل الأبعاد على نحو فريد .

وعلى قدر ما أتمني أن أطوف في الرحلة الشعرية الخصبة لأستاذنا الدكتور خفاجي . على قدر ما أترك للقارىء . أن يعيش بنفسه في هذا العالم النوراني . الذى يجد فيه الانسانية بهمومها وأحلامها ، في صحبة الشاعر العظيم ، الذى أسعدنا اليوم بما يقدمه بين دفتي هذا الديوان من شعر أصيل ، له مكانته الرائدة في حركة الشعر العربي المعاصر .

الدكتور عبد العزيز شرف

ناقـداً وشاعراً

الدكتور عبد العزيز شرف أديب وشاعر وناقد له أثره فى الحركة الأدبية المعاصرة ، بلغ قمته فى السنوات العشر الماضية ، ولاسيما فى دراسات النقد وتاريخ الأدب العربى الحديث وتأصيل نظرية الاعلام فى الفكر العربى من خلال دراساته النظرية والتطبيقية .

ويمكن تلخيص جهوده الأدبية فى ستة مجالات رئيسية :

أولا : النشاط العلمى الذى تركز فى الجامعة حتى أصبح رائدا فى تحقيق الصلة بين الأعلام والدراسات الأدبية ، وإن دراساته فى التحرير الإعلامى تعد بالفعل دراسات رائدة فتحت آفاقا جديدة أمام الدراسات الإعلامية العربية تدفعها إلى تحقيق التعادلية بين الأصالة والمعاصرة . ولذلك صارت كتبه من أهم المراجع فى كليات الإعلام وأقسامه بالجامعات العربية .

ثانياً : المشاركة الريادية فى الجمعيات والاتحادات الأدبية والثقافية فى مصر والعالم العربى مثل : اتحاد الكتاب ، اتحاد الجمعيات الأدبية رابطة الأدب الحديث ، نادى القصيد .

ثالثاً : ارتباطه الموصول بوسائل الإعلام ، ولاسيما الصحافة ، حيث تولى العمل نائباً لرئيس القسم الأدبى بأكبر صحيفة مصرية وهى جريدة الأهرام ، وتولى من خلال الصفحة الأدبية فيها طيلة خمسة عشر عاما خدمة الأدب العربى الحديث وتقويمه ونقده ونشره وتوثيقه ، كما يرأس حالياً تحرير مجلتين أدبيتين هما :

« مجلة الحضارة » ، « مجلة الأيام الجديدة » إلى جانب مساهماته المقالية فى المجلات والصحف على اتساع الوطن العربى مثل « الفيصل » و « الكويت » و « الأمة » و « عكاظ » و « واقرأ » و « المعرفة » و « الفكر المعاصر » و « المجلة » و « الباحث » و « المنهل » و « شئون عربية » و « عالم الفكر » وغيرها من المجلات والصحف العربية إلى جانب أحاديثه المنتظمة فى الاذاعتين المرئية والمسموعة حول الأدب العربى الحديث وقضايا الثقافة المعاصرة .

رابعاً : التعريف بالأدب العربى الحديث فى المجالات العالمية من خلال ما يقدمه من دراسات باللغة الإنجليزية حول الاتجاهات الحديثة فى الأدب العربى ، كان لها تقديرها فى مؤتمر الكتاب الدولى الذى انعقد فى جزيرة موريشيوس عام ١٩٧٩ .

خامساً : تأصيله لمنهج عربى جديد فى الدراسات الأدبية ، حيث حقق فيه الصلة بين الأدب ووسائل الاتصال ، وأفاد منها فى دراسة الأدب العربى الحديث بخاصة ، ذلك أنه يذهب إلى أن أساس التفسير الإعلامى يقوم على الجوهر الاتصالى للأدب ، ويقيم منهجه على أساس من العبارة الإعلامية : مَنْ الأديب — يقول ماذا : الرسالة الابداعية — لمن : الجمهور المتلقى - وبأية وسيلة : وسائل الاتصال بالجماهير - وبأى تأثير ؟ وقد عنى فى منهجه الإعلامى لدراسة الأدب العربى الحديث بالموقف العام للاتصال والهدف من العملية الاتصالية .

فالتفسير الإعلامى للأدب يقوم على أساس من الوحدة الاتصالية فى دراسة الأدب الحديث ، ذلك أن الاديب والمضمون والوسيلة والمستقبل

والاستجابة ، هي جميعاً حلقات متصلة في سلسلة واحدة يحرص عليها المنهج الإعلامي في دراسة الأدب العربي الحديث ، الذي يقدم فلسفة حياة زاخرة بالقيم والمعايير من خلال أجناسه الفنية المختلفة .

وميزة التفسير الإعلامي عند الدكتور شرف أنه لايذهب مع المناهج الأخري الى اعتبار الرسالة الابداعية أهم شيء في العملية الأدبية ، لأنه يرى أن « الرسالة » قصة أو قصيدة أو مسرحية جزء من الموقف الاتصالى العام بأبعاده النفسية والاجتماعية والثقافية ، ولذلك ينظر التفسير الإعلامى للأدب ، على أنه لايوجد ما يسمى « بالأدب للأدب » — وما إلى ذلك من الدعوات .

وقد تمثل اهتمام الدكتور شرف فى هذا المجال بالتأصيل النظرى للمنهج ، على نحو ما يتضح من دراساته حول « نظرية الإعلام فى النقد الأدبى » و « التفسير الإعلامى للأدب » و « علم الإعلام اللغوى » ثم فى المجال التطبيقى على نحو ما نجد فى كتاب (التفسير الإعلامى للأدب العربى) بالاشتراك مع المؤلف و (طه حسين وزوال المجتمع التقليدى) و (محمد حسين هيكل) و « والرؤيا الابداعية فى شعر الهمشرى » و « الرؤيا الابداعية فى شعر البياتى » و « الرؤيا الابداعية فى أدب السباعى » و « المقاومة فى الادب الجزائرى المعاصر » .

ويتضح أن التفسير الاعلامى عند الدكتور شرف ينحو نحو المفهوم الصحيح للأدب ، وهو لذلك يسعى — فى أدبنا العربى — إلى مقاومة الدعوات التى تتستر وراء اسم « الأدب الهادف » — الذى « يتجه

بالكتابة نظما ونثرا وقصة ودراسة إلى وجهة الدعاية المذهبية التي يروجها أعداء القومية والوطنية وأعداء الثقافة الخالدة من كل تراث مأثور على حد تعبير العقاد رحمه الله . كما يقاوم التفسير الاعلامى التستر وراء الشعبية لتسويغ الاسفاف السهل على الادعياء ، أو تسويغ القضاء على الشعب بالجهل الأبدى ، الذى يقصر مطالعاته على موضوعات لا تعلو بالقارىء عن طاقة الأمية وما يشبه الأمية من سقط المتاع ، ويقاوم التفسير الاعلامى كذلك « الدعوة إلى هدم قواعد الفنون التي تظهر حينا من جانب العاجزين عن التعبير الفنى بقواعده الأصيلة ، وحينا آخر من جانب المتواطئين على الهدم والمتعللين له كل يوم من وراء الستار بعلة جديدة » .

والعنصر الأساسى فى التفسير الاعلامى عند الدكتور شرف هو الموقف العام للاتصال الأدبى ، فالاستجابات التي تحدث نتيجة لمثير معين ، فى موقف اتصالى معين ، لا تحدث بطريقة آلية أو كيميائية ، كتأثير الضوء على السطح الحساس مثلا ، وإنما — كما يقول د. شرف — يعتمد على محصلة العوامل الشخصية والقوى الثقافية التي يمثلها كل شخص فى الموقف . فالأديب والمتلقى يحاولان على الأشياء من المعانى ما يحملانه وفقا لخبرات كليهما المادية وطريقة فهم كل منهما للحياة ، ولذلك فان الأديب مسئول عن جعل رسالته الابداعية تحتل منطقة البؤرة بدلا من الحاشية فى شعور المتلقى . . .

ولذلك فان التفسير الاعلامى يدرك مزالق الإعتماد على مجرد إحكام الرسالة الأدبية وإهمال دراسة بقية الموقف الاتصالى ، كما تغفل مناهج

التفسير الأدبي الأخرى ، التي تركن إلى مجرد التعرض الاتصالي ، ظنا منها أن إدراك الأثر الأدبي أمر مضمون ومؤكد بمجرد نشره على الناس ، فالجماهير تدرك ما تريد أن تدركه وتعزف عما لا تهتم به .

وقد يتأثر المستقبل بجزء معين من الرسالة فيقفز من تعميم الجزء على الكل ، أو أنه على العكس من ذلك ينظر إلى الرسالة الأدبية فى ضوء إطار أكبر ، كالحكم على قصة من القصص مثلا على ضوء الموقف العام والاتجاه العام من موضوعها .

ولذلك ينظر التفسير الاعلامى للأدب عند الدكتور شرف على أن جوهره الاتصالى عملية متصلة الحلقات متماسكة ، تتطلب دراسة المستقبل ، كما تدرس المرسل ، وتعنى بدراسة دوافع المستقبل وقيمه وطريقة إدراكه ومعانيه مدركاته ، على اعتبار أن الادراك محصلة مجموعتين من العوامل البنائية والذاتية ، كما يعنى بدراسة العادات الاتصالية ، فهناك من يفضل الإذاعة وهناك من يفضل الكتاب ، وهناك من يفضل الصحيفة الخ .

ويلفت فيرنج F. Fearnig النظر إلى أهمية هذه القضية قائلا : « إنه ليس من الممكن تبسيط عملية الاتصال إلى حد اعتبارها مجرد نقل معلومات وأفكار أو وحدات ذات معنى من مصدر إلى آخر » ولذلك فإنه يصر على اعتبار المستقبل مفسرا وليس مجرد جهاز تسجيل ، ومن ناحية أخرى يثير التفسير الإعلامى للأدب وحدة العملية الاتصالية . فالمرسل والمضمون والوسيلة والمستقبل والاستجابة هى جميعاً حلقات متصلة فى سلسلة واحدة . وتنهار عملية الاتصال كلها إذا اعترت هذه السلسلة نقطة ضعف معينة فى أية حلقة من حلقاتها .

ويذهب الدكتور شرف فى نظريته النقدية إلى أنه لا يمكن تقــويم العملية الاتصالية فى الأدب إلا على أساس الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه ، ولا تعنى هنا بحال من الأحوال ما يسمونه « بالأدب الهادف » ، وإنما نعنى أن الأدب « عمل اجتماعى » ، ذلك أنه حين يتوسل بوسائل الأعلام، فإنه يشتق أحداثه ومواقفه من البيئة الاجتماعية ، ومن الثقافة السائدة بما فيها من اتجاهات وقيم ومعايير وتقاليد ، فالاتصال الجماهيرى ــ كما يقول الدكتور إمام ــ تجسيد لثقافة الأمة وحضارتها،والأدب حين يتصل بالجماهير لابد وأن يكون انعكاسا صادقا لهذه الثقافة أو الحضارة . ومن خلال ذلك يقوم بتعميق المفاهيم الشائعة فى المجتمع، وترسيخ القيم السائدة فيه ، وتثبيت العلاقات القائمة .

إن الأدب فى الاتصال الجماهيرى يقدم فلسفة حياة زاخرة بالقيم والمعايير من خــلال أجناسه الفنية المختلفة ، والفن فى رأى « جيو » (١٨٥٤ — ١٨٨٨) ، مثلا إنما ينبع من صميم الحياة نفسها ، وأن الجمال إن هو إلا شعور خصب ملىء بالحياة ، ولا يكتفى جيو بأن يقول إن الحياة الوفيرة المليئة هى منذ البداية حياة جمالية ، بل هو يقرر أيضاً أن الفن لا يخرج عن كونه نشاطاً اجتماعياً تنحصر غايته فى الحياة أو الواقع نفسه ، وحينما يقول جيو : إن الفن هو « الحياة نفسها مركزة » ، فإنه يعني بذلك ــ كما يقول ــ أن من واجب الفنان ألا يدع الحياة تطغى عليه ، بل أن يظل معاصراً لها فى تقدمها المستمر ، وأن يقف على أشكال الحيــاة الاجتماعية التى تذوب فيها الحياة الفردية .

وفى هذا المنصر يجد التفسير الإعلامي للأدب مذاهب نافعة ومفيدة ،

مثل ما يذهب إليه البعض من أن الفن واقعة إيجابية فى الحياة الاجتماعية، وما يذهب إليه «سوريو» من أن وظيفة الفن هى الهوفير ، وما يذهب إليه البعض الآخر من ربط الفن بالحب ، كذلك مايذهب إليه البعض حول المظهر الجمعى للانتاج الأدبى ، ورأى تين فى اجتماعية الفن ، ورأى نيتشة فى الصراع بين الفنان والجمهور إلخ .

ومما تقدم يتضح أن التفسير الاعلامى فى نظرية الدكتور شرف النقدية يتخذ من المناهج الأخرى أدوات كاشفة للابداع فى الرسالة الأدبية، على اعتبار أنها جزء من الموقف الانصالى العام بأبعاده النفسية والاجتماعية والثقافية ، وقد حرصت نظرية الانصال على تأكيد أننا نتصل لكى نؤثر ، وأنه لاتوجد عملية اتصال بدون هدف ، والناس يسعون دائما للتأثير فى البيئة ، وفى الآخرين أيضاً . ولذلك ينظر التفسير الإعلامى للأدب ، على أنه لايوجد ما يسمى « بالأدب للأدب » وما إلى ذلك من الدعوات ، وأن الأدب المرسل فى عملية الاتصال ، له نوعان من الأهداف ، فقد يتيح عناصر اتصالية مقصودة لذاتها بهدف الامتاع ، أو وسيلة استعمالية لتحقيق غايات أخرى ، وهنا يصبح الجمهور المستهدف مرتبطا تماما الارتباط بالغاية ، المقصودة .

ومن ذلك يتضح أن الأدب فى نظرية الدكتور شرف يرتبط بالاتصال بالجماهير فى التفسير الاعلامى ، وقد لاحظ « شارل لالو » أن كل فن لابد من أن يتطلب الجمهور Le Public ، بيد أن البعض قد يعترض على هذا الرأى بقوله : ولكن ما رأيكم فى فنانين عباقرة لم يكونوا مفهومين من أهل عصرهم ، بل قضوا كل حياتهم فى صراع عنيف مع جمهورهم ـ

وماتوا دون أن يجدوا بين معاصريهم من يفهمهم أو يقدرهم حق قدرهم ؟ وما رأيكم فى فنانين مثل فاجنر (١٨١٣ - ١٨٨٣ م) ، وبرليوش (١٨٠٣ — ١٨٦٩ م) وشيلى (١٧٩٢ — ١٨٢٢ م) ونيتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٩ م) ؟ هذا مايرد عليه لالو بقوله : إننا حينما نتحدث عن الجمهور فنحن لا نتحدث فقط عن الجمهور المعاصر ، أعنى ذلك الجمهور الذى يشجع ويدفع ، ويتبع « الموضات » الحديثة ، والذى قد يكون موضع كراهية الفنان الحقيقى أو احتقاره ، كما أننا لا ننفى أيضاً ذلك الجمهور الصغير المحدود ، ألا وهو جمهور العارفين الذين يفهمون المواهب الحقيقية ويعملون على تشجيعها ويسهمون فى توجيه التطور ويقومون باتخاذ الاجراءات المشروعة فى سبيل تحقيق التقدم الفنى ، بدلا من العمل على إعاقته أو تأخيره . نقول إننا لا نتحدث عن هذا « الجمهور » الفعلى أو الموضوعى ، بل كل مايعنينا هو تلك الفكرة التى يكونها الفنان لنفسه عن « الجمهور » ، لأن هذه الفكرة بالذات هى التى تؤثر عليه وتعمل عملها فى نفسه ، ويذهب التفسير الاعلامى للأدب بناء على هذا الفهم إلى أنه لا يمكن الفصل بين الهدف والجمهور ، لأن كل اتصال يستهدف تحقيق استجابات محددة بالنسبة لجمهور معين .

وعنصر « الوسيلة » الاعلامية فى الاتصال الأدبى بالجماهير ، من أهم عناصر التفسير الاعلامى للأدب عند الدكتور شرف حيث يعنى بفهم عملية الاتصال ، ودراسة إمكاناتها وخصائصها سواء كانت بصرية أو سمعيـــة أو بصرية سمعية معا .

وهنا نذكر « هـ . ج . ويلز » حين رأى أن الانسانية قد مرت بمراحل كما نعرف ، ولـكنه لم يحدد هذه المراحل بالعصر القـــديم أو الوسيط

أو الحديث ، ولكنه رجح أن مراحل التطور البشرى خمس ، يسترشد بها التفسير الاعلامى للأدب فى عصوره المختلفة :

الأولى هى المرحلة التى انبثقت فيها الحياة الانسانية . . ووجد أن هذه المرحلة تتسم باللغة ، واللغة والفكر لا ينفصم أحدهما عن الآخر ، فهما شىء واحد وليسا شيئين منفصلين .

أما المرحلة الثانية : فهى التى جعلت الانسانية تسير إلى الأمام وإلى أعلى ، إنها مرحلة الرموز التى اصطنعها الانسان تثبيتا لمشاعره وتجاربه وأفكاره ووقائعه عبر الزمان والمكان ، وهى المعروفة بالكتابة . . فعصر الكتابة أو التدوين فى نظر « ويلز » هو المرحلة الثانية بعد مرحلة الكلام المنطوق أو الكلام المجهور .

والمرحلة الثالثة : وهى المرحلة التى ظهرت فيها الطبقة الوسطى — كما يقول المؤرخون الآخرون — هى مرحلة اختراع الطباعة ، التى جعلت من هذه الكتابة وسيلة أكثر مرونة على الحفظ والنقل ، وهكذا اتسعت وظيفة الكتابة بفضل الطباعة اتساعا كبيراً .

أما المرحلة الرابعة : فهى التى استطاعت فيها البشرية أن تجعل اللحظة المحدودة خطة عالمية ، وأن ترتفع على الحواجز المادية والحدود الجغرافية ، وهى مرحلة استخدام المخترعات الحديثة ووسائل الاتصال كالبخار والكهرباء وما إليهما ، مما أعان على نقل الأشياء والأفراد والجماعات إلى مسافات شاسعة غير محدودة ، وفى فترات قصيرة لم تكن تخطر حتى فى الأحلام .

وتتوج المرحلة الخامسة عند « ويلز » هذه المراحل جميعاً ، وهى التى نعيش فيها ، ولقد أسماها بالمرحلة الاذاعية أو « مرحلة الإذاعة » . . ومعنى ذلك أن « ويلز » جعل الإذاعة عاملا كبيراً من عوامل التقدم الإنسانى ، وجعلها أعظم وأخطر من الطباعة ، وأرقى من جميع وسائل النقل والاتصال التى كانت مقصورة على الأشياء والأجسام ، ولذلك أننا بواسطة الإذاعة استطعنا أن نسجل الأفكار والمشاعر وننقلها ونكثرها ، ثم نتخطى بهـا جميع الحواجز والحدود . كما أن هذه الاذاعة تنساب كما ينساب الهواء ، وكما ينساب الماء من الصنابير فى كل بيت ، وفى كل إقليم ، وفى كل مكان .

يقول الدكتور شرف :

ونحن لانزعم أن هذه النظرة للتاريخ علمية صحيحة ، ولكنها مع ذلك تستحق التأمل ، فالاتصال بالجماهير ، يتطور فى العالم الحديث تطورا سريعاً مذهلا بحكم التقدم التكنولوجى فى فنون الاتصالات السلكية واللاسلكية وعلوم الالكترونات وفنون الطباعة ، فنحن نعيش الآن فى قلب نهضة اتصالات لهـا آثارها العميقة على وسائل نشر الأدب ، من حيث مضمونها ، بل ومن حيث نوع العالم الذى نعيش فيه ، وقائمة وسائل نهضة الاتصالات طويلة ، منها وصلات تمكن بها مشاهدة أفلام وأشرطة سبق تسجيلها ، أو تحويل الإشارات الإذاعية إلى صفحات مطبوعة ، والأشرطة المبرمجة بالحاسب الالكترونى والتى تمكن الطابعين من إنتاج صفحة كتاب كل خمس ثوان ، وأقمار اتصالات الفضاء التى جعلت الاتصال الفورى بجميع أنحاء الكرة الأرضية فى الحال حقيقة واقعة ، والمعدات المجسمة التى تمكن

من إنتاج صور ذات ثلاثة أبعاد، والتسجيلات المرئية وأجهزة العرض» والطباعة الكهروستاتيكية التى لا تلامس فيها الحروف الورق بالمرة، وجمع الحروف بأنبوبة الأشعة الكاثودية، وبنوك المعلومات بالحاسب الالكترونى مع ارتباطه بالوصلات التليفونية وغير ذلك كثير.

ولذلك فالموضوع الذى نعرض له متشعب المسالك، فى محاولة للتعرف على أثر الاختراعات التكنولوجية الحالية والمستقبلية على فنون الأدب العربى بخاصة، وعلى أساليب اتصاله بالجماهير، وهنا نجد — بداءة — أن الجمهور العربى سوف يتصل بالأدب من مصادر أكثر تنوعا بكثير عن ذى قبل، ولا يحتمل أن تؤدى الطاقات المتناهية الدقة إلى قتل الكتاب، كما أن بنوك المعلومات المنظمة بالعقل الالكترونى لن تقتل المجلات. فعندما تظهر وسيلة جديدة للاتصال بالجماهير، لا تقتل الوسائل القديمة، ولكن من المحتمل أن تغيرها. فالراديو لم يقتل الفوتوغراف أو المجلة، رغم التنبؤ بذلك، والتليفزيون لم يقتل الراديو.

ومادمنا نعالج تأثير وسائل الاتصال الأدبى فى الجماهير، فمن واجبنا أن نؤكد أن هذه الوسائل تتعامل مع الثقافة بمعناها الاجتماعى كمجال لجميع الأفراد فى قومية من القوميات، وفى وطن من الأوطان، ومن أجل ذلك ينبغى أن ننظر إلى التراث الثقافى الحى الفعال، ولا ننظر إليه على أنه شيء جامد لا يتغير فى زمان أو مكان، ووسائل الاتصال بالجماهير إنما تتصل بهذا المجال الثقافى الحى الفعال بالاتصال الوثيق، ذلك لأنها تتوسل بأقوى المنظمات فى الحياة الاجتماعية وهى اللغة! »

وهذه الوسائل الاعلامية امتداد تكنولوجى للغة أو الكلمة والايماءة.

ويقول ماكلوهان : « إن وسائل الأعلام التي يستخدمها المجتمع ، أو يضطر إلى استخدامها ، تحدد طبيعته وكيفية علاج مشكلاته ، وأي وسيلة جديدة ، أو امتداد للإنسان ، تشكل ظروفا جديدة ، تسيطر على مايفعله الأفراد الذين يعيشون في ظل هذه الظروف ، وتؤثر على الطريقة التي يفكرون بها ويعملون وفقا لها « الوسيلة إمتداد للإنسان » .

فالملابس والمساكن امتداد لجلدنا ، والعجلة امتدادنا لأقدامنا ، والكتاب امتداد لعيوننا ، والكهرباء امتداد لجهازنا العصبي المركزي كله وكاميرا التليفزيون تمد أعيننا ، والميكروفون يمد آذاننا .

ويتفق هذا الاتجاه الإعلامي مع أساس التفسير الفني ، الذي يذهب إلى أن الحياة تجربة ، وتتمثل في « خمس حواس صغيرة تنتفض بالبهجة والسرور » وقد نذكر أو نسجل أجزاء أو جوانب من تلك التجربة ، التي تحقق الصفاء والوضوح والحدة والعمق — أي مجال الفن ومبحثه ، على حد تعبير « أروين أدمان » — وبغض النظر عن مجرد العلاقة القائمة بين الفن والتماثيل والصور والسيمفونيات ، فالفن اسم يطلق على الادراكات كلها التي بها تعي الحياة مايكتنفها من ظروف خاصة ثم تحيل هذه الظروف إلى شيء غاية في الطرافة والابداع .

إن الفن — كما يقول أرسطو — يمكن أن يعد سياسة لو قدرت أهميته تقديرا سديدا . عند ذلك يكون موضوعه هذه التجربة بأسرها ، وتكون الحياة كلها هي مسرحه ومادته .

لقـــد كان على الفنان ، بحكم الأمر الواقع ، أن يعالج قطاعات من التجربة ، ولو أنه قد يوصي بها أو يضمنها كلها . والتجربة بغض النظر عن

الفن والإدراك ، مادة بلا شكل ، وحركة بدون اتجاه ويقــدر ما يكون للحياة شكل ، تكون فنا ، وكل ما يسمى « عادة » أو كل تطبيق فنى Techique أو نظام Sustem هو عمل من أعمـال العقل أو ربما تراثه المبدد . وحينما تتخذ المـادة شكلا والحركة اتجاها والحياة خطا وتكوينا مثلا ، يكون لدينا عقل وإدراك . وهنا تتحول الفوضى إلى نظام نفسى ومرغوب فيه نسميه « الفن » . إن التجربة بعيدا عن الفن والإدراك ، مادة بلاشكل وحركة بلا اتجاه .

ومن ثم فمن أهم وظائف الفنان أن يحمل التجربة أخاذة بأن يمنحها الحياة . إن الفنان سواء أكان شاعرا أم رساما أم مثالا يتناول الأشياء كما يتناول الشاعر والقصاص الأحداث على نحو يجبر العين على التوقف ونشدان المتعة فى الرؤية ، كما يجبر الأذان على الاستماع لمجرد الاستماع ، والعقل على التلهف على لذة الاكتشاف التى لاتسعى إلى نفع ، أو الحيرة والدهشة ، وإنما يتصل بوظيفة تركيز الحياة وتقويتها ، فإن حواسنا كما يقــــول البيولوجيون عبارة عن تحورات وتكيفات مع البيئة المتغيرة غير المستقرة التى لا يؤمن لها .

وهكذا يتضح أن حواسنا عملية ، فى أصلها وليست جمالية ، وتبقى فى حياتنا اليومية ذات سمة عملية ، وتقاس وظيفة الفنان ونجاح العمل الفنى جزئيا بالقدر الذى تصبح فيه حواسنا لا إشارات للعمل وإنما للايماء بالمحسوس والملموس والإبانة عنهما .

وهكذا تزداد التجربة فى الفنون الجميلة ثباتا ورسوخا وحدة عن طريق استيلائها على الأحاسيس والمشاعر ، والوظيفة البارزة للفنون الجميلة تكمن

أساساً فى حدود هذين الجهازين المتميزين فى دقة وعمق : العين والأذن . وفى حين نجد اللون هو ذلك الجانب من المنظور الذى يهمل عادة لأغراض عملية أكثر من غيره ، إذ به يصبح المادة التى بها يعنى الرسام خاصة . وفروق الإيقاع والنغم التى تهمل فى الاتصال العملى تصبح بالنسبة للموسيقى مصدراً لكل فن ومصدر إمتاع عاشق الموسيقى. وهكذا تتحول الحواس من مجرد كونها مثيرات للفعل والحركة إلى مجالات الامتاع .

وبنـاء على هـذا الفهم نذهب فى التفسير الإعلامى للأدب ، إلى أن « الوسيلة هى النص الأدبى » على حد تعبير « الدكتور شرف » ، وهذا يعنى أن النتائج الفردية والاجتماعية فى الأدب لأية وسـيلة من الوسائل تتوقف على تغير المقياس الذى تحدثه كل تكنولوجيا جديدة ، وكل امتداد لأنفسنا فى حياتنا. والواقع أن « رسالة » أية وسيلة أو تكنولوجيا ماهى إلا تغيير المقياس ، أو الإيقاع ، أو النماذج التى تحدثها فى الابداع الأدبى ، فاذا سألنا هنا : ماهو مضمون الكلام ، يجيب « ما كلوهان » بأنه عمليـة تفـكير « فعلية غير شفوية فى ذاتها » والرسم التجريدى يمثل تعبيراً مباشراً لعمليات الفكر المبدع مما لو كانت نتاجاً لعقول الكترونية .

سادسا : انطلاق دراساته من مفهوم الوحدة والتنوع فى الأدب العربى بنـاء على أن الأدب العربى يمتلك بأصوله الممتدة قرونا طويلة من مقومات الوحدة مما يجعل التنوع فى هذا الأدب استجابة طبيعية لمطالب الحياة اليومية ، فقام بتأصيل دراساته حول الوحدة ، والتنوع فى الأدب العربى الحديث خاصة . والأسباب التى يرجع إليها التنوع والوحدة ، ومدى شمول هـذه الأسباب بحيث تمتد إلى الحاضر والمستقبل ، ومدى التوازن بين التنوع والوحدة الفكرية فى الأمة العربية .

ويرى الدكتور شرف أن التنوع هنا لا ينبغي له أن يبعدنا عن الأصول الأساسية لوحدتنا الثقافية ، لأنها وحدها القادرة على استيعاب طموحاتنا وآمالنا القومية على مستوى الوطن العربي كله وهى أيضاً تمثل مشاركتنا كأمة عربية واحدة في بناء الحضارة الإنسانية .

واتسمت دراسات الدكتور شرف في الأدب العربي الحديث بهذه النظرة إلى التنوع « في إطار » الوحدة « فقدم دراسات جديدة عبرت الحواجز الإقليمية المصطنعة لتؤرخ الأدب العربي الحديث في الجزائر والخليج العربي ، والمملكة العربية السعودية ، ومصر ، والسودان ، والعراق على نحو ما يتضح في كتبه .

وله العديد من الدرسات التطبيقية التي نشرت في الصحف والمجلات العربية والأجنبية ، والتي أكد فيها على مفهوم الوحدة والتنوع أو « التنوع في الوحدة » ورفض الاتجاهات الأقليمية الضيقة في دراسة الأدب العربي الحديث ، من خلال التأكيد على عناصر الوحدة التي اتسم بها الأدب العربي في جميع عصوره القديم منها والحديث على السواء .

والدكتور شرف يحرص في جميع دراساته الأدبية على تأكيد أن « التنوع » في الأدب العربي إنما يكون في إطار « الوحدة » وأنه ليس هناك مجال لإحياء النزعات الإقليمية المفتعلة ، لأن « التنوع » في هذا المفهوم يؤدي إلى تحقيق المفهوم العلمي للوحدة كما يكسبها دعماً وثراء في إطار وحدة الثقافة العربية التي تفاعلت فيها مصادرها وتعاونت عواملها وتكاملت أركانها .

وهكذا يمكن القول أن دراسات الدكتور عبد العزيز شرف تنظر للأدب العربى الحديث على أنه نظام اجتماعى يصطنع اللغة العربية وسيلة اتصالية، واللغة نفسها إبداع اجتماعى، وعلى ذلك يؤكد أن التنوع فى الوحدة ليست طبيعة الأدب العربى الحديث فحسب، ولكنها تمثل الاطار العام للأدب العربى فى جميع عصوره، فحرص على دراسته من خلال دراسة قواعد الأدب وأجناسه الأدبية، وخصائصه الفنية.

والدكتور شرف من مواليد شنفاس مركز أجا فى ٥/١١/١٩٣٥، وقد نال الليسانس والماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة ـ قسم الصحافة، وحصل على الدكتوراه فى الأعلام من جامعة القاهرة أيضاً عام ١٩٧٥ .

وعمل فى الصحافة فى الستينات فى جريدة الأهرام، كما عمل مدرساً فى كلية الإعلام (١٩٧٢—١٩٧٦) — ثم اختير نائباً لرئيس القسم الأدبى فى الأهرام عام ١٩٧٧ .

وعمل أستاذاً زائراً فى كليات الإعلام بالجامعات العربية.

وهو عضو فى نقابة الصحفيين، وفى مجلس إدارة اتحاد الكتاب، وأمين عام لرابطة الأدب الحديث، ولجماعة أبولو الجديدة، وعضو فى لجنة الصحافة، وشعبة الآداب بالمجالس القومية المتخصصة، وعضو فى لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة.

ومؤهلاته العلمية هى :

١ — ليسانس وماجستير فى الصحافة بتقدير ممتاز، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧١ .

٢ — دكتوراه فى الأعلام ـ كلية الأعلام، جامعة القاهرة ١٩٧٥ مع مرتبة الشرف الأولى.

(أول درجة دكتوراه فى الأعلام تمنحها كلية الأعلام بعد إنشائها).

٣ — زميل معهد الصحافة الدولى ـ لندن ١٩٨٢ .

أما الوظائف والعضوية العلمية . فتشمل ما يلى :

١ — محرر صحفى بجريدة الأهرام ١٩٦٠-١٩٧٢ .

٢ — مدرس مساعد بكلية الأعلام جامعة القاهرة ١٩٧٢-١٩٧٤ .

٣ — مدرس بقسم الصحافة بكلية الأعلام جامعة القاهرة ١٩٧٥-١٩٧٦ .

٤ — محرر بجريدة الأهرام ونائب رئيس تحرير القسم الأدبى من ١٩٧٦ وحتى الآن .

٥ — منتدب للتدريس بقسم الصحافة بجامعة الأزهر من ١٩٧٦ وحتى الآن .

٦ — منتدب للتدريس بكلية الأعلام جامعة القاهرة من ١٩٨١ وحتى الآن .

٧ — عضو لجنة التفرغ الثقافى ـ وزارة الثقافة ١٩٨٢ وحتى الآن .

٨ — عضو لجنة البرامج الثقافية والدينية واتحاد الاذاعة والتليفزيون من ١٩٨١ وحتى الآن .

٩ — عضو لجنة الصحافة وشعبة الأعلام بالمجالس القومية المتخصصة من ١٩٨٠ وحتى الآن .

١٠ — مستشار التحرير لمجلة عالم الفكر التي تصدرها الجمعية العربية للثقافة والفنون والأعلام .

١١ — رئيس تحرير مجلة « الأيام الجديدة » الشهرية التي تصدرها جمعية الأدباء والفنانين الشبان بالقاهرة .

١٢ — مستشار التحرير لمجلة « القصة » التي تصدر عن نادي القصة بالقاهرة .

١٣ — عضو مؤتمر اتحاد الكتاب الدولي .

١٤ — عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب (بالانتخاب) .

١٥ — عضو لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة — منذ إنشائه وحتى الآن .

١٦ — أمين عام رابطة الأدب الحديث بالقاهرة .

١٧ — أمين عام نادي القصيد .

١٨ — عضو نادي القصة .

١٩ — عضو جمعية الأدباء .

٢٠ — عضو نقابة الصحفيين .

وهناك المؤلفات العلمية المنشورة ، من مثل :

١ — لطفي السيد فيلسوف أيقظ أمة ـ القاهرة ١٩٦٣ .

٢ — المقاومة في الأدب العربي المعاصر ـ دمشق ـ وزارة الثقافة ١٩٧٠ .

٣ — الرؤيا الابداعية في الأدب المعاصر — بغداد — وزارة الأعلام ١٩٧١ .

٤ — شخصية مصر في الفكر الحديث ـ القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ١٩٧١ .

٥ — طه حسين وزوال المجتمع التقليدي ، القاهرة ـ هيئة الكتاب ١٩٧٨ .

٦ — الرؤيا الابداعية في أدب يوسف السباعي ، القاهرة ـ دار الهلال ١٩٧٨ .

٧ — الأعلام ولغة الحضارة ، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٧٨ .

٨ — المدخل إلى وسائل الاعلام ، (الصحافة ـ الاذاعة ـ التليفزيون ـ السينما) بيروت ـ دار الكتاب اللبناني ١٩٨٠ .

٩ — فن التحرير الاعلامي ، القاهرة ـ هيئة الكتاب ١٩٨٠ .

١٠ — نحو بلاغة جديدة ، القاهرة ـ مكتبة غريب ١٩٨٠ (بالاشتراك مع د . خفاجي .

١١ — علم الأعلام اللغوي ، القاهرة ـ المركز الثقافي الجامعي ١٩٨٠ .

١٢ — التفسير الاعلامي للأدب العربي ، القاهرة ـ دار الفكر العربي ١٩٨١ ، بالاشتراك مع د . خفاجي .

١٣ — الرؤيا الابداعية في شعر الهمشري ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨٠

١٤ — فن المقال الصحفي ، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨١ .

١٥ — محمد حسين هيكل في ذكراه القاهرة — دار المعار ١٩٧٨

١٦ — الفكر القومي المصري ، القاهرة ـ مركز النيل ـ الاستعلامات ١٩٨١ .

١٧ — التفسير الاعلامي للسيرة النبوية ، المملكة العربية السعودية ١٩٨٢ . بالاشتراك مع د . خفاجي .

١٨ — النحو العربي لرجال الاعلام ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٢ . بالاشتراك مع د . خفاجي .

١٩ — كيف تكتب بحثاً جامعيا (بالاشتراك مع د . خفاجي) — القاهرة — مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ .

٢٠ — الدفاع عن الثقافة (تحت الطبع) .

٢١ — وسائل الأعلام والاقتصاد الإسلامي (تحت الطبع) .

وذلك بالإضافة إلى عدد من المقالات والدراسات المنشورة فى مجلات وصحف علمية مصرية وعربية وأجنبية .

وقد حصل الدكتور شرف على العديد من الجوائز العلمية من مثل :

١ — جائزة نقابة الصحفين عن أحسن بحث جامعى فى تاريخ الصحافة — القاهرة ١٩٦٦ م .

٢ — جائزة مجمع اللغة العربية الأولى فى الدراسات الأدبية عام ١٩٧٠ م .

٣ — جائزة المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط ، عن بحث «الإعلام ولغة الحضارة» ، الرباط ، ١٩٧٣ م .

والدكتور شرف شاعر فضلا عن كونه ناقداً وقد أصدر عام ١٩٥٨ ديوان شعر عنوانه « نهر الدموع » ثم توقف عن نشر الشعر فترة طويلة إلى أن أصدر مؤخراً « ديوان العودة إلى نبع الحب » .

وقد ظفر الشعر المعاصر بشاعر كبير ، وبديوان جديد . . ظفر بشاعر جديد أبت عليه همومه ومطامحه وأعباؤه أن يعلم الناس عنه أنه شاعر ، حتى رجوته أن ينشر ديوان شعره ، فظل ءامين يماطلنى ، حتى وصل به اليأس ، وأخيراً وجد نفسه فى أزمة روحية أو نفسية من أزمات شاعر ، ووجد نفسه أنه لابد من أن يستجيب للرجاء ، فكان هذا الديوان . .

وظفر بديوان جديد ، يجد فيه القارىء متعة روحية تنسيه هموم الحياة وآلامها فى زحام الهموم والآلام ، ويجد فيه لغة عذبة بسيطة يسترسل معها فى طلاقة وجمال وإبداع لكى يعيش أمله وأمله معاً ، ولكى يبكى ويفرح البكاء والفرح كله ، ولكى يطرد عن نفسه القنوط بالبشر والتفاؤل والأمل .

ويجد القارىء فى الديوان صوراً شعرية فى غاية الدقة والجمال والبهجة كل ذلك مكسو بخيال مجنح ، ورؤية شعرية عميقة . .

والأجمل من ذلك موسيقى الديوان الحلوة الممتعة والمؤثرة : . ساعة تراك تستمع إلى الموسيقى حالمة هامسة ، وساعة تراك تستمع إلى موسيقى موحية وملهمة ، وساعة تراك تنصت لموسيقى كأنها الشلال المتدفق الذى يستثيرك بقوته وبجلاله .

لنقرأ مثلا من قصيدته « ان تسأليني » :

إن تسأليني من أكون ؟ فما عرفت حكايتي فلقد نسيت . .
ولست أنشد أن أعود لحقتي إن ترحميني
فاتركيني
تائها فى غربتي

فلقد جهلت
لأنـــنى
أمضى لغير نهاية
هل تذكرين رفيقتي
أنى قتلت حقيقتي

وفيها يقول :

قد كنت يوماً هاهنا أمـــلا تغنيه الظلال
فتعيش ترقص فى جوانبه قبيلات الجمال
وتريدنى حلـــا يفور وسط أطياف الخيال
وأنا أفيض بقصتى سحراً يعطره الجـــلال

ويقول : أنى هاهنا رمز قـديم للجهال

إن تسأليني من أكون ؟ فانى شبح الحقيقة

بيدى سحقت عقيقتي ومضيت أبحث عن عقيقة

اقعيد فى نفسى صداها من مقاهات سحيقة

وأنا أعيش كغنوة ماتت على شفة غريقة

ومضت تغني للوجود لعلها تجـد الحقيقـة .

وهنا نجد الصورة والخيال والظلال والموسيقى والحركة والدائرة مع الشعر ومع فكر الشاعر . واللقطات الذهنية والشعورية الوثابة المتجددة . . مما يضفى على القصيدة بلاغة على بلاغة .

وعفوية التعبير وعذوبته وموسيقاه عنصر أساسى فى القصيدة عنـد الشاعر .

أما اللحن عند شاعرنا د . عبد العزيز شرف . . فهو لحن رومانسى ، وأما النغم فنغم أبوللى . . يتجلى فى مشاعر الغربة والقلق الروحى والشعور بالوحدة وبالعذاب ، وبهجير الحب ، ولفح لظاه وأوار جحيمه ، الطبيعة والنفس والحياة تستحيل عند الشاعر إلى لغة الرومانسيين وأسلوبهم ونهجهم وفنهم . . الرمز أحيانا يقوم مع الخيال فى إثراء الصورة الشعرية وفى رسمها ، وتعزف الموسيقى على وتر الحنين والأنين معا فتعطر الكون كله بالفرحة وبالدمعة ، يقول الشاعر د . عبد العزيز شرف من قصيدته « حيرة » :

هـل حقا أنك تهوانى

ويعانق قلبك الحـانى

وترانى أحلى أغنية:
رتلها روح الأكوان
أم أنك جئت تحيرنى
فأعاد الهجر بإمكانى
هل أنسى يوماً ياقدرى
أحلام الأمس بوجدانى

إلى آخر هذه الألحان الحلوة الجميلة الدافئة ..

الديوان والشاعر ميلاد جديد فى شعرنا المعاصر ..

ميلاد إبداع حقيقى بعيد للشاعر سلطانه على أرواح الناس ومشاعرهم ويعيد للجماهير ثقتهم فى الشاعر ومعازفه وألحانه ..

ميلاد فن حقيقى فيه خيوط من شوقى وأبى شادى والعقاد وناجى والشابى والصيرفى وصالح جودت وعلى محمود طه وإيليا أبى ماضى وكبار الشعراء الحالمين والملهمين .

ميلاد لغة جديدة فى الشعر ، وموسيقى جديدة للشاعر ، وروح جديدة للفن الشعرى الخالد ، فن عبقر وإيحائه ورموزه وخيالاته وأساطيره ورؤاه ومشاهده .

نقرأ من شعر الديوان قصيدة يقول فيها :

(ألست وعدتني ياقلب أني) إذا ما تبت عن حي تغني ؟!
وتمضى فى الحياة بلا قيود تغرد فى الوجود بعذب لحن ؟!
ولكنى أراك الآن تهفو لطيف من هواها .. ليس يغنى

وتغفـــل أنها كانت سرابا | يذوب مع الضياء بسحر فن
وتنسى أنها يوماً تجنت | وعاشت فى رحابك بالتجنى
أنا ياقلب أذكر منك همسا | عن الحب المفرد . . والتمنى
وأن وصالها ما كان عفواً | وأن غرامها . . ماكان منى
فمالك أيهـــا القلب المعنى | تذوب بحبها . . وتذيب عينى
وتدعونى لأهواها . . كأنى | أرى فى ملتقاها فرض عين
أتسلو إننى مزقت روحى | بظنك فى الغرام . . وسوء ظنى
وإنى قـد هجرت الشوق حتى | كأنى لم أكن أبداً كأنى
ألا أنى رأيتـــك فى طريق | أرى فى غيره نورى وكونى
وداعا أيها القلب المعـــنى | وداعا لست أرجو فيض غبن
سأمضى فى حياتى دون قلب | وأمعن فى مسيرى دون أمن
وإنى منك ياقلـــبى . . براء | فإنى لست منك ولست منى

* * *

ونقرأ من شعره أيضاً «قصيدته أغنية حب إلى . . إيزيس».

ويقول فيها :

إيزيس . . يانبع الهوى فى ظل أحلام السنين
أيقظت أحلامى . . وعدت بخفقة تتساءلين
صارت حياتى غابة بكماء . . تنطق بالسكون
فأخذت أبحث عن أمان فى متاهات القرون
وأخذت أنثر للرفاق مشاهد الماضى الحزين .
هم عذبوه . . فما استكان ولم يكن أبداً بلين
أخذ الحياة دعابة سمــــــراء ضاحكة الجبين

عاش الحياة مفرداً فى مثـــل شدو العابرين
قد أسدل الأستار لايبدى الخفى . . ولايبين
ماعاد يدرى كيف يحيى سر ماضيه الدفين

لا تسأليني عن حياتى ! عن دُموع الحالمين !
البلبل الصداح ولى . . ثم أغنى من سنين
فى ظل أحلام العذارى عاش مثـــل الياسمين
لكنه فى ليـــلة خضراء باكية العيون . .
عرف الحقيقة بعد ما غرقت ببحر من ظنون

عرف الذى من سره أضناه من أمد بعيد
فلقد أضاع ربيعه . . مابين جدران الوجود
للأمس عاش حياته . . والأمس فتان القيود
أضناه طول البحث . . بينا اليوم يحيا من جديد
فى ظل حلم واضـــح الأنوار كالفجر السعيد

وهنا أفاق البلبل الباكى ليروى قصتـــه
حتى الذى قد كان منها فى الليالى الباهتة
وهى التى قضت الحياة على ظـــلال صامتة
وهو الذى . . غنى لهـــا شدو الأغانى القانتة

هذا أنا « أوزير »يا« إيزيس» أبحر من جديد
فى بحر عينيك العميق أقاوم الشوق العنيد
وأنا وانت حبيبتى . . نحيا على الأمل الوليد
فلعل « حورس » ذات يوم أن يكون كما نريد

وكما تعانق بيننا شوق الجديد مع التليد
والعيد جاء حبيبتى .. فى وقت ميلاد القصيد
نحيا هنالك عمـــرنا فى ظل أعياد الخلود
هل تذكرين سؤالنا كيف الحياة بلا شجون
وأنا الذى سئم الحياة هناك فى ظل المفتون
كم عشت أخلق وردة بيضاء أسكرها الحنين
تهدى إليك .. وحزننا ! قدمات فى ليل السكون
نحيا هنالك وردتى فى صمت أحلام الجفون
فلتنصتى الآن .. اسمعى .. وإليك بالنبأ العظيم
«إنى أحبك» .. فاسمعيها ! أنت ياحبى القديم
«إنى أحبك» ، ردديها ! وأغفرى صمتى الرجيم
هيا أشكرى رب الوجود ومانحى الكلم المبين
«إنى أحبك» .. قلتها .. سأقولها .. فى كل حين

ونقرأ من شعره قصيدته « شك .. ! » .. ويقول فيها :

هل حقـــا انك تعشقنى فلمـــاذا الشك يعانقنى ؟
هل حقا انك تهـــوانى فلمـــاذا الحب يؤرقنى
ولمـــاذا حبك حـــيرنى ولمـــاذا الصمت يلاحقنى
هل حقـــا انك تحـــلم بى أم انك جئت تفارقنى
هل أحيـــا فى أوهى وهم فى أحـــلى حب يرهقنى
دعنى لا أرجـــو ألهـــاما إلهـــامى أوشك يمحقنى
سيذيب حنينى فى روحى وحنينى يوشـــك يصعقنى
فعسى أنأى حتى أشـــنى وشفائى مـــنك سيصدقنى

اللفظ الحائر يسكتنى ... والصمت القاتل ينطقنى
وأمامك أطفو فى موج ... من بحر عيونك يغرقنى
أنى حاصرتك من زمن ... وأنا خفقاتى تسبقنى
فى صمت الليل أحن إليك ... أناجى روحا يحرقنى
وأتابعها .. وأراجعها ... تأسرنى أو قد تعتقنى
من نفسى تأخذنى قسرا ... ومن الدنيا قد تسرقنى
هل حقا أنك تعشقنى ... فلماذا الشك يمزقنى
ولماذا حبك حيرنى ... ولماذا صمتك يرهقنى ؟!

ومن قصيدته « أسر .. » :

هل حقا إنك تهوانى ... فلماذا الحب يحيرنى
وتقول بأنك تعشقنى ... هل جئت الآن تبشرنى
وتذيب حنينا فى روحى ... وتذيب نشيداً يسكرنى
هل حقا إنك تهوانى ... فلماذا الشك يحاورنى
هل حقا إنك تعشقنى ... ابهذا جئت تخبرنى !
أم إنك جئت تطمئننى ... من وهم الحب تطهرنى
أم إنك جئت تبشرنى ... وبحبك جئت تعطرنى
فلماذا حبك حيرنى ... ولماذا الشك يساورنى
إنى أهواك ولن انسى ... أنك بالحب تحررنى
وأنا حاصرتك من زمن ... فلعل هواك يحاصرنى
وأنا أهواك وتهوانى ... وأهيم بروحك .. تأسرنى

الدكتور سعد ظلام

والصورة الشعرية فى شعره

— ١ —

شاعرنا (*) الدكتور سعد ظلام شاعر متألق الموهبة ، موفور الملكة ، أصيل فى صياغته وأدائه الفنى المكتمل الأدوات مع ثراء وأى ثراء فى الصورة الشعرية .

شعره حياته ، وحياته شعره ، فهو قطعة من نفسه ، وذوب مشاعره وتبدأ الصورة الشعرية بالموسيقى . وآخر ما صدر له ديوانه «أدواح وأعاصير» ، ويتميز شعره فيه بموسيقى خارجية وداخلية قوية . . . أما الخارجية فتتكون من الوزن والقافية ، وفى الديوان اثنتان وثلاثون قصيدة :

منها اثنتا عشرة قصيدة من مجزوء الكامل ، فنصيب الكامل تاما ومجزءاً من الديوان ثمانى عشرة قصيدة ، وهو أعلى الأنصبة .

ومن الوافر ثلاث قصائد هى ارفيف مآذن الأقصى ، الفيحاء ، أغنية عربية . ومن مجزوء الوافر قصيدة واحدة هى «أهون عليك» وهى قصيدة رائعة ، وقد نقول ، إنها تقف مع روائع الشعر العربى الحديث يقول الشاعر فى عذوبة وجمال :

أهون عليك تتركينى ... مع الأوهـام والقلق
وتنسى قلبى المكلوم ... بين الفكر والأرق
يسامر بالدجى نجما ... وليلا غائم الأفق
أمانيه تذوب هناك ... فى دوامـة الغسق
أتذكر أننى يوما ... ذبحت على الدجى ألقى

(*) نشرت فى مجلة الشعر بالقاهرة يناير سنة ١٩٧٦

شبابى ضاع بين يديك لم يهنأ ولم يفــق
وزهرى صوحته يداك أمسى غير مؤتلــق
فرشت دروبك الحسناء مـن فلى ومـن ورقى
فراجع ذكريات الأمس فى محــرابها العبق
هناك مشاعرى الخضراء بــين ملاعب الشفق
تصــلى للهوى تتلو نشيد الطهر والخــلد

وفى الديوان كذلك من بحر المتقارب قصيدتان ، همـا : بشير الضياء ، وسحر .

ومن مجزوء الرمل قصيدتان ، هما : إقبال ، نبى الـكلمة ، وقصيدة ياحبيب الله .

ومن البسيط قصيدة واحدة هى : الحب والسلام .

ومن الخفيف قصيدتان هما : أغنيه المصير ، وسألتنى عيونها .

ومن الطويل قصيدة هى : هزارك قد غنى .

ومن الرجز وتامه قصيدة واحدة : هى نحن نعشق الحياة يتجمع فيها التام والجزء معا ، فبعض مقاطعها تام والبعض الأخر رجز مجزوء ، فهى إذن من جمع البحور على مذهب المحدثين ومن مجمع البحور قصيدة أبى ماضى « الشاعر والسلطان الجائر » المشهورة . أوزان الشعر عند الشاعر يتخيرها بذكاء ومهارة وحذق وعبقرية تصرف ، وسلامة موهبة ليعزف ألحانه الجميلة المميزة الذكية .

أما موسيقى الشاعر الداخلية فهى أروع من موسيقاه الخارجية : عذوبة لفظ وتناسب حرف وتلاؤم جرس وامتداد لحن .

ولنستمع إليه فى قصيدته أغنية المصير ، وهى من بحر الخفيف .

ويقول فيها الشاعر :

ملتقانا فى الموكب المسحور فى صباح كبعثنا كالنشور

لست ألهو كما تدعين إنى أشعل النور فى طريق المصير
المصير الذى سننسج يوما من أغانيه شعلة التنوير
المصير الذى سنرقص يوما فى أمانيه قصة المسحور

أو لنستمع إلى قصيدته « ولدى » وهى من مجزوء الكامل ويقول فى مطلعها :

إبنى فاجأنى خيالك فاسترحت على سناك

أو لنستمع إلى قصيدته «النشيد» وهى من بحر الكامل ويقول فيها :

سأظل مسحور الغناء وعازفا لحن الحياة وغنوة الأحلام
النور فى عينى فجر مشرق والحب ملء فؤادى البسام
والبشر يسبح فى حنايا خاطرى والشوق حاد والجمال أمامى
وعرائس الآمال تبسم فى دمى وتفىء أفقى كالشعاع السامى
ستظل أشواق الحياة تهزنى فأعانق الأشواق فى إعظام
وأقول للأقدار ويحك أقدمى بالنائبات وأنت يا أيامى
ألقى التقى فوقى وبين جوانحى والشوق من حولى ومن قدامى
ياعين إنى صانع أيامى فأنسى حياة البؤس والآلام

وهنا نجد دفقات الموسيقى الداخلية تسير بنا فى تيار الألحان الحلوة الجميلة .

أما القافية وهى الوجه الآخر للموسيقى فقد تصرف فيها الشاعر تصرفا جميلا حيث يعدد مقاطع القصيدة ويجعل لكل مقطع قافية كما ترى فى قصيدته « إقبال نبى الكلمة » وهو تصرف محمود وقد تصرف الشاعر فيها فى وزن هذه القصيدة أيضا تصرفا رائعا فهو ينوع فيها فى الوزن بين مشطور الرمل والتام منه .

إن هذه الأوزان التى نظم عليها الشاعر قصائده وهذا التصرف

الجيل فى القافية لما ساعد الشاعر على أداء موسيقاه وأنغامه على أجمل وأروع صورة .

والموسيقى بكل جمالها وسحرها وإيقاعها هى الوجه الأول للصورة الشعرية فى ديوان «أدواح وأعاصير» .

ويأتى دور الخيال ، الخيال بكل ثرائه وجلاله وجماله عند شاعر الأدواح والأعاصير والخيال الذى يقود الشاعر إلى محاريب الفن الفساح إلى حيث يدلف فى مقاصير الرؤى والأحلام السحرية والصور الشعرية الأخاذة الفاتنة .

يقول الشاعر فى قصيدته أمسيات عائد « الثانية ص ١٩١ » :

رفت أباريق السماء تصب فى الكون العذاب
وتمشت الاقدار تسترها غلالات الضباب
وسنائن الكون الرحيب تذوب فى الصمت المذاب
حلم تراود ركبها حينا ، وأحيانا سراب
إلا شراعا يائس المجداف مزقه اضطراب
رنحنا على ربانه المظلوم بأن عن جواب
فتورات الكلمات لكن صوته الباكى أجاب

فنجد الخيال الشعرى الهائم المجنح الذى لايستقر به المقام حتى يطوف فى كل أفق .

ويقول الشاعر من قصيدته « هذه تكفينى » :

قد ضاع من كنى النشيد وشوقه ۞ وخرير أيامى ولحن رنينى
وتبعثر اللحن الجميل وصوحت ۞ نغماته وظلالها تشقينى
والشمس قد نصبت جنازة ضوئها ۞ فوق المدى كجنازة التأبين

ويقول من القصيدة نفسها :

فرشت دروبى بالجمال وبالندى   فصحوت كالأحلام طوع يمينى
وشعرت أن هناك بين جوانحى   همسا يناجى خافقى يعزونى
وطيوف حب ماتزال تضىء   وجدانى وتبسم فى بريق عيونى
وتموج كالأفراح كالصلوا   ت كالنغم المجنح كالغد المأمون

إن خيال الشاعر الجامح كان يمكن أن يقوده أكثر من ذلك إلى استخدام الأسطورة والرمز والحوار والغناء وبالتراث وثرائه الواسع .

ومع أن الشاعر يستخدم القصة والحوار فى أحيان ، ولكن بناء القصة الشعرية عنده لايبلغ الذى بلغته الصورة الشعرية عنده كما نجده فى قصيدته « هذه تكفينى » وغيرها :

الموسيقى الشعرية والخيال هما جناحا الشعر والصورة الشعرية عند شاعرنا .

وقد يكرر خيالا بعينيه فى قصائد عديدة من ديوانه :

يقول الشاعر :

فرشت دروبى بالجمال وبالندى   فصحوت والأحلام طوع يمينى

ويقول :

فرشت دروبى بالورود وعطرها

ويقول :

فرشت دروبك الحسناء من فلى ومن ورقى

ونأتى بعد الموسيقى والخيال مقدرة الشاعر فى استخدام الكلمة وثراؤه اللغوى الواسع بلا حدود وإن كان هذا الثراء قد يقود ، أحيانا إلى البعد عن المعنى ، ففى قوله مثلا :

يعلو اهازيج التعاسة والأسى

نلاحظ التنافر بين الاهازيج وهى للفرح والسعادة، وبين ما أضيف إليه من التعاسة والأسى .

ونجد للشاعر د . سعد ظلام إبداعه الفنى وثراءه البلاغى فى رسم الصورة الشعرية بمهارة وحذق وذكاء ، يقول من قصيدته : «أهواك يابلدى» ص ١٢٨ وهى من الكامل :

يا كم أقبل فى ثراك مشاعرى ... وأرى عليك ملاعبى وكيانى
نعمت بحضنك فى الحياة تمائمى ... ولعبت بالحصوات فى الكثبان
وعلى أديمك شب عمرى والصبا ... وصبا الشباب مضوعا بأمانى
وأخضوضرت فى راحتيك تمائمى ... وعواطفى وتبسمت الحانى

ومن روائع الديوان قصيدته «النشيد» وهى على صغرها تكاد تكون ملحمة ساحرة فى حديث الشاعر عن ذاته وأعماق نفسه وحياته وكذلك قصيدته « أنا يا حبيبى عاشق » وهى مناجاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الشطر الاسلامى فى الديوان يرتفع الشاعر بخياله وصورة الشعرية وبحث عره العميقة إلى منزلة عالية .

إن الشاعر فى ديوانه يمزج فى صوره الشعرية بين الموسيقى والخيال والمقدرة فى رسم الصور والانفعالات والمعانى والمضامين والتجارب الشعرية .

وجلة الرأى فى الصور الشعرية فى الديوان أنها على روعتها وجلالها ووقوفها على قدم المساواة مع أرفع الصور عند أشعرائنا المعاصرين ، قد يعوزها التجديد حينا وقد تطيش الريشة حينا آخر من كف الصناع فتأتى الألوان على غير ما كان يريد هو أو ما كنا نريد له منها ومنه .

ومع ذلك فالشاعر يملك فنه ويملك فى يديه ثروة واسعة من التراث

والفن والموهبة والعاطفة والتجربة والشعرية والألفاظ المجنحة المحلاة بحلى فنية رائعة تكسب قصائده جمالا وسحرا .

يقول الشاعر من قصيدته بشير الضياء وهى من المتقارب :

وبين سكون مضىء العباب
تلف قداسته الازمنا
كان نشيد وريق اللحون
يضم باحضانه المنحنى
وفى زورق من شعاع المنى
اطل ملاك مهيب السنا
يغرد بين خطاه الصباح
تعزف الألحنا
وأقبل نحو الرسول الأمين
فصلى وسلم واستأذنا
وألقى عليه بشير الضياء
حديثا تقى الهدى مؤمنا
هو الوحى قد رقرقته السماء
ليحدو الضياء إلى افقنا
هو الحب غرد فى قلبنا
وصلى باعماق اعماقنا

أرأيت أجمل من هذه الصورة الشعرية تصويرا لكل تجربة الشاعر وأعماق أعماقه ؟

إن هذا هو فن الشاعر الذى طالما غرد للجمال وصلى للجلال .

* * *

فهرســت